

سلسلة نوادر التفسير (1)

المملكة المغربية
الرابطة المحمدية للعلماء

أجوبة وتقاييد في تفسير الكتاب العزيز

للعلامة

أبي عبد الله محمد الطيب ابن عبد المجيد بن كيران الفاسي

(1172-1227هـ)

دراسة وتحقيق

الحسن الوزاني


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين





سلسلة نوادر التفسير (1)

أجوبة وتقاييد في تفسير الكتاب العزيز

للعلامة

أبي عبد الله محمد الطيب ابن عبد المجيد بن كيران الفاسي

(1172-1227هـ)



دراسة وتحقيق

الحسن الوزاني

بسم الله الرحمن الرحيم



مركز الدراسات القرآنية

الرابطة المحمدية للعلماء

رقم 8 عمارة 78ب ـ شارع فال ولد عمير أكدال الرباط ـ المغرب.

البريد الإلكتروني: quran@arrabita.ma

هاتف: 02 36 67 537 (212+) فاكس: 17 15 67 0537

خضع هذا الكتاب قبل نشره إلى التحكيم والمراجعة

سلسلة: نوادر التفسير (1).

الكتاب: أجوبة وتقاييد في تفسير الكتاب العزيز.

المؤلف: الشيخ محمد الطيب بن عبد المجيد

تحقيق ودراسة: الحسن الوزاني.

مراجعة: د. محمد المنتار.

خطوط الغلاف: مصطفى فلوح.

الإخراج الفني: حفيظة برياط.

عدد النسخ: 2000.

الطبعة الأولى: 1432هـ/2011م

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تمثل بالضرورة رأي المركز

الإيداع القانوني: 2011 MO 3197

ردمك: 978-9954-542-23-1

الطبع والتوزيع: دار الأمان للنشر والتوزيع ـ الرباط

البريد الإلكتروني: Derelamane@menara.ma

هاتف وفاكس: 537200055/ 537723276(00212)

تطلب منشوراتنا خارج المغرب من:

- دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان

هاتف وفاكس: 701974/ 300227(009611)

- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر

19 شارع عمر لطفي، موازي عباس العقاد ـ مدينة نصر.

هاتف وفاكس: 2741750/ 2741578 (00202)

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد شاعت في القرن الثالث عشر الهجري ببلاد المغرب الأقصى تقاييد وأجوبة في تفسير القرآن الكريم، يعمد فيها المؤلف إلى سورة أو آية، يرى أنها تحتاج إلى مزيد بيان، أو استكناه معنى من المعاني، فيسبر أغوارها بما فتح الله به عليه من العلم، وما ظهر له من الفهم مما لم يذكره أهل التفسير قبله.

وقد اشتغل بهذا النوع التفسيري ـ الذي يندرج في إطار التفسير الجزئي للسور والآيات القرآنية ـ ثلة من العلماء الأخيار ببلاد المغرب الأقصى، نذكر منهم: الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي (1036هـ)، والشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري (ت1144هـ)، والعلامة محمد التاودي بن الطالب بن علي بن سودة (ت1209هـ)، والعلامة المفسر حمدون بن الحاج السلمي المردسي(ت1232هـ)، والإمام المشارك، العالم السلطان الهمام أبو الربيع بن عبد الله بن إسماعيل الحسني العلوي (ت1238هـ)، والعلامة الفقيه الحاج الحسين الإفراني، دفين تزنيت، (ت1382هـ)، والمحدث محمد بن جعفر الكتاني (ت1345هـ)، والعلامة الوزير محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت1376هـ)، وغيرهم من الأفذاذ.

ويعد كتاب **"أجوبة وتقاييد في تفسير الكتاب العزيز"** للعلامة المحقق المتقن أبي عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران الفاسي(ت1227هـ) ـ الذي نسعد بتقديمه ضمن إصدارات مركز الدراسات القرآنية التابع للرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة نوادر التفسير(1)، أحد أهم نماذج هذا اللون التفسيري؛ فصاحبه، رحمه الله، علاّمة لوذعي، ومفسّر ألمعي، رُزق منحا إلهية، ومواهب اختصاصية، فتحت أمامه ما استغلق على غيره في تفسير كتاب الله العزيز.

وقد أجمع من ترجموا له على جلالة قدره، ورسوخ قدمه في مضمار العلوم الشرعية عموما، وعلم التفسير على وجه الخصوص، مما جعل له حُظوةً لدى السلطان العلوي المولى سليمان، رحمه الله، الذي كان يستكتبه ويسأله فيما يعرض له أثناء مطالعته لبعض كتب التفسير، ويستشيره في كثير من القضايا.

ويتكون هذا المؤلف، من أحد عشر تقييدا في التفسير، بعضها في تفسير سورة بعينها، وبعضها في تفسير آية بعينها، وأحيانا في رد على مفسر ما في آية ما؛ وهذه التقاييد كالآتي: **التقييد الأول:** متعلق الجار والمجرور في البسملة، **والتقييد الثاني:** تفسير سورة الفاتحة، **والتقييد الثالث:** تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة 121]، **والتقييد الرابع:** في تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة 259]، **والتقييد الخامس:** في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾[النساء 156]، **والتقييد السادس:** في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل 98]، **والتقييد السابع:** في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ [الزخرف60]، **والتقييد الثامن:** في تفسير قوله

تعالى ﴿ وَالذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ ﴾ [المؤمنون 4]، **والتقييد التاسع:** في تفسير قوله تعالى﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر28]، **والتقييد العاشر:** في تفسير كلام السلطان المولى سليمان في مناقشته للإمام الزمخشري في عدوله عن الحقيقة إلى المجاز في تفسير قوله تعالى﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب 75]، **والتقييد الحادي عشر:** في مناقشة الوجه الذي أبداه الإمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب 75].

ومما يجلي قيمة هذه التقاييد، اختيارات صاحبها في المسائل التي يناقشها، وغنى المصادر العلمية التي استقى منها، رحمه الله، مادته التفسيرية، وتنوعها ما بين تفسير، وقراءات قرآنية، وبلاغة، ولغة، وعلم كلام، وتصوف، وعلم حديث، وفقه، وغيرها.

ويرجع الفضل في إخراج هذا العمل، بعد الكريم المنان عز وجل، إلى السيد الحسن الوزاني؛ الباحث المساعد بمركز الدراسات القرآنية الذي اجتهد حفظه الله وسعه ـ تحت إشراف رئيس مركز الدراسات القرآنية الدكتور محمد المنتار ـ في جمع هذه التقاييد من مختلف الخزائن العلمية، وإثبات صحة نسبتها إلى مؤلفها، والتحقّق من عناوينها؛ بتتبع فهارس المخطوطات التي حفظت فيها في مختلف المكتبات، مع التعليق عليها، وبيان مصادر المؤلف فيها، وتوثيق الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، وضبط نقولها ونصوصها.

أسأل الله أن يثيب صاحب هذا العمل، ومحقّقه، وجميع من اجتهد في إخراجه، وأن يكتبه في صحائف الأعمال الخالدة لراعي العلم والعلماء مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأبقاه ذخراً للإسلام والمسلمين، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أحمد عبادي

الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2] ، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3]، أما بعد :

فيعدُّ علم التفسير من أهم العلوم التي ينبغي لطالب العلم العناية بها، إذ إن شرف العلم بشـرف المعلوم؛ ولما كان كلام الله تعالى أشرف مطلوب، كان العلم بتفسيره، وأسباب نزوله ومعانيه وتأويله، أشرف العلوم.

والاشتغال به من حيث حفظه وفهمه ودراسته والبحث في قضاياه من أعظم الأعمال وأشرفها بإجماع العلماء؛ لأنّ موضوعه هو القرآن الكريم؛ أساس علوم الإسلام، ومدار الأحكام، وهو حبل الله المتين ونوره المبين، والذكر الحكيم، والصـراط المستقيم، قال ابن عطية رحمه الله: «فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في

---

(1) سورة آل عمران، آية 102.

(2) سورة النساء، آية 1.

(3) سورة الأحزاب، آية 70-71.

علم أُعِدُّ أنواره لظُلَمِ رمسي، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم، فوجدت أمتنها حبالاً، وأرسخها جبالاً، وأجملها آثاراً، وأسطعها أنواراً، علم كتاب الله جلت قدرته وتقدست أسماؤه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، هو العلم الذي جعل للشرع قواماً، واستعمل سائر المعارف خدّاماً، إلى أن قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٤﴾[1]، قال المفسرون: أي علم معانيه والعمل بها»[2].

ولذلك فإنّ تفسير القرآن وتأويله أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان؛ لأنّ الصناعات الحقيقية، إنما تشرُفُ بأحد ثلاثة أشياء: إما بشرف موضوعاتها، وهي المعمول فيها، نحو أن يقال: الصياغة أشرف من الدباغة؛ لأن موضوعها هو الذهب، والفضة أشرف من جلد الميتة الذي هو موضوع الذباغة.

وإما بشرف صورها، نحو أن يقال: طبع السيوف أشرف من طبع القيود، وإما بشرف أغراضها وكمالها، كصناعة الطب التي غرضها إفادة الصحة، فإنها أشرف من الكِناسة التي غرضها تنظيف المستراح[3].

إذا ثبت ذلك، فصناعة التفسير قد حصل لها الشرف من الجهات الثلاث، وهو أن موضوع المفسر كلام الله تعالى، الذي هو ينبوع كل حكمة، ومَعدِن كلّ فضيلة، وصورة فعله إظهار خفيات ما أودعه منزله من أسراره ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ

---

(1) سورة المزمل، آية4.

(2) تفسير المحرر الوجيز لابن عطية (1/ 34).

(3) مقدمة التفسير لأبي القاسم الراغب الأصفهاني (ص 422)، والإتقان في علوم القرآن (2/ 960).

﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٨﴾[1]، وغرضه التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا فناء لها.

فالقرآن الكريم كتابُ الله الخالد الذي لا تفنى عجائبه، ولا تحيط بأسراره العقول، ولا يملّ منه المتدبّرون، يخاطب العامة، فتدركه أفهامهم، ويلبي حاجاتهم، ويخاطب الخاصّة، فيجدون فيه غذاءً لعقولهم، وإثارةً لأفكارهم، فتتحرك هممُهم، وتتَّقد أذهانُهم، وتُقبل نفوسهم على سَبْرِ أغواره، كلٌّ ينظر فيه بمنظار، فيرى ما لا يراه غيرُه؛ فقد عُني المغاربة بالقرآن الكريم منذ عصور قديمة، فقرأوه وأقرأوه، ودرسوه شكلاً ومضمونا، فاشتهروا في القراءات، والرسم، والتفيسر، وألفوا في مختلف علومه، فظهرت مؤلفات في تفسير آيه، وشرح غريبه، وبيان محكمه من متشابهه، وإعرابه كلماته، وكشف معانيه، واستنباط أحكامه؛ فكانوا بذلك قدوة لمن بعدهم، ولا يصدق هذا على المتقدمين فحسب بل قد شاركهم فيه المتأخرون أيضا؛ وصدق إمام النُّحاة جمال الدين ابن مالك الطائي الجياني(ت672هـ) حين قال: «وإذا كَانت العُلوم مِنحاً إلهية ومواهب اختصاصية، فغير مستغرب أنْ يدخر لبعض المتأخرين ما عَسُـرَ فهمُه على كثيرٍ مِنَ المتقدمين»[2].

ويعتبر الإمام العلامة أبو عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران(ت1227هـ)، أحد هؤلاء الأساطين المتضلعين بالعلوم، المتبحرين في الفهوم، الذين وهبوا حياتهم وأنفقوا أعمارهم في خدمة كتاب الله عز وجل؛ دراسةً وتعليماً

(1) سورة ص، الآية: 28.

(2) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (ص:2).

وتأليفاً، ويشهد لذلك رسائله التفسيرية المتناثرة في مختلف الخزائن العامة والخاصة، مما ينبئ على علو كعبه، وغوصه في معاني القرآن الكريم واستخراج درره وفوائده.

ومما لاشك فيه أنَّ لهذه الرسائل أهمية كبيرة في مجال الدراسات القرآنية، وتخدم كتاب الله عز وجل، وذلك لما اشتملت عليه من نكت بيانية دقيقة، وفوائد عظيمة. وهذا ما دفعني إلى جمعها وتحقيقها حتى تُعرف ويعرف صاحبها، وبخاصة أنّه لم يسبق إلى جمع تراثه التفسيري أحد، سوى بعض الدرسات الجامعية، من قبيل بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة بدار الحديث الحسنية: «الطيب بن كيران مفسراً وذكر نماذج من تفسيره» للأستاذ عبد الله الجباري، اقتصر فيه الباحث على ذكر نموذجين من تفسيره.

كما اشتغلت بالموضوع الأستاذة فايزة بوصلاح ، وأصدرت بعض الرسائل النحوية للعلامة ابن كيران، ضمنتها رسالته في الاستعاذة بعنوان: «رسالة نحوية في لو الشرطية» وقد سجلت على عملها بعض الملاحظات أجملها فيما يلي:

أولا: أخطاء في قراءة النسخ، مما ترتب عنه تصحيفات فاحشة، فمثلاً عند قول المؤلف في تقييده على الاستعاذة من الصفحة(109): «وحكى المسيبي عن أصحابه من قراء المدينة...»، فصحفت كلمة (المسيبي) ب (المنتسبين)، وفي نفس الصفحة عند قول المؤلف: «وانحياش القلب إليه والتحصّن به»، صحفت كلمة (التحصن) ب(التحضـي به)، وفي الصفحة(120) أورد المؤلف قول الوليد بن مسلم:

يا واشِياً حَسُنَتْ فينَا إِسَاءَتُهُ ... نَجَّى حِذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الغَرَق

صحفت كلمة(الغرق)ب(الغرم).

ثانيا: خلو النّص من توثيق النصوص والتعليق عليها يجعله أقرب إلىٰ الغموض.

ثالثا: من حيث المنهج، فلو اقتصرت -ذة فايزة- علىٰ جمع رسائل ابن كيران النحوية كان أحسن وأليق.

وإسهاماً مني في إحياء تراث هذا الشيخ الجليل، الذي ما زال الكثير منه حبيس رفوف الخزائن الوطنية والدولية ينتظر من يكشف النّقاب عنه، تأتي هذه العناية الخاصة التي أروم من خلالها إبراز ما يحمل فكره من إرث ثقافي غني، يُؤرخ لتاريخ المغرب المعاصر، ويُظهر الحمولة القرآنية والغنىٰ التفسيري الذي ميّز هذه الحقبة بالبلد. وقد ساعد الشيخ علىٰ ذلك تضلعُه الكبير في اللغة والبلاغة، والنحو والبديع، وغير ذلك من العلوم المساعدة.

وقد اجتهدت في ضبط هذه الرسائل وتوثيقها وفق النهج الآتي:

قمت بتقسيم العمل إلىٰ قسمين:

-القسم الأول: الدراسة.

-القسم الثاني: الرسائل المحققة.

فأما القسم الأول، فجعلته في مبحثين، وتحت كل مبحث مطالب:

خصصت المبحث الأول: للتعريف بالمؤلف؛ فذكرت نسبَه، ومولدَه، ونشأتَه، وشيوخَه، وتلاميذَه، وإقراءَه للعلم واشتغاله بالفتوىٰ، ثم آثاره العلمية، فمكانته، ثم ثناء العلماء عليه، ووفاته.

وأما المبحث الثاني: فجعلته مثل سابقه علىٰ مطالب، تناولت فيه الحديث عن موضوع الرسائل المحققة، ففصلت القول في هذا النوع من التفسير، وأهميته، وأسباب

التأليف فيه، ثم انتقلت إلى موضوع كل رسالة على حدة، والمصادر المعتمدة، ثم ختمته بمبحث وصف النسخ الخطية.

وأما القسم الثاني: فضمنته الرسائل المحققة، معتمدا في عرضها على النهج الآتي:

1- جمع النسخ الخطية للرسائل من الخزائن العامة والخاصة، وانتقائها وترتيبها.

2-نسخ المخطوطات وفق الرسم الإملائي الحديث، مع الحرص على وضع علامات الترقيم في مواضعها.

3- مقابلة المنسوخ على الأصول المنتقاة، مع إثبات الفروق بين النسخ في الحاشية.

4- تخصيص كل رسالة بعنوان خاص بها حسب موضوعها.

5- خرجت الأحاديث، فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بذلك، وإن كان في غيرهما تتبعته في مظانه، معتمداً في درجته على حكم أئمة هذا الشأن.

6- توثيق النقول من مصادرها، وعزو الأقوال إلى أصحابها قدر المستطاع.

7- التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في المتن، مع استثناء المشتهرين منهم.

8- ضبط الأشعار، ضبطا علمياً.

9- وضع فهارس تفصيلية على حسب حروف المعجم كاشفة لمحتوى الكتاب وهي: فهرس الآيات، فهرس الأحاديث والآثار، فهرس الأعلام المترجم لهم، فهرس الأشعار.

ولا أريد أن أختم هذه المقدمة دون كلمة شكر وتقدير بحروف المحبة الصادقة إلى كل من أعانني برأي أو تصويب أو تشجيع، وأخصّ بالذكر زملائي الباحثين نور

الدين شوبد، وجمال القديم وكل الأساتذة في مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، وكذلك زملائي الباحثين بمركز الدراسات القرآنية، مع دعائي لهم بالتوفيق والسداد، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعل هذا العمل المبارك خالصاً لوجهه الكريم، وأن يضعه في ميزان حسنات كل من ساهم فيه من قريب أو بعيد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله عليه وسلم وبارك علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.





القسم الأول:

الدراسة



المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته[1]

هو محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران الفاسي داراً ومنشأً،

(1) مصادر ترجمته وأخباره:

أزهار البستان في طبقات الأعيان، لأحمد بن عجيبة (ت 1224هـ)(ص219)، تاريخ الضُّعَيف الرباطي، لمحمد بن عبد السلام بن محمد الرباطي(ت1238 هـ)(1/ 32)، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل الله ونعمته، لمحمد أبو راس المعسكري الجزائري (ت1238 هـ)(ق77-79)، مقدمة شرح على منظومة ابن كيران في الاستعارة ، لمحمد البوري المسماة الأرجوزة الأنيقة في المجاز والحقيقة(ت1243هـ)(ص24)، جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان، لأبي القاسم الزياني(ت1249هـ)(ص127)، إمداد ذوي الاستعداد للمعالم الرواية والإسناد لعبد القادر الكوهن(ت1254هـ)(ص 10-11)، محمد المدني جلون (ت1298هـ)في خاتمة شرحه لتقييد ابن كيران في الاستثناء مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم 1854 د (ق 276-279)، زهر الآس في بيوتات أهل فاس، لعبد الكبير الكتاني(ت1263هـ)(2/ 127ـ129)، الدر النفيس في من بفاس من محمد بن نفيس، للوليد بن العربي العراقي(ت1265هـ)(ص 401)، ترجمة الشيخ محمد الطيب بن كيران، لمحمد بن العباس بن كيران(ت1271هـ)(من ق453-579)، الحسام المشرفي في الرد على أكنسوس المراكشي، لإدريس المشرفي(ت1313هـ)(مخطوط خ.ع. 2276ك)، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى لأبي العباس شهاب الدين الناصري(ت1315هـ) (7/ 165)؛ الشرب المحتضر والسر المنتظر من معين أهل القرن الثالث عشر، لجعفر بن إدريس الكتاني(ت1323هـ)(ص42ـ43)، معجم المطبوعات المغربية للقيطوني(ص308ـ309)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، لمحمد بن جعفر الكتاني(ت1345هـ) (3/ 5)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف(ت1360هـ)(376-377)، معجم طبقات المؤلفين في عهد الدولة العلوية، لابن زيدان(ت1365هـ)(2/ 149-154)، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للحجوي الثعالبي(ت1376هـ)(ص 625)، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع لابن سودة (ت1400هـ)(1/ 108)، النبوغ المغربي في الآداب العربي، لعبد الله كنون (ت1410هـ)(1/ 294)، معجم المؤلفين لعمر رضى كحالة(ت1408هـ)(10/ 109)، معلمة المغرب (20/ 6855-6856).

أبو عبد الله شيخ الجماعة بفاس وعالم الأعلام، خاتمة المحققين، وحامل راية المدققين، فقيه وعالم مشارك في الأصول والفروع، والمفردات والجموع، العلامة النظار، المطلع الحافظ، المفسر الكبير.

المطلب الثاني: أسرة ابن كيران

بالرجوع إلى المصادر اللغوية نجدها تحدثت عن أصل كلمة «كيران» التي أصبحت فيما بعد عَلَما لبيت مشهور تناسل منه العلماء والقضاة والتجار والوجهاء، ففي القاموس المحيط وردت كلمة «كِرَان» بدون ياء، حيث قال:«الكِرانُ ككِتابٍ: العُودُ أو الصَّنْجُ[1]، وبالضمِّ: بلد قُرْبَ دَرابَجِرْدَ، أو قُرْبَ سِيرافَ، وككَتَّان: مَحَلَّةٌ بأَصْفَهانَ، و بلد قُرْبَ تُبَّتَ، وحِصْنٌ بالمَغْرِبِ، وكُرِينُ بالضمِّ وكسر الراءِ: بلدة بطَبَسَ، وكِرْيَوْنُ كعِذْيَوْطٍ : بلدة قُرْبَ الاسْكَنْدَرِيَّةِ، والكَرينَةُ: المُغَنِّيَةُ جمع: كِرانٌ»[2].

وتعقب الشيخ محمد بن العباس بن كيران هذا القول، ولأهميته نورد نصّ كلامه، قال: «..والمئاب هنا ثلاثة أشياء، إما أصفهان وإما قرب الإسكندرية أو حصن بالمغرب، وهذا أولاها وقد سمع من بعض أسلافهم أنهم جاؤوا من سوس فيحتاج إذا إلى كونهم من سوس الأقصى، أو من سوس الأدنى ....، ونقل لي بعض من أثق به أن بالمشرق سوسا آخر أيضا، فهم ثلاث سوسات، ولعل هذا الثالث هو المراد بكونه قرب الإسكندرية أو أصفهان؛ نعم اللفظ على الإطلاقات الثلاثة لحقه تغيير، ولعل

---

(1) ومنه قول لبيد:

صَعْلٌ كسافِلةِ القَناةِ وظِيفُه   وكأَنَّ جُؤْجُؤَه صَفِيحُ كِرانِ

انظر تاج العروس(36/ 47) مادة «كرن».

(2)القاموس المحيط(4/ 297-298) مادة كرن، وتاج العروس(36/ 47) مادة«كرن».

ذلك لكثرة الاستعمال، فاشحذ ذهنك في مطالعة كتب التاريخ ليظهر لك ما تعتمد عليه في هذا، وإن كان الناس مصدَّقين في أنسابهم، فيصار إلى الاعتماد على القول بأن هؤلاء جاؤوا من سوس، وسوس إقليم عظيم يحتاج من ادعى هذا الدعوى إلى بيان محلتهم منه، والله تعالى أعلم»[1].

وقال ياقوت الحموي:«كيران مدينة بأَذْرَبِيجَانْ بين تِبْرِيز وبيلقان، أخبرني بها رجل من أهلها في بلاد العرب موضع يقال له كيران، وقال شاعر:

وَلما رَأَيْتُ أَنَّنِي لَسْت مانعا   كران ولا كيران من رهط سالم»[2]

ومهما يكن، فإن هذا البَيتَ لم يصبح لبعض أفراده شأن حتى استقروا بالمغرب الأقصى، وانتقل كثير منهم إلى السودان ومليلية، وطنجة، والعرائش، ومكناس، والدار البيضاء، ومراكش، والجديدة، وعين سيدي ملوك (ناحية وجدة)[3]. وكان منهم العلماء والنظار، والقضاة والتجار، وهم فُرق كثيرة[4]، منها:

- فرقة تدعى بأولاد ابن سيدهم، كان منهم المكرم الحاج أحمد بن سيدهم ابن كيران.

- فرقة شيخ الجماعة بفاس أبي عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران.

---

(1) ترجمة الشيخ محمد الطيب بن كيران، لمحمد بن العباس بن كيران (ق453).

(2) معجم البلدان (4/ 497).

(3) معلمة المغرب، مقال لعبد الرحمن القباج (20/ 6855).

(4) ذكرها عبد الكبير الكتاني في زهر الآس (2/ 127-131)، و معلمة المغرب (20/ 6856-6857).

● فرقة الفقيه العلامة المفسر الكبير السيد العباس بن محمد بن كيران الفاسي، ولاه السلطان المولى عبد الرحمان العلوي الحسني قضاء مكناس الزيتون، فكان مسموع الكلمة، محقق في النحو والصرف، عارف بصناعة المنطق والأصلين، له حاشية على صحيح البخاري في سفرين، وشرح على خطبة الألفية... إلى غير ذلك. توفي رحمه الله 1271هـ.

● فرقة المكي بن الحاج محمد ابن كيران الفاسي.

● فرقة أولاد عم عزوز ابن كيران، كانت له ثروة ووجاهة وكان من أعيان أمناء وقته.

ومن العلماء الأعلام البارزين، الذين اشتهر أمرهم، وذاع صيتهم، وبفضلهم عرف بيت ابن كيران:

● الشيخ عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران والد الشيخ الطيب، كان عالما، عاملا، خيّرا، ديّنا، صوفيا، توفي رحمه الله يوم الثلاثاء 20 محرم عام (1105هـ)، ودفن بزاوية الولي الصالح سيدي قاسم بن محمد بن رحمون الحسيني، بأقصى درب الأمناء من حومة النجارين[1].

● الفقيه أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن عبد المجيد بن كيران، أخو الشيخ الطيب؛ كان علامة، متقنا، شاعرا، أديبا، مشهور بالتأليف والتصنيف، له نظم في

(1) ترجمة الشيخ محمد الطيب بن كيران، لمحمد بن العباس بن كيران (ق449-450).

الجُمل، وتقييد في أنواع البديع، في مبادئ العروض، توفي رحمه الله (1214هـ)، ودفن بروضة العلماء بالقباب[1].

● العالم العلامة شيخ الجماعة بفاس أبو عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران(ت1227هـ)، وهو أشهرهم، وصاحب هذه الرسائل التي بصدد تحقيقها، وسيأتي التعريف به.

● أبو بكر ابن محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران، ابن الشيخ الطيب، كان علامة مشاركا، نحويا، أديبا، مطّلعا، مدرسا، وخلف أبناءه: محمد الطيب سميٌّ جده، والسيد المرتضى، والحاج حماد، توفي رحمه الله سنة (1267هـ)، ودفن بروضة العلماء بالقباب مع أبيه[2].

● الشيخ محمد الطيب بن أبي بكر بن عبد المجيد بن كيران حفيد الشيخ الطيب، نوازلي، علامة مشارك، أخذ عن أبيه أبي بكر، وعن حمدون ابن الحاج، وأحمد المرنيسي وغيرهم، له تآليف عديدة، منها: رحلة إلى الحج سماها«الرحلة الفاسية الممزوجة بالمناسك المالكية»، توفي رحمه الله يوم السبت 12 شعبان (1314هـ)، ودفن بروضة العلماء بالقباب، مع أبيه وجده[3].

---

(1) ذكره محمد بن العباس في ترجمته للشيخ بن كيران (ق531)، سلوة الأنفاس(3/ 5)، إتحاف المطالع(1/ 90).

(2) ذكره محمد بن العباس في ترجمته للشيخ بن كيران (ق541)، زهر الآس(2/ 129)، إتحاف المطالع(1/ 195)، معلمة المغرب(20/ 6855).

(3) زهر الآس(2/ 129)، إتحاف المطالع(1/ 333)، ومعلمة المغرب(20/ 6856).

- أبو عبد الله محمد بن العباس بن كيران الفاسي كان إماماً بمسجد سيدي الصافي، وأخذ عن الشيخ الطيب بن كيران ولازمه كثيرا، وكان يسرد بين يديه، توفي رحمه الله تعالى سنة (1271هـ) [1].

- الحبيب بن التهامي بن كيران الفاسي أصلاً المراكشي موطناً، علامة مشارك، فقيه موثق، توفي رحمه الله بمراكش ليلة الجمعة 15 رجب عام (1318هـ)[2].

- محمد بن محمد بن كيران الفقيه العلامة، كان مدرسا بكلية القرويين، تولى رئاسة محكمة وجدة، توفي رحمه الله يوم الاثنين26 ذي الحجة عام (1398هـ)[3].

المطلب الثالث: مولده ونشأته

ولد العلامة محمد الطيب بن كيران بفاس عام 1172هـ/ 1785-1786م[4]، وكانت هذه المدينة يومئذ تعج بالعلماء الأفذاذ والسادة الأخيار، في هذا الحصن العلمي ترعرع ابن كيران ونشأ في أسرة اشتهرت بالعلم والصلاح والوجاهة والنباهة، وقد تقدم أن أباه كان من العلماء الربانيين؛ إذ حرص على تنشئة أبنائه على الخير وحبّ العلم والعلماء. وظهرت على المترجَم بوادر النبوغ والذكاء، والجد والاجتهاد منذ المراحل الأولى من حياته، وكان يتمتع بحافظة قوية شهد له بها أقرانه، فحصل في زمن يسير على علم كثير، فنفع وانتفع، وشارك شيوخه في كثير من تلامذتهم. ولما أَنس منه

---

(1) صرح بذلك في ترجمته له (ق553-554)، سلوة الأنفاس(3/ 444)، معلمة المغرب(20/ 6857).

(2) إتحاف المطالع (1/ 349). معلمة المغرب (20/ 6856).

(3) معلمة المغرب (20/ 6857).

(4) سلوة الأنفاس(3/ 5)، إتحاف المطالع(1/ 2487).

شيوخه هذا النبوغ المبكر في التحصيل والإدراك بدأوا يقدمونه في المجالس، فكان يلقي دروسا مباركة في الحديث والفقه والعربية يشهدها جمع غفير من الطلبة، وهو إذ ذاك لم يبلغ حدود العشرين من عمره، فاستوجب حينئذ التصدير من أُولي التحقيق والتحرير؛ وذلك فضل الله يوتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم[1].

المطلب الرابع: شيوخه

أخذ الشيخ محمد الطيب بن كيران العلوم الشرعية واللغوية بفاس، ومن الفنون التي درسها هناك، التفسير والحديث والمنطق والتصوف والنحو والبلاغة، وقد ألف في كل هذه الفنون وغيرها كما سيأتي معنا، وعرف في أكثرها بالاجتهاد لا بالتقليد، وتشهد له بذلك مؤلفاته التي أصبحت متداولة بين طلبة العلم في المدارس العلمية.

فكان من جملة من أخذ عنهم:

- أبوعبد الله محمد بن قاسم جسوس شيخ الجماعة في وقته (ت1182هـ)[2].
- أبو حفص عمر بن عبد الله بن يوسف بن العربي الفاسي الفهري خاتمة المحققين الأعلام، (ت1188هـ)[3].
- أبو الحسن زين العابدين المدعو زيان بن هاشم العراقي الحسيني توفي (1194هـ)[4].

---

(1) ترجمة ابن كيران لمحمد بن العباس بن كيران (ق461).

(2) شجرة النور الزكية (ص 355)، إتحاف المطالع(1/ 28).

(3) شجرة النور الزكية(ص356)، إتحاف المطالع(1/ 37).

(4) الدر النفيس(ص370)، إتحاف المطالع(1/ 48).

□ أبوعبد الله محمد بن الحسن بن مسعود البناني الإمام الهمام العلامة النحرير، توفي (1194هـ)[1].

□ أبو محمد عبد الكريم بن علي الزهني اليزغي توفي (1199هـ)[2].

□ أبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن علي بن سودة توفي (1209هـ)[3].

□ أبو محمد الفاسي عبد القادر بن أحمد بن العربي بن شقرون توفي (1219هـ)[4].

□ أبو عبد الله محمد بن طاهر الهواري العلامة الفاضل. توفي (1220هـ) [5].

□ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي، خاتمة الحفاظ توفي (1239هـ)[6].

ونظرا لـما رأىٰ العلماء من نبوغه المبكر والفتح الرباني عليه، أجازه جمٌّ غفير منهم: الإمام الهمام زين العابدين بن هاشم العراقي الحسيني(ت1194هـ)، والمحدث الكبير خاتمة الحفاظ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي(ت1239هـ)، وأبوعبد الله مَحمد ابن سالم الحفناوي محقق الشافعية في الديار المصرية(ت1288هـ)، كتب له إجازة مطلقة، وغيرهم كثير[7].

---

(1) شجرة النور الزكية(ص357)، إتحاف المطالع (1/ 48).

(2) شجرة النور الزكية(ص305)، إتحاف المطالع (1/ 58).

(3) شجرة النور الزكية (ص372)، إتحاف المطالع (1/ 78).

(4) إمداد ذوي الاستعداد (ص7)؛ سلوة الأنفاس (3/ 5).

(5) الشرب المحتضر والسر المنتظر (ص42)، شجرة النور الزكية (ص 375) إتحاف المطالع (1/ 100).

(6) إتحاف المطالع (1/ 133)، شجرة النور الزكية (ص381).

(7) ترجمة ابن كيران (ق461)، إمداد ذوي الاستعداد (ص10).

المطلب الخامس: تلاميذه

كرس العلامة محمد الطيب بن كيران حياته لطلب العلم والحرص على الاستفادة من شيوخه، وبعد أن ظهر نبوغه، وذاع صيته العلمي في كل مكان، رغب إليه الطلبة في التتلمذ عليه، والاستفادة منه، فانتفع به خلق كثير، وتخرج على يده عدد كبير، وأخذ عنه قوم لا يحصون، نذكر أشهرهم:

- محمد بن عمرو الزروالي الفاسي توفي بمراكش (1230هـ)[1].
- حمدون بن الحاج السلمي الـمَرْدَسي أبو الفيض الشيخ الشهير المفسر الكبير اشتغل بالتدريس والتأليف توفي (1232هـ)[2].
- أبو عبد الله محمد ابن منصور الشفشاوني أصلا الفاسي داراً (ت1232هـ)[3].
- أحمد بن عبد السلام بن أحمد بناني(ت1234هـ)[4].
- السلطان المولى سليمان بن عبد الله بن إسماعيل الحسني العلوي السجلماسي، إمام مشارك في كثير من العلوم؛ وتوفي بمراكش عام(1238هـ) [5].
- محمد بن عبد الكريم بن علي اليازغي الزهني(ت1238هـ)بمراكش[6].

---

(1) شجرة النور الزكية (ص377)، إتحاف المطالع (1/ 115).

(2) سلوة الأنفاس (3/ 5)؛ شجرة النور الزكية (ص379)، إتحاف المطالع (1/ 120).

(3) شجرة النور الزكية (ص379)، إتحاف المطالع (1/ 120).

(4) إتحاف المطالع (1/ 123).

(5) إتحاف المطالع (1/ 131)، جمهرة التيجان (ص127).

(6)إتحاف المطالع (1/ 131).

- محمد بن عبد السلام بن محمد الرباطي الملقب بالضُّعيف الرّباطي(ت1238هـ) كما ذكره في تاريخه[1].

- أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الدوكالي الفاسي(ت1241هـ)[2].

- أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الفاسي(ت1242هـ)[3].

- محمد التهامي بن الحاج محمد البوري (ت1243هـ)شارح نظم شيخه في الاستعارة[4].

- محمد بن الحسن أقصبي له شرح على أرجوزة شيخه الطيب ابن كيران في الاستعارة(ت1250هـ)[5].

- عبد القادر بن أحمد بن أبي جيدة الكوهن الفاسي الشيخ الجليل الدراكة المحدث توفي (1254هـ) دفن بالبقيع حاجاً[6].

- أبو العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد القادر الإدريسي الودغري (ت1257هـ)[7].

---

(1) تاريخ الضعيف الرباطي(1/ 28-32).

(2) شجرة النور الزكية(ص381)، إتحاف المطالع(1/ 139).

(3)إتحاف المطالع(1/ 104)ترجم له في أزهار البستان (مخطوط بالخزانة العامة رقم 286ك، ص219).

(4) سلوة الأنفاس(3/ 9)؛ إتحاف المطالع(1/ 142).

(5) سلوة الأنفاس(3/ 10)؛ إتحاف المطالع(1/ 154).

(6) إمداد ذوي الاستعداد(ص3)، شجرة النور الزكية(ص397).

(7) شجرة النور(ص397)، إتحاف المطالع(1/ 170).

- أبو عبد الله محمد بن أحمد السنوسي الحسني الفقيه العلامة (ت1257هـ)[1].
- أبو الحسن علي بن إدريس بن علي قصارة(ت1259هـ)[2].
- العربي بن محمد العزوزي الزرهوني(ت1260هـ)[3].
- أبو محمد عبد السلام الجيزي(ت1264هـ)[4].
- الوليد بن العربي العراقي (ت 1265هـ)[5].
- أبو بكر بن العلامة الطيب بن كيران كان علامة مشارك نحويا مطلعا توفي 1267هـ ودفن بروضة العلماء بالقباب مع أبيه[6].
- محمد المدني بن الكبير الفلالي الغرفي(ت1267هـ)[7].
- أبو عبد الله محمد بن العباس بن كيران الفاسي (ت1271هـ)[8].
- العباس بن محمد بن كيران الفاسي تولى قضاء مكناس(ت1271هـ)[9].
- عبد الهادي بن عبد الله بن التهامي العلوي(ت1272هـ)[10].

---

(1) شجرة النور(ص397)، إتحاف المطالع(1/ 170).

(2) شجرة النور(ص398)، إتحاف المطالع(1/ 174).

(3) شجرة النور(ص398)، إتحاف المطالع(1/ 176).

(4) شجرة النور(ص399)، إتحاف المطالع(1/ 188).

(5) الدر النفيس(ص397).

(6) زهر الآس(2/ 129)، إتحاف المطالع(1/ 195).

(7) إتحاف المطالع(1/ 196).

(8) كما صرح في ترجمته للشيخ بن كيران (ق553-554)، معلمة المغرب(20/ 6857).

(9) إتحاف المطالع(1/ 205)، معجم طبقات المؤلفين على عهد الدولة العلويين (2/ 157).

(10) إتحاف المطالع(1/ 208).

- محمد بن عبد الله بن إدريس العراقي(ت1272هـ)[1].
- محمد بن حمدون ابن الحاج السلمي (ت1274هـ)[2].
- أبو العباس أحمد البدوي بن أحمد بن أبي جيدة الشهير بزويتن (ت1275هـ)[3].
- أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الفلالي الحجرتي الفاسي (ت1275هـ)[4].
- أبو العباس أحمد بن محمد المرنيسي الفاسي (ت1277هـ)[5].
- محمد الشاوي الفاسي[6].
- أبو عبد الله محمد بن العربي قصارة (ت1285هـ)[7].
- وعبد السلام بن الطايع بن غالب (ت 1290هـ)[8].
- أبو الحسن علي بن محمد جلون الفاسي (ت1292هـ)[9].

---

(1) إتحاف المطالع(1/ 208).

(2) شجرة النور(ص401)، إتحاف المطالع(1/ 213).

(3) شجرة النور(ص401-402)، إتحاف المطالع(1/ 215).

(4) شجرة النور(ص401)، إتحاف المطالع(1/ 215).

(5) شجرة النور الزكية(ص403)، إتحاف المطالع(1/ 221).

(6) سلوة الأنفاس(3/ 5).

(7) شجرة النور(ص397)، إتحاف المطالع(1/ 172).

(8) إتحاف المطالع(1/ 252).

(9) إتحاف المطالع(1/ 256)، كما صرح ابنه محمد المدني بأن والده ممن أخذ عن الطيب ابن كيران (مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 1854د، ص108).

المطلب السادس: إقراؤه للعلم واشتغاله بالفتوى

لما تضلع الشيخ محمد الطيب بن كيران بالعلوم وتبحر في الفهوم، صار علاّمة الدنيا، جامعاً لأدوات الإجتهاد، قادراً علىٰ الاستنباط وتنقيح المسائل والعلل، بالغاً غاية الأَرَبْ في جميع العلوم، من النحو والتصريف، واللغة والعروض، والمعاني والمنطق، والبيان والبديع، والفقه والحديث؛ إليه يُرجع في بيان المتن والتعليل، وعليه يعتمد في طرق الجرح والتعديل؛ فوهب رحمه الله تعالىٰ حياته للعلم والاشتغال به.

ومن الكتب التي تولىٰ إقراءها: الكشاف للزمخشري، وتفسير البيضاوي، وصحيح مسلم، ومسند الدارمي، وموطأ الإمام مالك، والحكم لابن عطاء، والإحياء لأبي حامد الغزالي، والرسالة لابن أبي زيد، والمرشد المعين، وألفية ابن مالك، وحاشية ابن هشام، والمحلي، والمطول والمختصر للسعد، والمغني اللبيب، والسلم، والصغرىٰ، ومختصر خليل[1].

وقد أورد الضُّعَيِّف في تاريخه إشارات عن بعض مجالس إقرائه التفسير، ومن ذلك قوله: «وفي يوم الثلاثاء 24 من شعبان 1211 وقف الفقيه الطيب بن كيران علىٰ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ في التفسير، وفي الغد ختم القرآن بالشرح في زاوية ابن رحمون وحضر السلطان في الختم»[2].

وصرح العالم الأريب والأديب النبيل السيد محمد بن العباس بن كيران في ترجمته أنه لازمه كثيرا، وقرأ عليه التفسير بالقبة الإدريسية، حتىٰ قال: «وقرأت عليه المختصر بمسجد زقاق الحجر، وقرأت عليه المرشد المعين بنفس المسجد بين العشائين، وقرأت

---

(1) إمداد ذوي الاستعداد (ص10).

(2) تاريخ الضعيف الرباطي(2/ 510).

عليه مختصر السعد بنفس المسجد أيضاً، وقرأت عليه قبل هذا كله ألفية ابن مالك...، وحصل هذا كله بمسجد زقاق الحجر...، وقرأت عليه ألفية ابن مالك أيضا بالتصريح وحاشيته المذكورة بمسجد الخطبة من حومة الشرابلين، وبه قرأت عليه المختصر أيضا من أوله، وقرأت عليه أواخر صحيح مسلم بزاوية مولانا قاسم بن رحمون، وقرأت عليه مسند الإمام الدارمي...»[1].

وكما تقدم فإن الشيخ ابن كيران كان يلقي دروسه بمواضع متعددة اشتهرت بإشعاعها العلمي الكبير، فقد ذكر محمد بن عبد السلام الرباطي(ت1238هـ) أنّ الشيخ كان يُدَرِّس مختصر خليل، وشرح ألفية ابن مالك، والتلخيص، والتفسير بالقرويين، وزاوية ابن رحمون، وجامع الرصيف، وجامع زقاق الحجر بالتناوب، وكان السلطان سليمان كثيراً ما يأمر العلماء بنقل مجالسهم من مكان إلى مكان[2].

فكانت دروسه يشهدها جمع غفير من الطلبة وعامة الناس، وهو إذ ذاك لم يبلغ حدود العشرين، جاريا على سَنن المهتدين، فاستوجب حينئذٍ التصدير من أولي التحقيق والتحرير[3].

كان السلطان المولى سليمان يعتمد عليه كثيراً ويستفتيه في مسائل متفرقة، ويستشيره في كل ما استجد في وقته، من ذلك ما ذكر محمد بن العباس أن المولى سليمان أمر الشيخ محمد بنيس والشيخ الطيب بن كيران الجواب عن مسألة السترة، فأجاب بنحو الورقة جوابا شافيا نثراً ونظماً[4].

---

(1) ترجمة محمد بن العباس للشيخ الطيب (ق554-555).

(2) تاريخ الضعيف (2/ 568).

(3) ترجمة محمد بن العباس للشيخ الطيب (ق461).

(4) نفسه، (ق477).

المطلب السابع: آثاره العلمية

كان الشيخ ابن كيرن من العلماء المبرزين في التأليف، ولم تقتصر مؤلفاته على فنّ واحد من فنون المعرفة الإنسانية، بل كل المجالات العلمية.

قال الشيخ عبد القادر الكوهن(ت1254هـ) وهو أحد تلامذته النجباء: «يعرف أكثر الفنون على نهج الاجتهاد، وهو وإن لم يجتهد بالفعل للقطع بانقطاعه فقد كاد، أمّا العلل فلا يقلد فيها ولا يرى النظر الإجمالي يكفيها»[1].

ولعل مما يلفت انتباه المتتبع لتراث الشيخ الطيب بن كيران، ذلك التنوع الكبير، والتجدد في المضمون، فقد ألف رحمه الله في كل فنون المعرفة، وهذا ما سنكتشفه عند ذكر آثاره العلمية.

وقد بذلت الجهد في تتبع آثاره، وتصنيفها حسب موضوعاتها، مع بيان المخطوط منها والمطبوع، وهذا تفصيل ما تيسر لي الوقوف عليه.

۞ أولا: آثاره في التفسير

- ☐ تفسيرٌ من سورة النساء إلى غافر[2].
- ☐ تفسير طرف من البقرة[3].

---

(1) إمداد ذوي الاستعداد(ص10).

(2) أشار ابن سودة إلى أنّ ابن كيران قد توقف في شرحه لسورة غافر عند قوله تعالى:﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾[سورة غافر، آية39] وتوفي قبل إتمامه. وقال محمد المدني في ترجمته للشيخ ابن كيران (ق106): «اعتمد فيها على تفسير النيسابوري ولو تم لكان تمام المنية، وهو من أنفس التفاسير المتوسطة».

(3) نسبها له محمد بن العباس بن كيران في ترجمته له (ق467)، شجرة النور(ص367).

□ جواب على السيد حمدون بن الحاج في قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ وهو نظم[1].

□ جواب عن سؤال متعلق بكتابة المصحف لشخص يحفظ رسمه ويتقنه من حفظه[2].

□ مجموع من الرسائل التفسيرية، التي هي موضوع بحثنا سنتحدث عنها بإسهاب في المحور المخصص لذلك.

ثانيا: آثاره في الحديث

□ شرح العشرة الأخيرة من الأربعين النووية[3].

□ تقييد في قوله صلى الله عليه وسلم: «لايدخل الجنة ولد زنى ولا ولد ولده»[4].

□ حكم لفظة: «قال» في سند الحديث[5].

□ تقييد في حديث القراريط[6].

---

(1) سورة يوسف، آية32. مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 2787د ضمن مجموع من (266 - 268).

(2) مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 153ج ضمن مجموع.

(3) طبع مع بقية شرح الأربعين المذكورة لثلاثة من العلماء سنة 1309هـ، معجم المطبوعات (ص309)، وحقق ضمن بحث الدكتورة من إنجاز الطالبة نجلاء التجكاني، وإشراف الدكتور إدريس بنضاوية بدار الحديث الحسنية سنة 2004/ 2005.

(4) مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 11065،و نسخة بمؤسسة علال الفاسي رقم389 ضمن مجموع، وفيه نسخ بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 2145، 153ج، 1072ك. وقد طبع على الحجر بفاس.

(5) مخطوط بمؤسسة علال الفاسي رقم 389ع، ونسخة بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 1755د ضمن مجموع من (54 -61).وأخرى بالخزانة الصبحية 27/ 12.

(6) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 153ج ضمن مجموع من (29 – 35).

ثالثا: آثاره في الفقه

- تقييد على قول خليل في مختصره[1].
- تقييد في السترة نظماً ونثراً[2].
- مناسك الحج[3].
- شرح الرسالة القيروانية[4].
- تقييد على المختصر الخليلي والقضاء في التطوع بموجبها[5].
- جواب على سؤال متعلق بزنا امرأة في عصمة زوجها[6].
- جواب على كتابين للمولى سليمان في فريضة الحج[7].
- جواب على سؤال المولى سليمان حول نزع العمال أموال الناس وإخفاءها في الزوايا وأكلها بالباطل[8].
- جواب في مسألتي كيفية رفع اليدين في الدعاء أدبار الصلوات[9].

---

(1) منه نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط رقمها 1724 د .

(2) نسبه إليه ابن سودة في إتحاف المطالع(1/ 108).

(3) طبع على الحجر بفاس مطبعة العربي الأزرق 1306هـ. معجم المطبوعات القيطوني (ص 309)

(4) توجد نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 2334د.

(5) توجد نسخة مخطوطة بالخزانة الحسنية رقم 7433و 6726و922

(6) توجد نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط(153ج) ضمن مجموع، وأخرى 2594د.

(7) توجد نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم (2753د) ضمن مجموع من 95 إلى 96 .

(8) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 1072ك ضمن مجموع من 100 إلى 103 .

(9) مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 12080.

□ تقييد في حكم الترخيص لبعض النصارى شراء خيل المسلمين مقابل تنازلهم عن ثلاثة ثغور[1].

□ جواب حول نزاع وقع بفاس أيام السلطان المولى سليمان بين الخرازين المسلمين وبين اليهود[2].

□ تقييد في سكر القالب[3].

رابعا: آثاره في اللغة والآداب

□ نظم بديع في المجاز والاستعارة[4].

□ أرجوزة في الشرفاء القادريين[5].

□ تقييدٌ في حقيقة الهمزة المسهلة وحقيقة التسهيل[6].

□ تقييد في حقائق النكرة واسم الجنس وعلمه والمفرد بلام الحقيقة[7].

---

(1) مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 1126.

(2) مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 11322، وأخرى 11786.

(3) ذكره محمد المدني بن جلون(ق107) وغيره.

(4) طبع أكثر من مرة قديما وحديثا، مشهور بين طلبة العلم وشرحه محمد التهامي البوري، وشرحه أيضا محمد أقصبي،(معجم المطبوعات 309)، توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية رقمها 15/75 د ضمن مجموع، وأخرى بالخزانة الحسنية رقمها 9848 ضمن مجموع.

(5) مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 13268 ضمن مجموع من (48 – 49).

(6) توجد نسخة مخطوطة بمؤسسة علال الفاسي رقمها 389 ضمن مجموع، وأخرى بخزانة جامع مولاي عبد الله الشريف بوزان ضمن مجموع رقم 462.

(7) طبع على الحجر بفاس، توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية رقمها 6/271 د، ضمن مجموع، وأخرى بالخزانة الحسنية ضمن مجموع 12286.

☐ تقييد في معرفة الفرق بين النكرة، واسم الجنس، وعلم الجنس، والمعرفة بلام الحقيقة، ولام العهد الذهني، ولام الاستقراء، ولام العهد الخارجي[1].

☐ تقييد على تلخيص المفتاح[2].

☐ استعارات مختصره من السعد[3].

☐ تقييد في مسألة نحوية بباب الإستثناء[4].

☐ تقييد في لو الشرطية[5].

☐ تقييد في تسهيل الهمزة[6].

☐ شرح ألفية المحاذي الشهير بالتوضيح لابن هشام لم تكمل أوصلها إلى أواسط إعراب الفعل[7].

☐ حاشية على أوضح المسالك لابن مالك[8].

---

(1) طبع على الحجر بفاس توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بالرباط 2680د ضمن مجموع، وأخرى بالخزانة الحسنية رقم 12286.

(2) مخطوط بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية رقم 12641-6.

(3) مخطوط بالخزانة الصبيحية رقم 254/ 6.

(4) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط 1755د، و 153ج، وفيه نسخ بالخزانة الحسنية رقم 11065، 12286. 12286.

(5) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، وبالخزانة الحسنية، وغيرها، وقد تقدم الإشارة إلى تحقيقه في المقدمة.

(6) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 1072ك ضمن مجموع من (95 - 100)، وبمؤسسة علال الفاسي الفاسي 389ع.

(7) طبع على الحجر بفاس سنة 1315هـ وفيه نسخ مخطوطة بالخزانة العامة رقم 3840د، ورقم 1673ك.

(8) طبع على الحجر بفاس سنة 1315هـ وفيه نسخ بالخزانة الحسنية رقم 4754 و 6687.

☐ تقييد في الفرق بين قولك: «غلام زيد» ونحوه وبين قولك: «غلام لزيد» ونحوه[1].

☐ تقييد في متعلق الجار والمجرور في البسملة[2].

☐ تقييد في الاستثناء[3].

☐ نظم في بضعة أسطر في المواضع التي انفردت الواو في باب العطف علىٰ ما للأزهري في التصريح[4].

☐ تقييد في الحالات التي يتقدم فيها المسند إليه علىٰ المسند[5].

☐ تقييد علىٰ قول التلخيص فـ«إن» و«إذا» للشرط[6].

☐ تقييد عليه مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود[7].

خامسا: آثاره في العقيدة والتوحيد

☐ شرح توحيد المرشد المعين[8].

---

(1) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 90ح ضمن مجموع ص 196.

(2) مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 11065، ونسخة أخرىٰ بالمكتبة الوطنية بالرباط 1755د ضمن مجموع .

(3) متبوع بشرحه لمحمد المدني بن جلون ثم ترجمة لابن كيران مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط 1854د ضمن مجموع من 54 إلىٰ 55، ونسخة في الخزانة الحسنية رقم 12383.

(4) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 2787د ضمن مجموع من 214 إلىٰ 215.

(5) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 153ح ضمن مجموع من 253 إلىٰ 255، ونسخ بالخزانة الحسنية 11786، 12286.

(6) ذكره محمد المدني ابن جلون في ترجمته للمؤلف.

(7) ذكره محمد المدني ابن جلون (ق107).

(8) طبع علىٰ الحجر أكثر من مرة بفاس، وتوجد نسخ خطية من الشرح بالمكتبة الوطنية رقم 81ك، ونسخة بخزانة بن يوسف رقمها 390.

- ☐ تقييد حول زيارة الأولياء والتوسل بهم[1].
- ☐ تقييد حول التعلق بالأنبياء والصالحين[2].
- ☐ شرح كتاب العلم من الإحياء[3].
- ☐ تقييد تزاور أهل الجنة وتحسرهم[4].
- ☐ قصيدة في شعب الإيمان[5].
- ☐ قصيدة في مراتب الوحي[6].
- ☐ تقييد تزاور أهل الجنة وتحسرهم[7].
- ☐ جواب لأمير المؤمنين سليمان عن مسألة الكسب وخلق أفعال العباد[8].
- ☐ شرح كتاب الإيمان من الإحياء للغزالي[9].
- ☐ تقييد في قول الغزالي ليس في الإمكان أبدع مما كان[10].

---

(1) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط 153ح ضمن مجموع من 75 إلى 86.

(2) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط 153ح ضمن مجموع من 36 إلى 75.

(3) ذكره ابن زيدان (2/ 150).

(4) أورده ابن سودة في إتحاف المطالع(1/ 108).

(5) طبعت على الحجر بفاس، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 2821د ضمن مجموع من 328 إلى 329، 329، وأخرى بالمكتبة العامة بتطوان رقم 659.

(6) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 2821د ضمن مجموع من 329 إلى 330.

(7) أورده ابن سودة في إتحاف المطالع (1/ 108).

(8) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 1838د ضمن مجموع من 133 إلى 142، ونسخة أخرى 153ج.

(9) ذكره محمد المدني ابن جلون (ق107).

(10) نفسه.

سادسا: آثاره في التصوف والأخلاق.

- شرح الصلاة المشيشية[1].
- شرح الحكم العطائية[2].
- شرح نصيحة أبي العباس الهلالي[3].
- شرح كتاب العلم من الإحياء للغزالي[4].
- عقد نفائس الآلي في تحريك الهمم العوالي[5].

سابعا: آثاره في السيرة النبوية

- شرح على ألفية العراقي في السيرة [6].

---

(1) مطبوع عن المجمع الثقافي بأبوظبي، توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية رقمها 1870، وأخرى بخزانة بجامع مولاي عبد الله الشريف بوزان رقمها 462 ضمن مجموع.

(2) مخطوط من الشرح بالمكتبة الوطنية تحت رقم 2113 د، و2524د، 2534ك؛ وأخرى بخزانة القرويين رقمها 1696.

(3) ذكره محمد المدني ابن جلون (ق107).

(4) نفسه.

(5) طبع بعنوان الرؤية الصوفية عند الشيخ الطيب بن كيران وتحقيق كتابه: «عقد نفائس اللآل في تحريك الهمم الهمم إلى السمو إلى مراتب الكمال» دراسة وتحقيق مصطفى الحكيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. ط. (2007/ 1428هـ).

(6) توجد نسخة مخطوطة من شرح ابن كيران بالخزانة العامة رقمها 1379 م، و2064د، 2478د،وأخرى 2478د،وأخرى بالخزانة الصبحية رقمها55/ 1-2، وأخرى بخزانة القرويين، رقمها 1486. وقد حقق قسم المغازي من هذا الكتاب ضمن رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب بالرباط من إنجاز الطالب محمد بن جبور تحت إشراف الدكتور محمد يسف سنة 1994/ 1995.

ثامنا: آثاره في المنطق والفلسفة

- تقييدات ابن كيران في الفلسفه[1].
- شرح خريدة الشيخ حمدون بن الحاج في المنطق[2].
- منظومة في الخصال المكفره لما تقدم وما تأخر من الذنوب[3].
- رسالة في القوة المدركة[4].
- المقولات العشر[5].
- تقييد في الحواس الخمس[6].
- تقييد في الألغاز[7].

تاسعا: موضوعات مختلفة:

- قصيدة في مدح مولانا سليمان[8].
- تقاييد متنوعة[9].

---

(1) منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية رقم 5-12641

(2) طبع على الحجر بفاس سنة 1315هـ، منه نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية رقمها 190، وأخرى بالخزانة الحسنية رقمها 2421، وأخرى بمؤسسة علال الفاسي رقمها 705 ضمن مجموع.

(3) مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 425م.

(4) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 1755د ضمن مجموع من 108 إلى 111.

(5) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 153ج ضمن مجموع من 309 إلى 310.

(6) مخطوط بالخزانة الصبيحية رقم 87/11.

(7) مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 13753.

(8) مخطوط بالخزانة العامة 774د ضمن مجموع من 117 إلى 118.

(9) مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 4623.

□ تقييد في بيان الفرق بين النسبة والحكم[1].

وبهذا نخلص إلى أنَّ الشيخ محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران، له حضور في ساحة العلم، واجتهد في كثير من العلوم والمعارف، فصار بذلك إماماً في التفسير وفقيهاً ومحدثاً ولغوياً بارعاً.

وقد انعكست التربية القرآنية والعلمية التي غرست في وجدانه في كل ما أبدعه من تآليف نفيسة، قوية التناول، جميلة العبارة، عظيمة المضمون، فحقق وبحث، وأبرز ما استتر، بفطرة سليمة، وفكرة قويمة، وعلوم فخيمة، وفهوم وسيمة، فلله درُّه من إمام جامع لمحاسن الأحاسن.

المطلب الثامن: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

جدَّ الشيخ محمد الطيب بن كيران في طلب العلم وتحصيله وملازمة شيوخه، حتى فاق أقرانه، وحظي في وقته بمكانة عظيمة بين العلماء، وحاز رحمه الله احترام السلطان المولى سليمان العولي(ت1238هـ) الذي كان يستشيره في كثير من المشكلات، ويأمر بحضور مجالسه، كما ذكر ذلك أبو العلاء إدريس(ت1257هـ): أنَّ المولى سليمان أمر العلامة الشيخ الطيب بن كيران بتدريس الإحياء للغزالي، وأمر جميع العلماء أن يحضروا له. وتولى التدريس بمدينة فاس، وذكر الوليد العراقي(ت1265هـ) وهو أحد تلامذته النجباء، أنَّه حضر مجلسه في التفسير وفي موطأ مالك وفي الحكم لابن عطاء الله حتى قال: واستفدت منه كثيراً رحمه الله تعالى[2].

---

(1) مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 4623.

(2) الدر النفيس (ص401).

وقد أجمع كل من ترجم له على جلالة قدره، وعلو كعبه، ورسوخ قدمه في مضمار العلوم. وسأعرض في ما يلي شهادات صدرت عن كوكبة من العلماء الأخيار والسادات الأبرار، فيهم من عاصره من المتقدمين كتلاميذه البوري(ت1243هـ)، وأحمد بن عجيبة(ت1224هـ)، وعبد القادر الكوهن(ت1254هـ)، ومعاصريه أبي القاسم الزياني(1249هـ)، ومحمد المعسكري الجزائري(ت1238هـ)، والعربي المشرفي(ت1313هـ)، ومن أتى بعده، كمحمد المدني بن جلون(ت1298هـ)، وجعفر بن إدريس الكتاني صاحب الشرب المحتضر(ت1350هـ).

فقد أشار تلميذه النبيه الألمعي الأديب، محمد التهامي البوري(ت1243هـ) في مقدمة شرحه على منظومة ابن كيران في الاستعارة: أنه كان عالما حافظا لا يجارى في العلوم كلها، تحسبه في كل فن رئيسا، وبالجملة فعلمه لايدرك بالإجتهاد، وإنما يكون بخرق العادة، فسبحان من يخص من أراد بمن أراد[(1)].

وكان السلطان المولى سليمان يأمر العلماء والفقهاء والمدرسين قاطبة أن يحضروا مجلسه لما رأى من قوة حفظه واجتهاده وبلاغته، وذلك بالمسجد الأعظم بالحضرة الإدريسية، من عدوة فاس والقرويين لسماع أول كتاب الإحياء.

و ممن حضروا مجلسه قاضي الجماعة أبو العباس أحمد بن محمد التاودي بن سودة، والعلامة عبد القادر بن شقرون، و محمد بن طاهر الهواري...وغيرهم[(2)]. ولم يكن ليأمرهم بذلك إلاَّ لما عرف عنه من علو شأوه وبزوغه المبكر وقوة ذكائه، وهو مع هذا كله كان متواضعا ومحبا للخير، وكان رحمه الله تعالى إذا أوقفه شخص على غلط وقع له

(1) الأرجوزة الأنيقة في المجاز والحقيقة (ص24).

(2) ترجمة ابن كيران(ق557).

في تقييد من تقاييده يفرح به غاية الفرح ويرجع عما كتبه في الحين ويبادر إلى كلامه على الفور، لما علم من أن الرجوع إلى الحق حقٌّ[1].

ويقول أحمد بن عجيبة (ت1224هـ)عنه: «له تفنن في العلوم وخصوصاً علم المعقول والنحو...، سمعت منه جزءا من تلخيص المفتاح والألفية...»[2].

وممن أثنى عليه بأسلوب بديع، وكلام بليغ، العلامة الكبير والمؤرخ الشهير محمد المعسكري الجزائري أبو راس(ت1238هـ) وهو ممن عاصروه، قال:«حافظ العصر السيد والسند الطيب بن كيران، الطائر صيته في الآفاق بالاتفاق، قد سارت به الرفاق إلى أقاصي مصر والشام والعراق، وإلى مجالس غانة وفرغانة، العالم الصالح الزاهد الجميل الجليل الجزيل الناهد، أوتي الحفظ واللفظ والعلم والفهم جميعا، وحل من رئاستي العلوم والزهد مكانا عليا...بلغ في العلم والتقوى إلى الغاية القصوى، وحمل راية الخطابة والتدريس والفتوى، فهو مخبر الخلف، وأعلم الناس بالسير وأخبار السلف» إلى أن قال: «وأنا أقول آخر الحفاظ والتبيان والبيان الشيخ الطيب بن كيران، وليس الخبر كالعيان ولما توفي رحمه الله اهتزت لموته فاس وحزن لموته كل الناس»[3].

وقال فيه العربي المشرفي(ت1313هـ): «هو شيخ الجماعة في التفسير، وإمام المحلة في صحاح الحديث وتلقيح الكنز والتيسير، له باع في أصول الدين وفروعه، تشفع بذلك تقريراً وتدريساً أوان شروعه، وفي اللغات التي نزل بها القرآن، وهو أساس البلاغة، وفي علم الإعراب والتصريف وحيد الصناعة والصياغة»[4].

---

(1) ترجمة ابن كيران لمحمد المدني بن جلون(ق107).

(2) أزهار البستان في طبقات الأعيان(ق219).

(3) فتح الإله ومنته في التحدث بفضل الله ونعمته لمحمد المعسكري الجزائري(ق77).

(4) الحسام المشرفي (ق322-323).

وحلاه معاصره أبو القاسم الزياني(ت1249هـ) بقوله: «صدر الصدور العلامة المشهور، العديم الشبيه والمثيل، والمتقن الحافظ الجليل، ثالث النيران وأعلىٰ الأقران»[1].

وحلاه محمد المدني بن جلون-شارح تقييده في الإستثناء- بقوله: «تفرد رضي الله عنه في عصره في الديار المغربية بعلم الأصول، والفروع، والمفردات، والجموع، والحفظ، والبسط، والإتقان...بيد أنه بحر لايجارىٰ في مجال العلوم، مهند يفري أديم المشكلات بماضي الفهوم. بل يعرف أكثر الفنون علىٰ نهج الإجتهاد..»[2].

وممن أثنى عليه من المتأخرين عبد الله كنون حيث قال: «وقد تفرد في وقته بالجمع بين علمي المعقول والمنقول، والفروع والأصول، وله في العربية باعٌ مديد ونظم سديد، وكان يدرس التفسير بالقرويين، يستحضر أقوال المفسرين جميعا، ويقابل بينها ويناقشها ويرد الزائف منها بالدلائل القوية والحجج البينة»[3].

وقال الشيخ حمدون بن عبد الرحمان بن الحاج لما ختم عليه مطول السعد:

هَـل يـا سُـعادُ أَرَاكَ لي مُسَـاعدة ... مُطَـوَّلُ السَّـعد فيـكِ غَـيْرُ مُختَصَـرِ
وهَل تُـرَدُّ لَيالِينَـا التـي سَـلَفَتْ ... هَيهَات لابُدَّ مِن صَـفوٍ ومـن كَـدَرِ
كُنّا معـاً وبِسَـاطُ الأُنْـسِ ثَالثُنَـا ... وَالـدَّهرُ كَـان علينَـا فَاقِـدَ البَصَـر
تُغْنِـي بِلُؤْلُـؤِ جِيـدِهَا وَمَبْسَـمِها ... وَنُطْقِهـا إِن تَبَـدَّت كُـلَّ ذِي وَطَـر

(1) جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت والمرجان (ص127).

(2) تقييد في الإستثناء لمحمد المدني بن جلون(ق105).

(3) النبوغ المغربي (1/ 294).

إلى أن قال:

وَطَالَمَا نَفَثَت سِحْرَ الكَلامِ مَعِي ... كَنَفْثِ شَيْخِي نَفَائِساً مِن الدُّرَر
كَشَّافُ أَسْتَارِ أَسْرَارِ البَلَاغَة مَنْ ... يَعْجِزُ عَن وَصفِهِ البَادِي وَذُو الحَضَر
عَرُوسَ مَن كَان فِي الْبَيَانِ ذَا قَدَم ... إِيضَاحِ مُحتجِب تِبْيَانِ مُسْتَتِرِ
الْمتْقِنُ الْمتَفَنِّنُ الذِي سَبقَت ... لَهُ العِنَايَةُ فِي الأَنْظَار وَالفِكَرِ
مُحْيي رُسوم العِلْم بَعْدَمَا فَنِيَت ... وَلَيْسَ يَظْهَر لِلرُّسُوم مِن أَثَرِ

إلى أن قال:

يَرقُّ قلبُ القَاسِي في مجالِسه ... وَإِن يَكُنْ قلبُه أَقْسَى من الحَجَرِ
شَيْخِي ابْنَ كِرَانٍ لاَزَالتْ محَاسِنُه ... يَعْلَمُهَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ وَذِي بَصَرِ
يا سعد كل نجيب حائز شرفاً ... أدامك الله في صفوٍ بلا كدرِ[1]

ومن ذلك قصيدة لأبي عبد الله سيدي محمد بن بوبكر بن عبد الكريم اليازغي عند ختم قرأة صحيح الإمام مسلم بزاوية قاسم بن رحمون، قال فيها:

إِمَامُ الوَرَى مَنْ فَضْلُهُ غَيْرُ مُبْهَمِ ... وَلَيْسَ لَهُ فِي رُتْبَةِ العِلْمِ تَابِعُ
سَلِيمُ الحِجَا شَيْخُنَا ابنُ كِيرانَ حَبْرُ مَن ... بِهِ مُشْكِلُ الأَفْكَارِ أَبْيَضُ نَاصِعُ

إلى أن قال:

فَلِلَّه شَيخٌ طَيِّبُ الخَلْق كَاسْمِه ... تَوَاتَرَ فِي الأَقْطَارِ أَنَّه بَارِعُ

(1) ترجمة ابن كيران (ق559-561).

إِذَا اضْطَرَّبَ الأَرَاءُ تَحسِبُ أَنَّهُ أَبُو يُوسُفَ وَالحَقُّ أَبْلَجُ لَامِعُ
وَإِنْ رَامَ فِي التَّفْسِيرِ مُحكَمَ آيَةٍ فَكُلُّ شَرِيفٍ فِي البَلَاغَةِ خَاضِعُ
وَلَو رُمْتَ مَحفُوظَ الحَدِيثِ فَإِنَّهُ حَوَاهُ مَعَ المعْنَى وَمَا ثَمَّ مَانِعُ
بَدَأْنَا بِحَمْدٍ مُسلِماً فَتبَرَّجَتْ أَزَاهِرُهُ مَقْطُوعَةً وَهْو قَاطِعُ[1]

وقول أبي عبد الله سيدي محمد بن زاكور رحمه الله عند ختم المختصر.

كَأَنَّهَا دُرّ أَنفَاسِ المبَاحِثِ في شَرِيفِ مَجلسِ شَيخِنَا ابنِ كِرَانِ
صِنْدِيدُ أَعْلَام أَهْلِ العَصْرِ فَفِي الفَصَاحَةِ قَدْ أَزْرَى بِسُحْبَان
سُمَيْدَع لُوذَعِيٌّ حَازَ مَنْزِلَةً فِي العِلْم عَلْيَاءَ بَادَتْ مُنْذُ أَزْمَانِ
لَهُ التَّصَرُّفُ في كُلِّ الفُنُون فَلو سِرّاً يُخَاطِبها لَبَّت بِإِعْلَان
وَقَد خَتَمْنَا عَليهِ غَيرَ مُختَصر فِي الفِقْهِ يَحْكِي نِظَام عِقْدِ عُقْيَانِ
قِرَاءَةٌ رَدَّ كُلُّ فاهِم فَطِنِ سَمَاعَها فَأَغْشَى عَن كُلِّ دِيوَانِ
يَا رَبَّنَا اخْتِم لَنَا بِخَيْرِ خَاتِمَةٍ وَاصْبُبْ سَحَائِب رَحْمَةٍ وَرِضْوَانِ[2]

وقال أيضا عند ختم مختصر السعد:

إِمَامٌ هُمَامٌ أَلْمِعِيٌّ حُلاحِل سَرِيٌّ تَقِيٌّ شَامِخُ المَجْدِ وَالقَدْرِ

---

(1) ترجمة ابن كيران، (ق564-565).

(2) نفسه، (ق566-567).

بِهِ اللهُ أَحْيَا العِلْمَ بَعْدَ انْدِرَاسِهِ ... فَعَالجَهُ مِنْ بَعْدِ حَادِثَةِ البَتْرِ

وَأَهْلَهُ للدَّرْسِ فِيهَا لِوجْهِهِ ... فَحَازَ بِذَلِكَ الوَجْهِ مَرْتَبَةَ الصَدْرِ

فَصَارَ لأَهْل العِلْم بَدْراً وَهُمْ لَه ... نُجُومٌ وَأَيْن النَّجْمُ مِن طَلْعَة البَدْر

تَصَرَّفَ في كُلِّ الفُنُونِ جَميعِها ... تَصُرُّفَ تَحْرِيرِ وَحَقٍّ بِلَا نُكر

وَلَاسِيَّما فَنَّ البَلَاغَةِ إِنَّه ... بِأَبْحُرِهِ ظَلَّت سَفَائِنُه تَجْري

وَحَرَّرَ مَا لِلسَّعْدِ مِن مُشْكِلٍ لَّه ... فَأَبْدَاهُ كَالشَّمْس المُنِيرَةِ وَالْفَجْر

وَنَظَّم مَا مِن عِقْدِه مُتَنَاثِر ... كَما نُثِر الدُّرُّ اللَّآلئُ مِن نَحْر[1]

هذا ومع ما يتحلى به من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وكما قيل:

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزمانُ بمثلهِ ... إنَّ الزمانَ بِمثلهِ لبخيل

المطلب التاسع: وفاته

لقد أمضى ابن كيران العالم الجامع بين الشريعة والحقيقة أيام حياته بين درس وتأليف وتحصيل وتدريس وعبادة وزهد حتى رجعت روحه إلى ربها راضية مرضية، وتوفي رحمه الله في الساعة الثامنة من صبيحة يوم الجمعة السادس عشر من محرم الحرام فاتح عام 1227هـ/ 1812م[2] وكانت جنازته مشهودة، حضرها خلق كثير، وتركت وفاته فراغاً كبيراً في الساحة العلمية.

---

(1) ترجمة ابن كيران (ق567-569-571).

(2) نفسه، (ق571).

المطلب العاشر: رثاؤه

وقد رثاه العلامة الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن شقور الحسني العلمي قائلا:

آهٍ عَلى الْعلم قَدْ جَلّتْ رَزيّتُه ... مِنْ بَعد إِحْيائِه فَعادَ مُندَثِراً

وانْتَشَرت ظُلمةُ الجهلِ حِينَ تَوَى ... في الْقَبْرِ مِنْ نَعْيِهِ القُلوب قَدْ فَطرنَا

آهٍ عَلَى حَبْرِ هَذَا العَصْر سَيدنَا ... الطَّيب مَا قَبله مِنَ الآنَام يرَا

آهٍ عَلَى أُمَّة الإِسْلَام قَدْ بَقيَتْ ... يَتيمَة مِنْ سَمَاع مَا بِهِ اشْتَهَرَا

إلى أن قال:

وَلْتُبْكِه كُتبٌ قَدْ كَانَ يَنظرهَا ... فَتُرِكَت لِلذَّي لَايملكُ النَّظَرَا

وَلْتُبْكِهِ قُبَّةٌ لِقُطبِ مَغْرِبنَا ... ادْريسَ من سره للنَّاس قَد ظَهَرَا

مَنَاقِبُ الشَّيخِ لَا أُحْصِي لَهَا عَدَدا ... فَلَيْسَ يُحصيهَا مَن نَظَمَ أَو نَثَرَا

وَكَيفَ أُحْصِي مَناقب التي عَلقَت ... بِالْقَلبِ مَدحتُه والحقّ مَاذكرَا

فَلتصبرُوا يَا عِبَادَ الله قَاطِبَة ... فَأجره ثَابِت لِكُلّ حُرٍّ صَبرَا[1]

ورثاه أيضاً سيدي عبد الرحمان بن عبد العزيز قائلا:

هَولُ المصَائِبِ بِالتَّحمّل يَرْدَعُ ... وَالصَّبرُ إن دَهت الرَّزِيَةُ أَنْفَعُ

فَاصْبر عَلى كَمَد الفِرَاق وَ لَاتخلُ ... جَزعاً يَنِي حَسْبي دُمُوع هَمَعُ[2]

---

(1) ترجمة ابن كيران (ق576-577).

(2) نفس المصدر.

المبحث الثاني: التعريف بالرسائل المحققة وموضوعها

المطلب الأول: التعريف بالرسائل المحققة

تندرج هذه التقييدات في إطار التفسير الجزئي للسور والآيات القرآنية؛ التي يعمد فيها المؤلف إلى س ورة أو إلى آية يرى أنها تحتاج إلى مزيد بيان، أو استكناه معان، فيسبر أغوارها بما فتح الله به عليه من العلم، وما ظهر له من الفهم، مما لم يذكره أهل التفسير قبله.

وإن لهذا النوع من التفسير فوائد جليلة، نوجزها فيما يلي:

1- أنَّها تمكن المفسر من التفسير الدقيق للآيات فيحيط بكل الجوانب الجزئية التي تدخل في معانيها، وهو ما قد يغفل عنه صاحب التفسير المطول أو لايسعفه الوقت لإيراده، وهذا ما سنكتشفه عند دراستنا لرسائل الشيخ الطيب بن كيران.

2- قد يكون في هذا النوع إضافة جديدة لمعاني القرآن الكريم تواكب مستجدات العصر، لا سيما وأن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان.

3- وأنّ له أيضا فوائد عظيمة لمعرفة الحكم والأسرار المكنوزة في ثنايا الآيات الكريمة.

ولقد اشتغل بهذا النوع من التفسير ثلة من العلماء المغاربة منهم: العلامة عبد العزيز البوفراحي(ت899هـ)، والشيخ عبد الرحمان ابن محمد الفاسي(ت1036هـ)، والشيخ العلامة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن زكري(ت1144هـ)، وأبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن علي بن سودة (ت 1209هـ)، والشيخ الشهير المفسـر الكبير أبو الفيض حمدون بن الحاج السلمي المَرْدَسي (ت 1232هـ)، والسلطان

أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن إسماعيل الحسني العلوي (1238هـ)، والشيخ المهدي بن الطالب بن سودة(ت1294هـ)، والعلامة الوزير محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي(ت1376هـ).

وقد استطاع العلامة الطيب بن كيران أن يحجز لنفسه مكانا ضمن هذه الثلة المباركة، وأحيانا يظهر تفوقه على الكثير من سابقيه، وهذا عرض لمضامين الرسائل المحققة.

- **التقييد الأول: متعلق الجار والمجرور في البسملة.**

وهذا التقييد ركّز فيه المؤلف على تفسير البسملة في قوله تعالى:﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، من الجانب اللغوي والبلاغي، بسبب ما يعرض لكثير من طلاب العلم من الإشكالات في هذه الجوانب خاصة، وأغفل الجانب التشريعي لكونه معلوم بالضرورة ولا يحتاج للتفصيل، وكذلك لكثرة تطرق العلماء له.

- **التقييد الثاني: سورة الفاتحة.**

يجمع في هذا التقييد بين التفسير، واللغة، والبلاغة، وعلم الكلام والتصوف؛ فعمد إلى الاستقصاء والتحليل في هذه السورة، وتوسع في تفسيرها توسعا كبيراً، مبينا معانيها وآراء العلماء فيها، محرراً مسائلها الدقيقة؛ وقد ضمن هذا التقييد معاني جليلة، قلّما تجدها مجتمعةً في التفاسير الأخرى.

- **التقييد الثالث: قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].**

اعتمد المؤلف في تقييده على هذه الآية على تفسير السلطان المولى سليمان وما أودعه فيها من معان، حيث بين فيها على وجه الصواب ما يمكن أن يفهم من معارضتها لما

(1) سورة البقرة آية: 121.

علم من أنَّ أفضلية الأمَّة المحمدية على سائر الأمم- حسبما أفصحت به آية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[1] وآية:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]- سواء كان الخطاب فيها عامًّا للأمَّة أو خاصا بالصحابة لعموم المفضل عَليه، وهو أمَّة أخرجت للناس.

ثم أتبعه بشرح مبرزا فيه نكته ومضامينه، مستشهدا عليها بالنصوص والنقول المؤيدة من قواعد الأصول والمنطق والبلاغة وأقوال أئمة التفسير والمحدثين، فأتى في ذلك بما يشفي الغليل ويروي العليل.

- **التقييد الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[3].**

تعرض فيها لمسألتي«الاطمئنان»و«الإراءة» في سؤال سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، وناقش فيها مسائل نحوية وبلاغية، لايوردها إلا المتخصصون مستدلا على ما يريد بيانه بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وآراء العلماء فيها، ومبينا الفوائد الدقيقة التي تظهر له فيها.

- **التقييد الخامس: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾[4].**

اعتمد الشيخ الطيب بن كيران في تقييده لهذه الآية على ما حرره السلطان المولى سليمان في تفسيرها، فاتبعه بشرح كاف.

وهذه الآية جديرة بالتأمل، تثير تساؤلات عديدة، وعليها مبنى عقيدة النصارى، أبرز فيها معانيها ومضامينها، واستشهد عليها بالنصوص والنقول المؤيدة من قواعد

---

(1) سورة فاطر آية 32.

(2) سورة آل عمران آية 110

(3) سورة البقرة الآية259.

(4) سورة النساء الآية 156.

الأصول وأقوال أئمة التفسير. وقد أطال رحمه الله البحث فيها، وفصل مباحثها تفصيلا دقيقا، فلله درّه من إمام.

التقييد السادس: في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[1].

عمَد الشيخ الطيب بن كيران إلى التأليف في تفسير هذه الآية لما لها من أهمية عظيمة في الاستهلال بها في تلاوة القرآن الكريم، فجزّأ فوائدها إلى عشرة مسائل أساسية، ضمّن كل مسألة طرفا مما قد يستفاد من هذه الآية العظيمة من الناحية الاعتقادية، والتشريعية، واللغوية، وغير ذلك مما فتح الله عليه في تفسيرها.

- التقييد السابع: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝﴾[2].

بيّن في هذه الآية، المقصود من كلمة «مِن» في قوله: ﴿مِنكُم﴾ وكيف ناقشها المفسرون من جانب، والنحويون من جانب آخر، موضحاً كلام السلطان المولى سليمان وماظهر له فيها من أوجه، فعقبه بشرح وافٍ كعادته، مستدلاً بنصوص صحيحة، وبما فتح الله عليه من علم، مبيناً الوجه الذي أغفله المفسرون بقوله: «فتبين أنّ كون الخطاب فيها للرسل ممكن صناعة ومعنى وارتباطا، وأنه وجه وجيه وإن أغفله المفسرون فيما وقفنا عليه فإنا بعد البحث لم نر من نبه عليه ولا أشار إليه». ثم ختم هذا التقييد بكلام نفيس، مبيناً فيه بأن المتقدمين بينوا المسالك وحرروا المدارك

---

(1) سورة النحل، آية 98.

(2) سورة الزخرف الآية 60.

ومهدوا القواعد والأصول، لكن يدخر الله سبحانه لبعض المتأخرين ما عسر فهمه على كثير من المتقدمين.

- **التقييد الثامن: قوله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾[1].

تطرق المؤلف في هذا التقييد إلى فريضة الزكاة، لما لها من أهمية في التشريع الإسلامي، إذ هي ركنٌ أساسيٌّ من أركان الإسلام.

فأورد كلام الإمام الزمخشري في هذه الآية، ممزوجاً بما يوضحه من شرحه؛ فبين معنى الزكاة من حيث اللغة والشرع.

فالناظر في هذا التقييد، قد يظن أنّ المؤلف سيتطرق إلى مباحث الزكاة المعروفة كما هي عند الفقهاء، إلا أنّه عدل عن هذا التفصيل، فانتقل إلى الجانب المقاصدي واللغوي لهاته الشعيرة العظيمة.

- **التقييد التاسع: قوله تعالى:**﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾[2].

أصل هذا التقييد سؤال للسلطان المولى سليمان لشيخه محمد الطيب بن كيران، عن قراءة من قرأ قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓءَاْ﴾ برفع اسم الجلالة، ونصب العلماء، وأوجه القراءة فيها. فأجابه رحمه الله، مبيناً أوجه القراءة فيها وتوجيهات القراء، مستدلًا بالنصوص وأقوال العلماء، وموضحاً مراد الله تعالى في هذه الآية الكريمة.

---

(1) سورة المؤمنون الآية: 4.

(2) سورة فاطر الآية: 28.

- التقييد العاشر: إعتراض على الزمخشري في الكشاف.

فسَّر المؤلف في هذا التقييد كلام السلطان المولى سليمان و مناقشته للزمخشري في عُدُوله عن الحقيقة إلى المجاز في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1] مع أنَّ حملها على ظاهرها مُمكن.

فتعرض الشيخ الطيب لرأي الزمخشري في الآية؛ بأن لها وجهان كلاهما محمولان على المجاز، وتعقبه بأنّ حملها علي الحقيقة بخلق الإدراك والفهم في الجمادات المذكورة غير مستبعد على قدرة الله عزوجل، وأنه هو الحمل المنقول عن السلف.

- التقييد الحادي عشر: إعتراض على البيضاوي.

هذا التقييد مكاتبة للسلطان المولى سليمان لشيخه أن يظهر له الوجه الذي أبداه البيضاوي في قوله تعالى:﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، فأجابه الشيخ الطيب بهذه الرسالة مبيناً المراد من كلام الإمام البيضاوي، وما عليه نظم الآية في النكتة في ذكر«العَرْض»و«الإِباء»و«الإشفاق»، فعمد إلى الاستقصاء والتحليل في هذه الآية، وتوسع في تفسيرها توسعًا كبيراً، مبينا معانيها وآراء العلماء فيها، محرراً مسائلها الدقيقة.

المطلب الثاني: مصادره التي اعتمدها

اعتمد الشيخ محمد الطيب بن كيران في تفسيره على مصادر كثيرة، وتنوعت بتنوع العلوم والفنون التي استقى منها مادة تفسيره، ومنها ما هو من كتب التفسير

---

(1)سورة الأحزاب آية 72.

والقراءات، ومنها ما هو من كتب الحديث والفقه، ومنها ما هو من كتب اللغة والبلاغة، إلى غير ذلك مما سنقف عليه إن شاء الله تعالى في هذا البحث.

مصادره التفسيرية:

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ).

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ).

-أحكام القرآن للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي(ت 543هـ).

-غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري(ت550هـ).

-مفاتيح الغيب في تفسير القرآن للفخر الرازي(ت606هـ).

-الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي(ت671هـ).

-تفسير البيضاوي المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» لناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت685هـ).

-التّسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي(ت741هـ).

-الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت 875هـ).

-الدّر المنثور في التفسير بالمأثور لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت 911هـ).

-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت 982هـ).

مصادره في القراءات:

-حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للإمام أبي محمد القاسم بن فِيرُّهْ الشاطبي (ت 590هـ).

-النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن الجزري(ت 833هـ).

مصادره اللغوية والبلاغية:

-ألفية ابن مالك في النحو والصرف للإمام العلامة أبي عبدالله محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي(ت676هـ).

-التسهيل لابن مالك(ت676هـ).

- مفتاح العلوم ليوسف بن أبي بكر للسكاكي(ت626هـ).

-التلخيص في علوم البلاغة محمد بن عبد الرحمان المعروف بالخطيب القزويني (ت739هـ).

- جمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي(ت 771هـ).

- المطول لسعد الدين التفتازاني(ت791هـ).

مصادره في الحديث والفقه:

-الصحيحان، صحيح البخاري وصحيح مسلم.

- السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني(ت275هـ).

- المعجم الكبير للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني(ت360هـ).

-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني(ت430هـ).

مصادره في التصوف:

-كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي(ت505هـ).

- الفتوحات المكية لمحيي الدين بن عربي(ت638هـ).

-كتاب الحكم لابن عطاء الله السكندري(ت709هـ).

المطلب الثالث: نسبة الرسائل إلى مؤلفها

أجمع مترجمو العلامة ابن كيران على نسبة رسائل وتقييدات في التفسير له، وممن نسبها له تلميذه الألمعي الشيخ اللوذعي محمد بن العباس بن كيران(ت1271هـ) في ترجمته له؛ إذ عقد فصلا في عد تآليف شيخه قال: «منها تفسير كلام مولانا عز وجل من آية قوله سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1]...﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾[2] كله متصلا، وكتب الفاتحة وثمن من أولِ البقرة أيضاً في نحو سبع كراريس»[3]؛ ومنه تلميذه الشيخ عبد

---

(1) سورة أل عمران آية 18.

(2) سورة غافر آية 39.

(3) ترجمة الشيخ الطيب بن كيران لمحمد بن العباس مخطوط(ق467).

القادر الكوهن(ت1254هـ) في فهرسته[1]؛ والعلامة الشيخ أحمد بن عجيبة(ت1224هـ)[2]؛ والعلامة محمد المدني جلون(ت1298هـ)[3]، وغيرهم.

1- كل الرسائل عناوينها ثابتة على ظهر الورقة الأولى، ولا يوجد فيها انطماس، أو محو باستثناء تقييده على سورة الفاتحة فهي خالية منه ونسبتها صحيحة ثابتة بما ذكرنا.

2- اتفقت المراجع التي ترجمت للعلامة ابن كيران أن له تفسيرا على مواضع من القرآن الكريم[4].

3- فأما تقييده على الاستعاذة فلم أجد بعد البحث من نسبها إليه، لكن نَفَسَ المؤلف ظاهر في هذا التقييد، كما تؤكده النّقول والاستدلالات الواردة وفق طريقة وشرط المؤلف، والدليل المزيل للشك هو إثبات اسم المؤلف وعنون التقييد في أول المخطوطة.

وقد رجعت في إثبات ما سبق إلى فهارس المكتبات وإلى نقولاته من مؤلفاته الأخرى، مثل شرحه للمرشد المعين لابن عاشر، وغيرها.

من خلال ما تقدم نطمئن إلى أنّ هذه الرسائل صحيحة النسبة إلى الشيخ محمد الطيب بن كيران رحمه الله، وفوق هذا وذاك فالشيخ من العلماء المشهورين بالتفسير،

---

(1) إمداد ذوي الاستعداد(ص10).

(2) أزهار البستان في طبقات الأعيان(ص219).

(3) محمد المدني جلون في خاتمة شرحه لتقييد ابن كيران في الاستثناء مخطوط بالخزانة العامة ، رقم 1854د(ق 276ـ279).

(4) انظر المصادر التي ترجمت لابن كيران (ص 21).

وقد أجمع كل مترجموه على اشتغاله بالتفسير ومدارسته مع الطلبة وعامة الناس. وأنه لازم تدريس القرآن وتفسيره مدة طويلة، بل إنه بلغ فيها مبلغاً عظيماً، كما وصف أيضاً بكثرة التأليف والتصنيف، لذلك فلا عجب أن تكون له تقاييد ورسائل في هذا الفن.

المطلب الرابع: وصف النسخ الخطية المعتمدة في تحقيق هذا التقييد

1 - النسخ المعتمدة في تحقيق تقييد في متعلق الجار والمجرور في البسملة.

اعتمدت في تحقيق هذا التقييد على ثلاث نسخ:

- الأولى محفوظة بمؤسسة علال الفاسي، تحت رقم: (11065) ضمن مجموع من(ص31-34) تامة، كتبت بخط مغربي تدويني واضح، وكتبت رؤوس مسائلها باللون الأحمر والأخضر والأزرق، سليمة من التصحيف والسقط، وتقع في 4ورقات، في كل صفحة17سطرا، ويضم كل سطر ما يقارب10كلمات. لم يرد فيها اسم الناسخ ولاتاريخ الفراغ منها.

وجعلتها أصلا لكونها تامة وسليمة من التصحيف والسقط والأخطاء وعليها طرر للشيخ محمد المدني بن جلون، مما يدل على انها نسخة مُعْتَنَىٰ بها.

- وأمّا النسخة الثانية فهي محفوظة بالمكتبة الوطنية تحت رقم: (1755د) ضمن مجموع، من(ق105/ أ) إلى (ق108/ ب) غير تامة، بخط مغربي تدويني؛ عارية عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

- والنسخة الثالثة: محفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط برقم (90ح) ضمن مجموع من (ق197) إلى (ق199)، غير تامة، نسخت بخط مغربي تدويني؛ عارية عن اسم الناسخ و تاريخ النسخ.

2- النسخ المعتمدة في تحقيق سورة الفاتحة:

اعتمدت في تحقيق هذا التقييد على نسخة وحيدة، محفوظة بمؤسسة علال الفاسي تحت رقم: (747)ضمن مجموع من (ص193 -211)، وهي تامة، بخط مغربي تدويني واضح، وقد أصاب هذه النسخة خروم الأرضة في مواضع كثيرة منها، وتقع في 10ورقات، في كل صفحة40سطرا، ويضم كل سطر ما يقارب12كلمة. لم يرد فيها اسم الناسخ ولاتاريخ الفراغ منها.

3- النسخ المعتمدة في تحقيق قوله تعالى:﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1].

اعتمدت في تحقيق هذا التقييد على نسختين خطيتين:

- الأولى محفوظة بالخزانة الحسنية تحت رقم(7246) ضمن مجموع من(118/أ-123/ب) تامة، كتبت بخط مغربي تدويني واضح، تامة، سليمة من التحريف والسقط؛ وتقع في 7ورقات، في كل صفحة20سطراً، ويضم كل سطر10كلمات. وقد اتخذتها أصلا لكونها مضبوطة وخالية من الأخطاء. لم يرد فيها اسم الناسخ ولاتاريخ الفراغ منها.

- الثانية: محفوظة بمؤسسة علال الفاسي برقم(389ع)ضمن مجموع من(ق4/أ) إلى(ق11/ب) تامة، نسخ مغربي وراقي واضح، سليمة من التحريف والتصحيف كتبت رؤوس مسائلها بلون أحمر، وأصاب هذه النسخة خروم الأرضة في مواضع كثيرة منها؛ تقع في 5ورقات، في كل صفحة21سطراً، ويضم كل سطر13كلمة، لم يرد فيها اسم الناسخ ولاتاريخ الفراغ منها.

---

(1) سورة البقرة، آية 121

4- النسخ المعتمدة في تحقيق قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1].

اعتمدت في تحقيق هذا التقييد على نسخة فريدة محفوظة بمؤسسة علال الفاسي برقم(389ع) ضمن مجموع، من(ق144/أ) إلى(ق151)تامة، نسخ مغربي وراقي واضح، سليمة من التصحيف والسقط كتبت رؤوس مسائلها بلون أحمر، وتقع في 4ورقات، في كل صفحة23سطرا، ويضم كل سطر 11كلمة. لم يرد فيها اسم الناسخ ولاتاريخ الفراغ منها.

5- النسخ المعتمدة في تحقيق: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾[2].

اعتمدت في تحقيق هذا التقييد على ثلاث نسخ خطية:

- الأولى: محفوظة بالخزانة الحسنية برقم(7246)، ضمن مجموع من(ق124/أ) إلى(133/ب)تامة، نسخت بخط مغربي وراقي واضح، سليمة من السقط والتصحيف، وتقع في 11ورقة، في كل صفحة19سطرا، ويضم كل سطر9كلمات. لم يرد فيها اسم الناسخ ولاتاريخ الفراغ منها. وقد اتخذتها أصلا لصحتها وخلوها من الأخطاء.

- الثانية: محفوظة بالمكتبة الوطنية تحت رقم(153ج)، ضمن مجموع من(255/أ) إلى(264/ب)تامة، كتبت بخط نسخ مغربي تدويني رقيق، سليمة من السقط والتحريف، تقع في 5ورقات، في كل صفحة28سطرا، ويضم كل سطر ما يقارب12كلمة، لم يرد فيها اسم الناسخ ولاتاريخ الفراغ منها.

---

(1) سورة البقرة، آية 260.

(2) سورة النساء الآية 157.

- الثالثة: محفوظة بمؤسسة علال الفاسي برقم(389ع)، ضمن مجموع، من(ق32/ أ) إلى(ق37/ أ)تامة، كتبت بخط نسخ مغربي وراقي واضح، سليمة من السقط والتحريف، تقع في 6 ورقات، في كل صفحة 23 سطرا، ويضم كل سطر10 كلمات، لم يرد فيها اسم الناسخ ولا تاريخ الفراغ منها.

6- النسخ المعتمدة في تحقيق قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[1].

اعتمدت في تحقيق هذا النص على نسخة فريدة محفوظة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم: (331153)، تامة، خطها مغربي تدويني واضح، سليمة من التحريف و السقط. وتقع في 10ورقات، وفي كل صفحة 17سطرا، يضم كل سطر ما يقارب8 كلمات، عارية عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ، وعليه قيد تملك.

6- النسخ المعتمدة في تحقيق قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝﴾[2].

اعتمدت في تحقيق ها التقييد على ثلاث نسخ:

- الأولى: محفوظة بالخزانة الحسنية تحت رقم(7246)، ضمن مجموع من(ق134/ أ) إلى(137/ ب)تامة، نسخ مغربي تدويني واضح، سليمة من السقط والتصحيف، وقد جعلتها أصلا ومُيزت رؤوس فقراتها باللون الأحمر، تقع في 4ورقات، وفي كل صفحة20 سطراً، ويضم كل سطر 8 كلمات، خالية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ. وقد اتخذتها أصل.

---

(1) سورة النحل، آية98.

(2) سورة الزخرف الآية60.

- الثانية: محفوظة بمؤسسة علال الفاسي رقم(389ع)، ضمن مجموع(ق37/أ) إلى(ق42)تامة، نسخ مغربي وراقي واضح، سليمة، كتبت بعض كلماتها باللون الأحمر، تقع في 3 ورقات، وفي كل صفحة23 سطر،ويضم كل سطر 9كلمات، لم يرد اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

- الثالثة: محفوظة بخزانة المسجد الأعظم بوزان رقم(462)، ضمن مجموع من(ق110) إلى(ق112)تامة، نسخ مغربي زمامي، سليمة من السقط والتصحيف تقع في ورقاتين، وفي كل سطر 23 سطراً، ويضم كل سطرحوالي 10كلمات، خالية من النسخ وتاريخ النسخ. بها تعقيبة؛ وبطرتها قيد التملك.

7- النسخ المعتمدة في تحقيق قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾[1].

اعتمدت في تحقيق هذا التقييد على نسختين:

الأولى: محفوظة بمؤسسة علال الفاسي رقم(389ع)، ضمن مجموع (ق12/أ) إلى(ق16/أ)تامة، نسخ مغربي وراقي واضح، سليمة من التصحيف والسقط والتحريف، كتبت بعض فقراتها باللون الأحمر، تقع في 3 ورقات، وفي كل صفحة23سطر، ويضم كل سطر10كلمات، لم يرد فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

الثانية: محفوظة بالخزانة الحسنية رقم(1126)، ضمن مجموع من (ق6/أ) إلى(ق8/ب)تامة، نسخ مغربي تدويني واضح، سليمة، كتبت بعض كلماتها باللون الأحمر، تقع في 3 ورقات، وفي كل صفحة 24سطراً، ويضم كل سطر12كلمة. عارية عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

---

(1) سورة المؤمنون الآية: 4.

8- النسخ المعتمدة في تحقيق قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾[1].

اعتمدت في تحقيق هذا التقييد على ثلاث نسخ :

- الأولى: محفوظة بمؤسسة علال الفاسي رقم(389ع)، ضمن مجموع من(ق17/ أ) إلى(ق18/ أ)تامة، كتبت بخط نسخ مغربي وراقي واضح، سليمة من السقط والتصحيف، مُيزت بعض كلماتها بالأحمر، تقع في ورقتين، وفي كل صفحة 21سطراً، ويضم كل سطر 11كلمة. لم يرد فيها اسم النسخ ولا تاريخ النسخ، وقد اتخذتها أصلاً لإجتماع كثير من الموصفات فيها.

- الثانية: محفوظة بالخزانة الحسنية رقم(1126)، ضمن مجموع من (ق9/ أ) إلى(ق9/ ب)تامة، كتبت بخط نسخ مغربي تدويني رقيق، سليمة من السقط، ومُيزت بعض كلماتها بالأحمر، تقع في ورقة واحدة، وفي كل صفحة 20سطراً، ويضم كل سطر 11كلمة، خالية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

- الثالثة: محفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم(153ج)، ضمن مجموع من(ق268/ ب) إلى(269/ أ)تامة، نسخ مغربي تدويني رقيق، سليمة من السقط والتصحيف، تتخللها بعض الطرر للشيخ محمد المدني بن جلون رحمه الله، تقع في ورقتين، في كل صفحة 24سطراً، ويضم كل سطر 14كلمة، لم يرد فيه اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

---

(1) سورة فاطر الآية: 20.

9- النسخ المعتمدة في تحقيق تقييد: اعتراض على الزمخشري في الكشاف.

اعتمدت في تحقيق هذا التقييد على نسختين:

- الأولى: محفوظة بمؤسسة علال الفاسي رقم (389ع)، ضمن مجموع (ق48) تامة، وهي بخط نسخ مغربي وراقي، سليمة من السقط والتصحيف، كتبت أقوال الإمام الزمخشري باللون الأحمر، تقع في ورقة واحدة، في كل صفحة 21 سطراً، ويضم كل سطر 10 كلمات، لم يرد فيها اسم الناسخ وتاريخ النسخ؛ وقد اتخذتها أصلا.

- الثانية: محفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم (153ج) ضمن مجموع من (ق264/ ب) إلى (ق265/ أ) تامة، نسخ مغربي تدويني رقيق، سليمة من التصحيف والسقط، تقع في ورقتين، في كل صفحة 25 سطراً، ويضم كل سطر 11 كلمة، لم يرد فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

10- النسخ المعتمدة في تحقيق تقييد: اعتراض على البيضاوي.

اعتمدت في تحقيق هذا التقييد على نسختين:

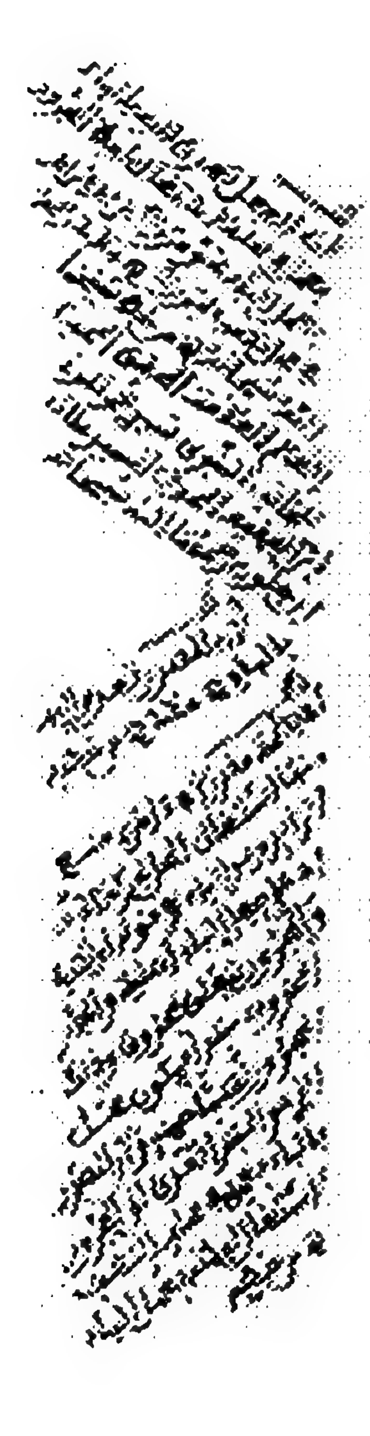
- الأولى: محفوظة بمؤسسة علال الفاسي رقم (389ع)، ضمن مجموع من(ق50/ أ) إلى (ق54/ ب) تامة، بخط نسخ مغربي وراقي واضح، سليمة من السقط والتصحيف، مُيزت بعض كلماتها باللون الأحمر، تقع في ورقتين، في كل صفحة 23 سطراً، ويضم كل سطر 10 كلمات، لم يرد فيها اسم الناسخ ولاتاريخ النسخ؛ وقد اتخذتها أصلا.

- الثانية: محفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم(153ج) ضمن مجموع من(ق265/ ب) إلى(ق266/ أ)تامة، نسخ مغربي تدويني رقيق، سليمة من التصحيف والسقط، تقع في ورقتين، في كل صفحة 25 سطراً، ويضم كل سطر 11كلمة، لم يرد فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

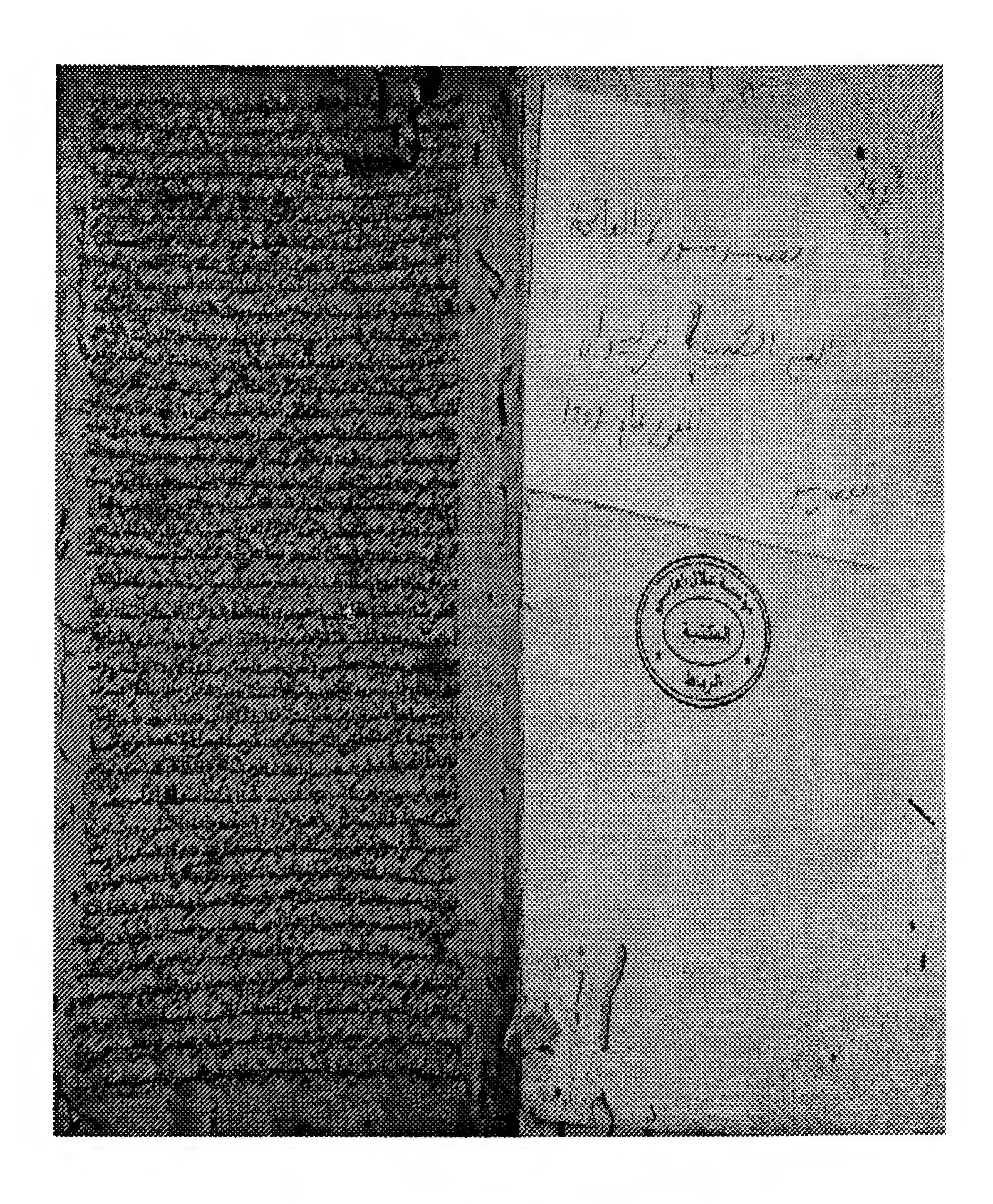
نماذج مصورة
من النسخ الخطية



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على مولانا وسيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

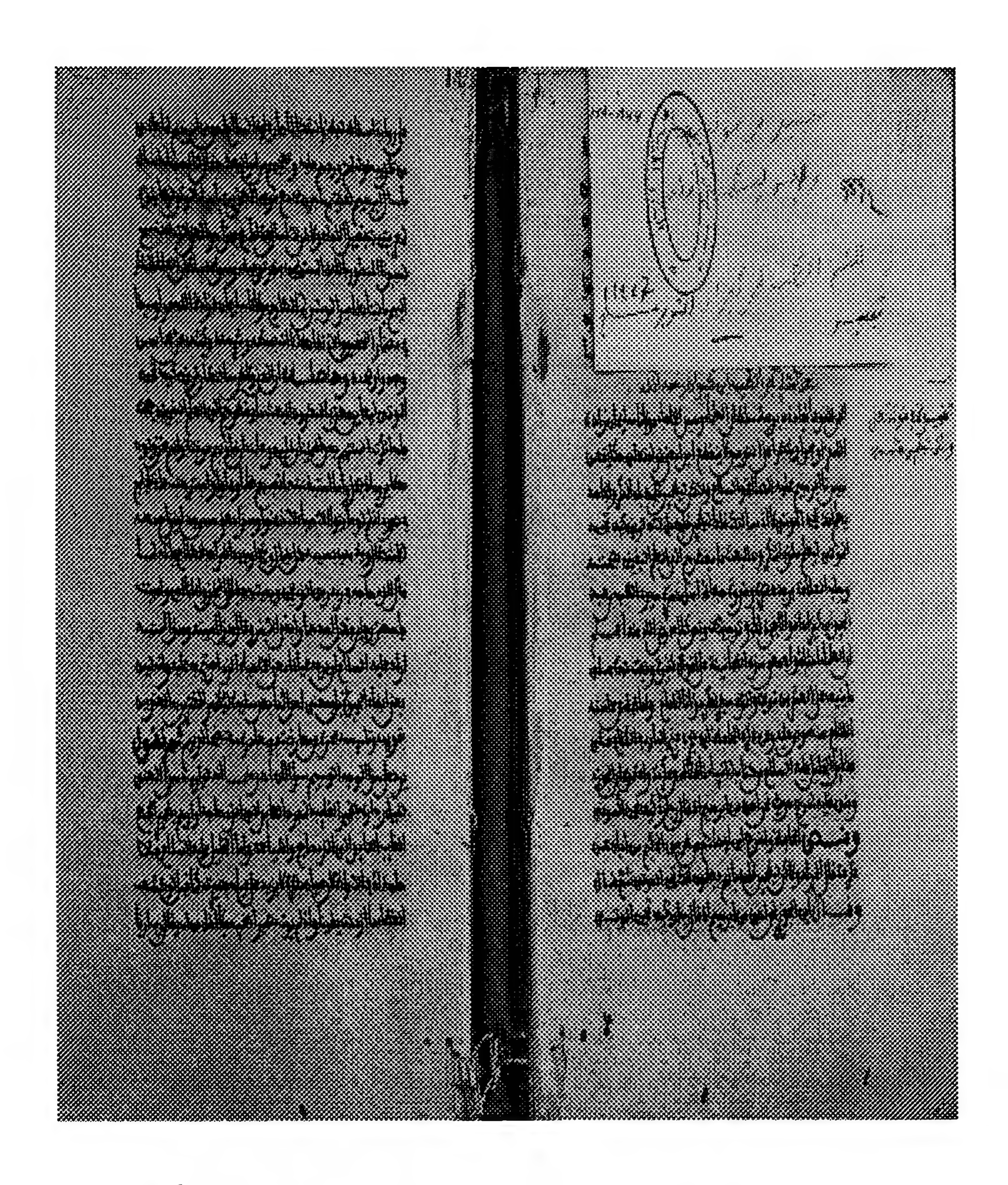


نسخة من مؤسسة علال الفاسي: تقييد في البسملة



نسخة مؤسسة علال الفاسي: تقييد على سورة الفاتحة.

نسخة الخزانة الملكية: تقييد في قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾



نسخة مؤسسة علال الفاسي: تقييد في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾



نسخة الخزانة الملكية: تقييد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾

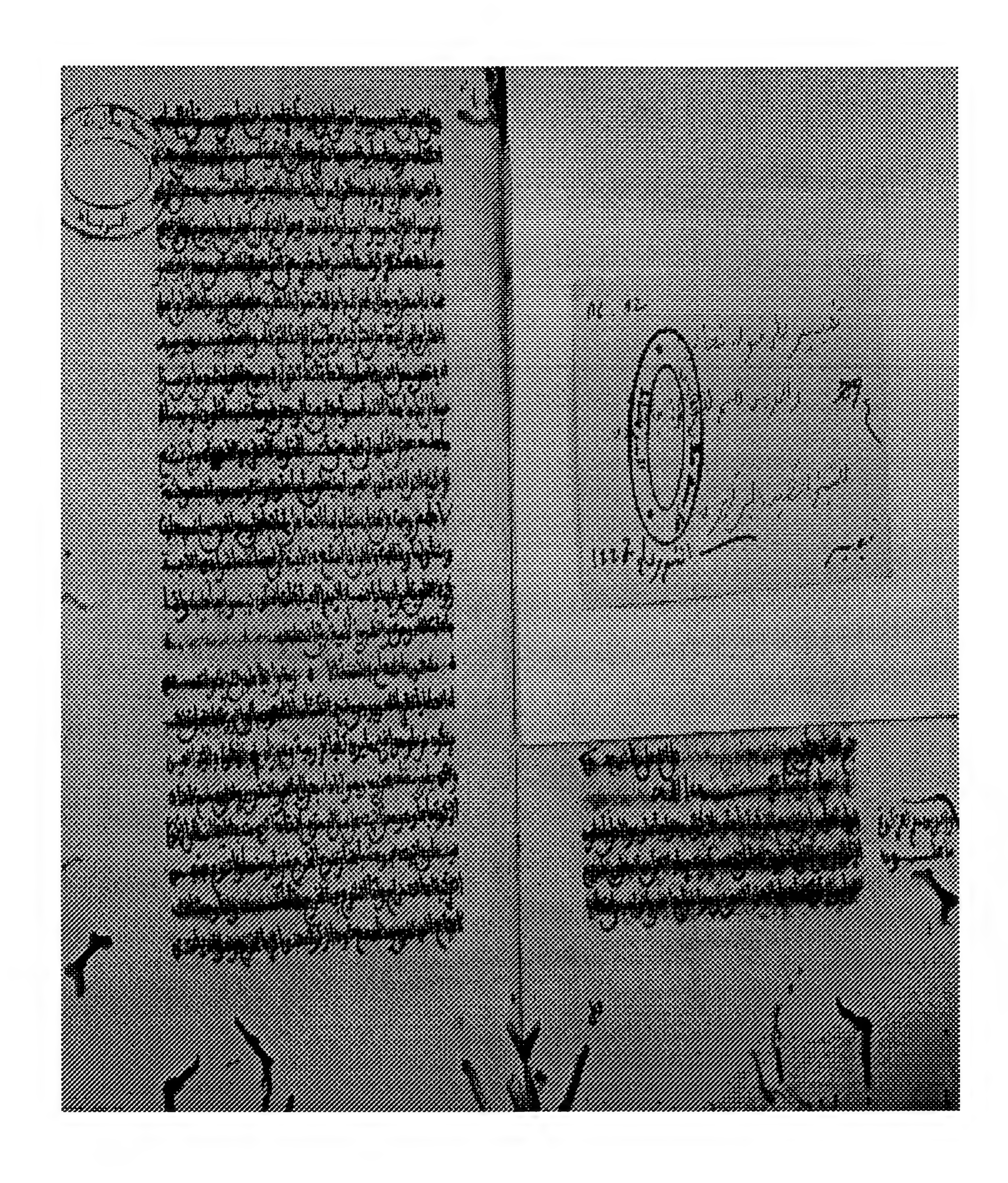


نسخة دار الكتب المصرية: تقييد في قوله تعالى:

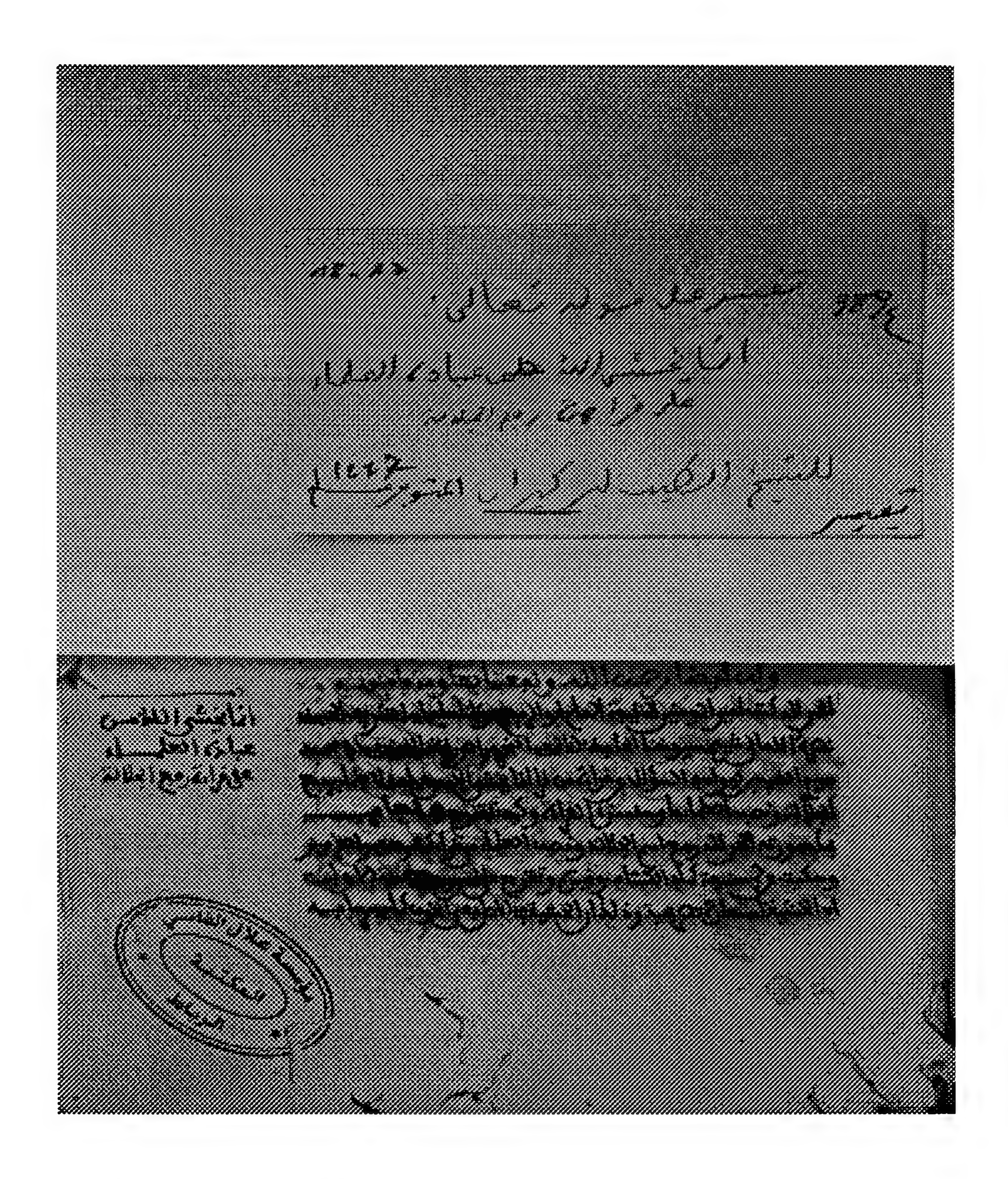
﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

نسخة الأصل الخزانة الحسنية: تقييد في قوله تعالى:

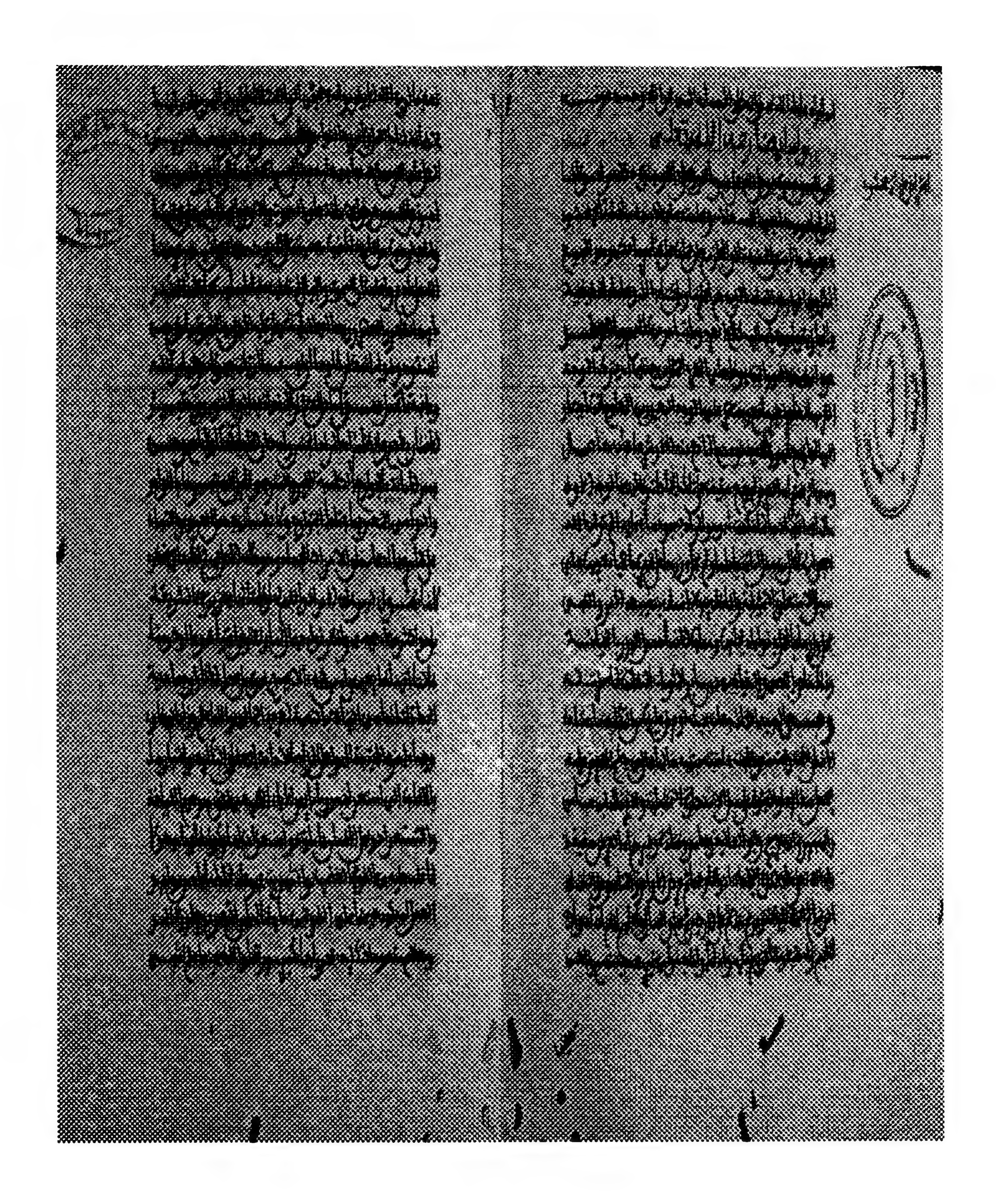
﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠﴾



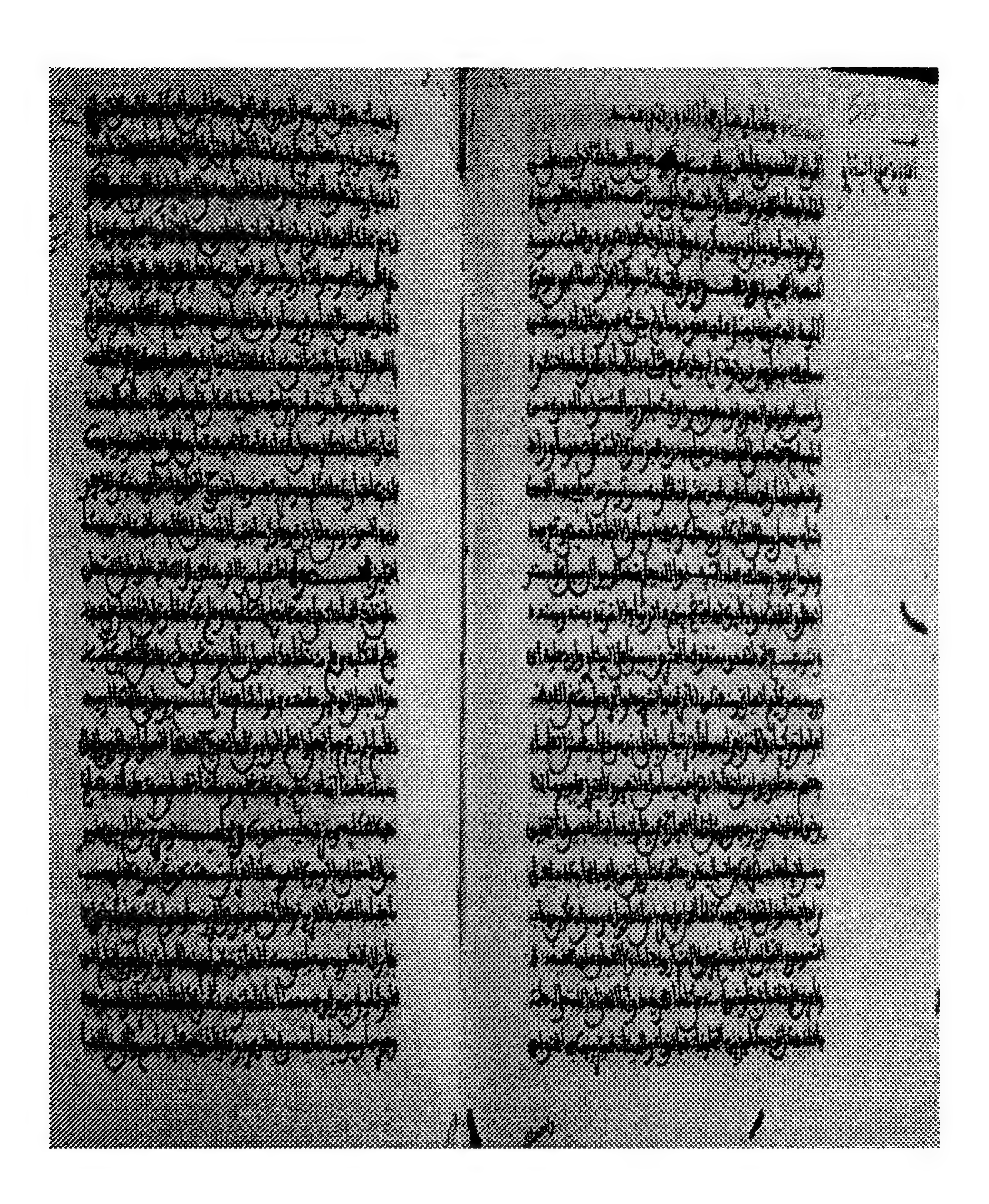
نسخة مؤسسة علال الفاسي: تقييد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ﴾



نسخة مؤسسة علال الفاسي في تقييد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾



نسخة مؤسسة علال الفاسي: تقييد في اعتراضه على الزمخشري.



نسخة مؤسسة علال الفاسي: تقييد في اعتراضه على البيضاوي.




القسم الثاني
النص المحقق



التقييد الأول:

في متعلق الجار والمجرور في البسملة



بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على مولانا وسيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

[اعلم][1] أنَّ متعلقَ الجار والمجرور في البسملة[2]، إمَّا فعل مجمل المجرُورِ نصبٌ أو اسم كذلك ما لم يكن الاسمُ خبراً، فرفعٌ أو نصبٌ، وكل إمَّا خاص أو عام، وكل إمَّا مقدم أو مؤخر[فهذه][3] ثمانية.

وعلى كُل فالباء للاستعانة أو المصاحبة، فالجملةُ إنشائية المتعلق لأَنَّهُ في معنى جملة أو التعدية، فكذلك إن جعلت متعلقة بفضلة نحو مبتديا أو متبركا أو مستعينا، فإن عُلقت بعُمدة نحو أبدَأُ أو ابتدائي، وأتبرك أو تبركي، وأستعينُ أو استعانتي، فهي نفسُها إنشائية ولك أن تجعل الاسم مفخماً أو بمعنى المسمى كما قيل، وتُعتبر الاستعانة بالذات فيصح أن[يتمخض][4] الكلام برمته للخَبر، فهذا ثلاثة في ذلك القدر بأربعة وعشرين[5].

وعلى كلٍّ فالاسمُ، إمَّا مشتقٌّ من السُّمُو وأصلهُ، سموٌ فحذفت الواو تخفيفاً وسكنت السين وأوتي بالهمزة توصلا وتعويضاً، فوزنه «أفْعٌ» أو من الوَسم فوزنه «أعـل» وأصـلهُ

---

(1) استدركتها من«و».

(2) تطرق الشيخ الطيب بن كيران إلى هذا المبحث بالتفصيل في مقدمة شرحه على المرشد المعين لابن عاشر(ص4-5).

(3) استدركتها من«و».

(4) استدركتها من«و».

(5) أورد أبو حيان: «باء الجر تأتي لمعان: للإلصاق، والاستعانة، والقسم، والسبب، والحال، والظرفية، والنقل. فالإلصاق: حقيقة مسحت برأسي، ومجازاً مررت بزيد. والاستعانة: ذبحت بالسكين. والسبب: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء159]...». البحر المحيط(1/ 146).

وسمٌ حذفت الواو وعوض عنها الهمزة، [فهذه][1] اثنان في ذلك القدر بثمانية وأربعين[2].

وعلىٰ كل فإضافة اسم لله تعالىٰ، إمَّا لامية استغراقية، أو لامية جنسية، أو لامية عهدية أو للسان،[فهذه] [3]أربعة في ذلك القدر بمائة واثنين وتسعين بتقديم الفوقية[4].

وعلىٰ كل فاسم الجلالة، إمَّا علم بالوضع أو بالغلبة التقديرية، مشتق أولاً أو وصفٌ، [فهذه]خمسة في ذلك القدر بتسع مئة ـ بتقديم الفُوقية ـ وستين، وعلىٰ كلٍّ فهل هو الاسم الأعظم أم لا؟ [فهذه][5] اثنان في ذلك القدر/ [31/ب] بألفٍ وتسعمائة بتقديم الفوقية وعشرين.

وعلىٰ كلٍّ، فالرحمان إمَّا علم؛ فهو بدل أو عطف بيان جيء به للمدح لا للإيضاح، والرحيم نعتٌ لهُ لا للاسم الجلالةِ، أو صفة فهُما نعتان لاسم الجلالة[6]؛ وعلىٰ كلٍّ فهو إذا جُرد من «ألْ» إمَّا مصروف أو ممنوع من الصَّرف، فهذه أربعة في ذلك القدر بسبعة ألاف بتقديم السين وست مائة وثمانين؛ وعلىٰ كل فالرحمان والرحيم إمَّا متساويان لاتحادهما

---

(1) استدركتها من«و».

(2)لسان العرب، مادة «سما» (14/ 397).

(3) استدركتها من«و».

(4) انظر في ذلك البحر المحيط(1/ 146).

(5) استدركتها من«و».

(6) قال النحاس: «(الرحمن) نعت لله تعالىٰ، ولا يثنىٰ، ولا يجمع لأنه لا يكون إلا لله جل وعز. وأدغمت اللام في الراء لقربها منها وكثرة لام التعريف (الرحيم) نعت أيضا وجمعه رحماء وهذه لغة أهل الحجاز وبني أسد وقيس وربيعة وبنو تميم يقولون: رحيم ورغيف وبعير. ولك أن تشم الكسر في الوقف وأن تسكن، والإسكان في المكسور أجود والإشمام في المضموم أكثر؛ ويجوز النصب في الرحمن الرحيم علىٰ المدح والرفع علىٰ إضمار مبتدأ، ويجوز خفض الأول ورفع الثاني ورفع أحدهما ونصب الآخر» إعراب القرآن (1/ 167-168).

أو متكافئان، لاختصاص كلٍّ بمزية تُعادل مزية الآخر، والرحمان أبلغ، أو الرحيم أبلغُ، فهذه أربعة في ذلك القدر بثلاثين ألفاً وسبع مائة بتقديم السين وعشرين.

وعلىٰ كل فالرحمة إمَّا أن يُراد بها غايتها وهو الإحسان، أو مبدأها وهو إرادتُه، أو يراد بها في الأول الغاية، وفي الثاني المبدأ أو العكس؛ وعلىٰ كلٍّ إمَّا علىٰ طريق المجاز أو الاستعارة، فهذه ثمانية في ذلك القدر بمئتي ألف وخمسة وأربعين ألفاً وسبع مئة وستين بتقديم السين؛ وعلىٰ كل فهُما إمَّا مجروران أو مرفوعان أو منصُوبان، أو الأول مجرور والثاني منصُوبٌ، أو مرفوع أو العكس، أو الأول مرفوعٌ والثاني منصوبٌ أو العكس، أو الأول مرفوعٌ أو منصوبٌ، والثاني مجرور بناء علىٰ صحة الاتباع بعد القطع، فهذه تسعة في ذلك القدر بألفي ألف وأحد عشر ألف وأربعين؛ وعلىٰ كلٍّ فالإتيان بها، إمَّا واجب أو مندوب أو محرم أو مكروهٌ، فهذه أربعة في ذلك القدر بثمان ألفِ ألفِ وسبعة بتقديم السين وأربعين ألفاً وثلاث مئة وستين، ويزيد العددُ جِدّاً إن اعتبرت أقسام المتعلق الفعل الماضي والمضارع والأمر، خطاباً لنفسه أو شخصٍ مجرداً منها، وأقسام متعلق الاسمي، كالمصدر واسمه، واسم الفاعل واسم المفعول، واحتمالي القصر علىٰ تقدير تأخير المتعلق من كونه إفرادا و قلباً.

وأقول «ألْ» في اسم الجلالة علىٰ تقدير العَلَمِية من كونها للتعويض عن همزة «ألْ»، أو زائدة لازمة أو من نفس الكلمة، والأقوال فيه[1] من كونه عربيا أو عبرانيا أو سريانيا، والأقوال فيما اشتق هو منه علىٰ القول باشتقاقه من كونه من أصل لا يعلمه إلاَّ الله/ أو [32/أ] من لاه يلوه احتجب، أو من لاه يليه، إذا ارتفع أو تحير أو فزع أو ولع أو احتاج أو سكن، أو من وله إذا فزع أو طرب أو تحير[2]. والاحتمالات في قضية البسملة علىٰ أنَّها

---

(1) حكىٰ النيسابوري ذلك في تفسيره فانظره(1/ 97-98).

(2) انظر في ذلك مفردات القرآن للراغب(ص83)، والبحر المحيط(1/ 146).

خبرية من كونها شخصية إن اعتبر شخص المسند إليه فيها، أو كلية إن اعتبرت كلية أو مهملة إن لم تعتبر شيئاً منهما بناء على صحة هاذين، واحتمال صحة توجيه هذه القضية بجهة الإمكان عاماً أو خاصاً، أو جهة الإطلاق.

وكان يقال: (أبدأ بسم الله) الرحمان الرحيم بالإمكان العام أو الخاص، أو بالفعل، والاحتمالات المتأتية على ما قيل: إنَّ الباء زائدة، وعلى ما قيل: إنَّ الباء للقسم، وفي هذا القدر تبصرة وذكرى لأولي الألباب(1).

وأمَّا جملة الحَمْدُ، فإمَّا أن يراد بالحمد فيها، الحمدُ اللغوي أو العرفي أو القدر المشترك، وعلى كل فهو إمَّا مصدر المبني للمفعول أو الفاعل أو اسم الفاعل المبني للفاعل أو المبني للمفعول أو اسم للقدر المشترك بين الأربعة، فهذه خمسة في ثلاثة بخمسة عشر، وعلى كلٍّ فلام التعريف إمَّا للاستغراق، فالقضية على أنَّ جملة الحمد خبرية كلية، أو للجنس فهي مهملة، أو للعهد فهي شخصية، فهذه ثلاثة في ذلك القدر بخمسة وأربعين، وعلى كلٍّ فلام الحمد إمَّا للملك أو الاختصاص أو الاستحقاق، بناء على أنَّ الفرق بينهما بما يناسب هنا، فهذه ثلاثة في ذلك القدر بمئة وخمسة وثلاثين.

وعلى كلٍّ فمتعلق الجار والمجرور، إمَّا فعل أو اسم، وعلى كلٍّ إمَّا عام أو خاص دلَّ عليه قرينة، وكل إمَّا مقدم أو مؤخر، فهذه ثمانية في ذلك القدر بألف وثمانين؛ وعلى كل فالجملة إمَّا خبرية لفظاً ومعنىً(2)، أو خبرية لفظاً، إنشائية معنىً، أي لإنشاءِ الثناء بمضمونها؛ وعلى كلٍّ فالإتيان بها إمَّا واجبٌ أو مندوبٌ أو محرمٌ أو مكروهٌ، فهذه أربعة في ذلك القدر بثمانية آلاف وست مئة وأربعين؛ وعلى كلٍّ فهو إمَّا مقيد وإمَّا مطلق ليس في مقابلة نعمة ويثاب عليه ثواب الواجب، فهذه اثنان في ذلك القدر بسبعة عشر ألفاً

---

(1) إعراب القرآن للنحاس(1/ 166)، وتفسير القرطبي(1/ 142).

(2) انظر شرح الشيخ الطيب بن كيران على المرشد المعين(ص8-9).

بتقديم السين ومئتين وثمانين؛ وعلىٰ كلٍّ فإمَّا أن تكون الدال في الحمد مضمومة واللام مكسُورة كما هو الأصل/ أو يكونَا مضمومتين أو مكسورتين كما قرئ به شذوذاً، فهذه ثلاثة في ذلك القدر بإحدىٰ وأربعين ألفاً وثمان مئة وعشرين، ويزيدُ العدد باحتمال تعلق [32/ب] الجار والمجرور بالحمد، فاللام للتعدية[1] ومحل المجرور نصب وما يتأتىٰ عليه من الأوجهِ المذكورة، ولك أن تزيد العدد بما بيَّنَّاه لك سابقاً، لكن توجيه القضية هنا بالإطلاق أو الإمكان فقط، إلاَّ إن خصّ الحمد بالحمد القديم فبالضرورة والدوام أيضاً.

فصل

بنيت «الباءُ» علىٰ حركة لأنَّها حرف آحادي، وكانت كسرة لمشاكلة عملها وطول رأسها تفخيماً للحرف الذي ابتدأ به كتاب الله تعالىٰ وتعويض عن ألف اسم بنحو نصفها بدليل عدم التطويل عند كتابة الألف كما في﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[2] وحذفت ألف اسم خطاً مع أنَّ كتابتها هي القياس تخفيفاً لكثرة كتابتها، وقيل: لا حذف بل الباء داخلة علم اسم بغير أوله ثمَّ سكنت فراراً من توالي الكسرات أو الانتقال من كسر إلىٰ ضم، وقيل: (باسم الله) ولم يقل بالله مبالغة في التعظيم والأدب ولأنَّه أبعد من إيهام القسم من بالله، وللإشارة إلىٰ أنَّه كما يُتبركُ ويستعان بذاته، يتبرك ويستعان باسمه.

ولإفادة العموم، إن قلنا: [إن الإضافة استغراقية أو جنسية، وتوجيه نفس السامع نحو المعهود وإعمالها في تعيينه][3] عهدية، والإجمال والتفصيل إن جعلت الباء صلة نحو التبرك أو الاستعانة، فإن جعلت صلة نحو الابتداء أو المصاحبة فلا يتجهُ السؤال؛ لأنَّ

(1) في «و» «للتقوية».

(2) سورة العلق آية 1.

(3) ما بين المعقوفين سقط من «ع»، والمثبت من «و».

الابتداء أو مصاحبة الفعل إنَّما يظهران في الاسم، والاسمُ حقيقتهُ اللفظ الذي وقعت به التسمية، فهو غيرُ المسمىٰ قطعاً، وقد يراد به مجاز المدلول، فينقسمُ عند الشيخ الأشعري[1] ثلاثة أقسام: ما هو عين المسمىٰ كالله وما هو غيره كالخالِق، وما هو لا عينه ولا غيره كالعالم[2]، وفي الاسم ثمانية عشر لغة جمعت في قوله: «سُمٌ سُمىٰ سمات كذا سُمَّىٰ سَماء بتثليث لهمز وسِينَاتِ».

وأصل (الله)على القول باشتقاقه (الآلاه)[3]، حذفت الهمزة علىٰ غير قياس، إذ حذفها القياسي بعد نقل حركتها وجعلت (أل) عوض عنها، وقيل: قياسي لأنَّه اجتمع همزتان بينهما ساكن وهو غير حصين حذفت الثانية تخفيفاً، وقيل نقلت حركة الهمزة إلىٰ اللام فحذفت الهمزة/ وسكنت اللام للإدغام، وقيل: أصلهُ (إله) فحذفت الهمزة علىٰ غير قياس وَأوتي بـ«أل» عوضاً، وقيل: غير ذلك، وتفخم لامه عقب فتحٍ أو ضم، وترقق لامه بعد كسر، ولا يجوز حذف ألفه لفظاً، وجاز ضرورة لكنها ضرورة شاذة ليس لشاعر قياس عليها؛ وحكي عن الزجاجي أنَّها لغةٌ[4].

[33/أ]

---

(1) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسىٰ بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسىٰ الأشعري صاحب رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم؛ هو صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، وشهرته تغني عن الإطالة في تعريفه، قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب، منها: «الرد علىٰ المجسمة» و«مقالات الإسلاميين» و«الإبانة عن أصول الديانة». وتوفي ببغداد سنة 324هـ، وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي(13/ 260)؛ وترتيب المدارك للقاضي عياض(6/ 196)؛ ووفيات الأعيان لابن خلكان(3/ 284).

(2) ينظر، الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري(ص151).

(3) ذكر النيسابوري أقوال العلماء في أصل الكلمة، انظر تفسير الكشف والبيان(1/ 95-96).

(4) ذكر أبو جعفر النحاس اشتقاقات «الله». إعراب القرآن(1/ 169-170).

و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ صفتان مشبهتان من مصدر (رحِم) بالكسر فحولا لازما أو (رحُم) بالضمّ مفيدان المبالغة بمادتهما، كجواد وقيوم وحصرهم المبالغة في الأمثلة الخمسة العاملة النصب، إنَّما هو فيما يفيدها بالصيغة، والمراد بالمبالغة قوة المعنىٰ أو كثرة الأفراد لا إعطاء الشيء أكثر مما يستحق، وتقديم الجلالة لأشرفيته ثمَّ الرحمان لأبلغيته علىٰ الرحيم في الأفصح و لاختصاصه به تعالىٰ شرعاً لا لغة وفاقاً للعز ابن عبد السلام[1]، وقولهم: الأول تقديم غير الأبلغ محلهُ إذا تضمن الأبلغُ غيره كعالم نحرير لا مطلقاً، واختير هذان الوصفان إشارة إلىٰ سبق الرحمة وغلبتها رأفة بالعباد، وإنما قيل: (الحمد لله) ولم يقل (الشكر لله)، إشارة إلىٰ أنَّهُ رأس الشكر كما في الحديث[2] لأنَّه أصرح أنواعه، ثمَّ تارة يقدم لفظ الحمد مُراعاة لكون المقام مقام الحمد فهُو يقتضي تقديمهُ، وتارة يقدم الخبرُ مُراعاة لشرف اسم الله تعالىٰ ولإفادة الحصر زيادة علىٰ الفائدة الحاصلة مع تقديم الحمد، والحصر إمّا علىٰ سبيل المبالغة أو بحسب الحقيقة، والحال لأنَّ حمد الحوادث علىٰ فعلهم الجميل، يرجع في الحقيقة إلىٰ خالقه فيهم وموفقهم له؛ والأوجه أنَّ المحمود عليه إن كان متجدداً كالإنعام، فالجملة الفعلية أولىٰ، وإن كان ثابتاً مستمراً كالقدرة، فالجملة الاسمية أولىٰ رعاية للتناسب[3].

والحمد لغة: الوصف بالجميل علىٰ الجميل غير المطبوع علىٰ التعظيم، وفي العرف العام، وقيل: عرف الصوفية، وقيل: الأصوليين أمرٌ يدل علىٰ التعظيم المنعم من حيث هو منعمٌ[4].

---

(1) انظر، تفسير العز بن عبد السلام(1/ 2-3).

(2) إشارة إلىٰ حديث أخرجه عبد الرزاق، والبيهقي من طريق قتادة أن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «الحمد لله رأس الشكر، ما شكر الله عبدا لا يحمده». مصنف عبد الرزاق (10/ 424)، شعب الإيمان رقم4085(6/ 230).

(3) ذكر النيسابوري الفرق بين «الحمد» و«المدح» و«الشكر»، انظر تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان(1/ 93-94-95-96).

(4) انظر تفسير الكشاف(1/ 8).

والشكر لغة: هو الحمدُ عرفاً، وفي عرف الصوفية، وقيل: عرف الشرع صرف العبد جميع ما أنعم اللهُ به عليه إلىٰ ما خلق لأجله.

والمدح لغة: علىٰ الأشهر الوصف بالجميل علىٰ الجميل مُطلقاً مع التعظيم، وعرفاً عاماً أمر يدُل علىٰ مزية في الشيءِ وأعمهَا/ مطلقا المدح العُرفي، وأخصها مطلقا الشّكرُ [33/ب] العُرفي، وهذا جدول يشتمل علىٰ النِّسب الخمسة عشر التي بين الستة، فإذا أردت استخراجَ ما بين معنيين منها من النِّسب فانظر بيت التقاطع بينهما تجد النسبة والله أعلم.

	مدح عرفي	شكر عرفي	حمد عرفي	مدح لغوي	شكر لغوي
حمد لغوي	أعـم مطلقاً	أخص مطلقاً	عموم من وجه	عموم مطلقا	من وجه
شكر لغوي			ترادف	عموم	
مدح لغوي			عموم		
حمد عرفي					
شكر عرفي					

انتهىٰ بحمد الله وعونه ما قيده العلامة المحقق الشيخ الطيب بن عبد المجيد بن كيران علىٰ البسملة رحمه الله.

التقييد الثاني:

تفسير سورة الفاتحة



الحمد لله وحده [له الملك][1] وله الحمد[...][2].

ابتدأ في القرآن بالحمدِ لأنّه أعظم الأمور التي لها بال، والعبد محتاج فيها إلى الابتداء ليكمل فعله وينجح قصده، لإنبائه عن شهود صفات الربوبية، من القدرة والعلم والغنى والقوة وشهود نفسه بأضدادها من العجز والجهل والفقر والضعف، وذلك سبب النجاح تحـ[قق][3] بـأوصافك يمدك بأوصافه، والقصد من القرآن أنْ يتلوه العباد فينتفعوا بما فيه من الحكم والأحكام؛ فمنفعته راجعة إليهم، فبدئ[بما أمروا][4] أن يسددوا به مهماتهم لاسيما القرآن، ولأنّ مدار ما جاء به القرآن من العلوم على أن يحمد العبد ربه بإقراره له بالتوحيد والتعبد له واعتقاد أنّه أهل لأن يطاع بناء على أنّ المراد الحمد العرفي[5]، وهو الشكر اللغوي وهو رأس الشكر.

فالحمد لغة[6]: الوصف بالجميل على الجميل الاختياري، فشرط المحمود عليه أن يكون اختياريا دون المحمود [به][7] على الأصح فيهما، وأورد عليه لزوم كون الثناء على الصفات القديمة غير حمد، والاتفاق على أنّه حمدٌ وأجيب بأنها لمّا كانت بدء الأفعال

---

(1) غير واضح في الأصل بسبب الطمس وقدرته تناسباً مع السياق.

(2) طمس في الأصل بمقدار كلمة.

(3) هذه العبارة من إيقاظ الهمم لابن عجيبة(ص215)، وما بين معقوفين مخروم في الأصل واستدركته منها.

(4) مخروم في الأصل واستدركته بما يتناسب مع السياق.

(5) قال الجرجاني: «الحمد العرفي: فعل يشعر بتعظيم المنعم بحسب كونه منعما، أعم من أن يكون فعل اللسان أو الأركان»انظر التعريفات(ص156).

(6) الحمد لغة: الثناء واصطلاحا «الثناء على الله تعالى بجميل صفاته الذاتية وغيرها...» لسان العرب(4/ 216)«مادة حمد».

(7) طمس في الأصل.

الاختيارية، إذ بالقدرة والإرادة والعلم والحياة مثلا يتأتى الخلق والرزق والهداية والتعليم وغير ذلك كانت الصفات القديمة اختيارية حكما، وهذا الخلاف الممدوح عليه فلا يلزم كونه اختياريا حقيقة ولا حكما، يقال: مدحت اللؤلؤة على صفائها، ومدح فلان فلانا على وضاءة الخدِّ ورشاقة القَدِّ، دون «حمِدت» و«حمِد» ولإشعار الحمد بالاختيار، اختير في مفتتح القرآن على المدح، فكانت أول جملة من الكتاب الحكم تفيد أنّه تعالى فاعل بالاختيار لا بطبع أو تعليل، وهي قاعدة عظيمة في أصول الدين.

وأمّا اختيار الحمد على الشكر، فيفيد أنّه تعالى يستحق الثناء على كمالاته ولو مع قطع النظر عن الإنعام، ثمَّ المحمود به والمحمود عليه قد يتغايران بالذات، كما لو أحسن إليك زيد، فقلت: زيدٌ شجاعٌ أو عالم، فالمحمود عليه الإحسان والمحمود به الشجاعة أو العلم. وقد يتحدان بالذات فيتغايران بالاعتبار فقط؛ كما لو أحسن إليك زيد، فقلت: زيد محسنٌ، فالإحسان من حيث إنّه باعث على الحمد محمود عليه، ومن حيث اشتمال الصيغة على ذكره محمود به، ثمّ المحمود عليه تارة يكون من الفضائل، وهي الصفات القاصرة على المحمود التي لا تقتضي لذاتها التعلق بغيره وانتفاع الغير بأثرها، كالشجاعة والعلم، وتارة يكون من الفواضل، وهي الصفات المقتضية لذاتها التعدي إلى الغير كالإحسان، ودفع الضرر، والهداية والتعليم، ولا يحتاج إلى أن يزاد في التعريف على جهة التعظيم والتبجيل، لإخراج الهزءِ والسخرية والتقريع نحو: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[1] لخروج ذلك بقولنا على الجميل؛ أي مقابلته.

والحمد عُرفا: فعل يُنْبِئُ عن تعظيم المنعم بسبب الإنعام على الحامد وغيره كان قولاً باللسان أم اعتقاداً بالجنان أم عملاً وخدمةً بالأركان، فهو أعمُّ مورداً وأخصُّ متعلقاً.

---

(1) سورة الدخان، آية 46.

واللغوي بالعكس، بثناء باللسان في مقابلة إحسان لغوي وعُرفي، وثناء باللسان لأجل الكمال لغوي فقط واعتقاد أو عمل لأجل الإحسان عرفي فقط.

والشكر لغة: هو الحمد عرفاً[1]، وعرفاً صرف العبد جميع جوارحه الـمُنْعَمِ بها عليه وغيرها فيما يرضي المنعِم في عموم الأوقات، وهو المسمىٰ بالتقوىٰ والاستقامة، كصرف البصر في نظر الآيات للاعتبار وتعرفُ جلال الصانع وجماله والسمع في تلقي الأوامر والنواهي للامتثال وغير ذلك.

قيل لأبي حازم[2] ما شكر العينين؟ قال: «إذا رأيت بهما خيراً أعلنته، وإذا رأيت بهما شرّاً سترته، قيل: فما شكر الأذنين؟ قال: إذا سمعت بهما خيراً وعيته، وإذا سمعت بهما شرّاً دفنته، قيل: فما شكر اليدين، قال: ألاّ تأخذ بهما ما ليس لك، ولا تمنع حقاً هو لله فيهما، قيل: فما شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفله صبراً، وأعلاه علما، قيل: فما شكر الفرج؟ قال: كما قال تعالىٰ: ﴿وَالذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾إلى﴿مَلُومِينَ﴾[3]، قيل: فما شكر الرجلين؟ قال: إن رأيت شيئاً غبطته استعملتهما عمله، وإن مقته كففتهما عنه وأنت شاكر لله».[4]

---

(1) «والشُّكْرُ مثل الحمدِ إِلا أَنَّ الحمدَ أَعم منه فإِنك تَحْمَدُ الإِنسانَ علىٰ صفاته الجميلة وعلىٰ معروفه ولا تشكره إِلا علىٰ معروفه دون صفاته والشُّكْرُ مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية فيثني علىٰ المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أَنه مُولِيها..»لسان العرب، مادة« شكر»(8/ 115).

(2) هو أبو حازم سلمة بن دينار المدني الزاهد التمّار القاصّ مولىٰ الأسود ابن سفيان المخزومي، ويقال له الأعرج: عالم المدينة وقاضيها وشيخها(ت140هـ). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء(6/ 102)، وشذرات الذهب (1/ 208)، و الأعلام(3/ 113).

(3) ﴿وَالذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتَ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝﴾ سورة المؤمنون، آية 5-6.

(4) أورده السيوطي في الدر المنثور(2/ 60).

والشُّكر بهذا المعنىٰ هو المراد في آية: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[1]، وحديث: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[2] وهو الذي عبَّر عنه الجنيد[3] حين سأله السّري[4] بقوله: «ما الشكر يا فتىٰ؟ قال: ألا يعصي الله بنعمه، قال: يوشك أن يكون حظك من الله لسانك، قال: فما زالت متخوفا من هذه الكلمة»[5]؛ وهو أخصّ وجوداً من كل من الحمدين، كما أنّ بينهما عموما وجهياً.

فهذه ثلاث نِسَب، ومَن جعلها ستًّا بزيادة نسبة الشُّكر اللغوي إلىٰ كل من الثلاثة فقد وهم، وإن تمالأ أكثرهم علىٰ ذلك؛ لأنَّ الشُّكر اللغوي هو الحمد العُرفي، فنسبته هي بعينها نسبة الشُّكر اللغوي لترادفهما علىٰ معنىً واحد، والنّسب إنّما تعتبر المعنيين المعقولين، وأمّا الترادف فليس من النِّسب الأربع؛ لأنّه نسبة بين الألفاظ فقط.

وتعريف الحمد، إمّا للعهد، والمعهود حمد الله لنفسه في أزله، لما علم عجز خلقه عن حمده بما هو أهله، فإذا قال العبد:«الحمد لله»، فكأنّه يقول: أَحمدُهُ بذلك الحمد الذي حمدَ

---

(1) سورة سبأ، آية 13.

(2) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب قيام النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ ترِم قدَماهُ، رقم1130(1/ 249)؛ ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، رقم7302 (8/ 141) كلهم من حديث المغيرة بن شعبة.

(3) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز، الزاهد المشهور؛ أصله من نهاوند، ومولده ومنشأه العراق، وكان شيخ وقته وفريد عصره، وكلامه في الحقيقة مشهور مدون. وصحب خاله السري السقطي والحارث المحاسبي وغيرهما (ت297هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان(1/ 373)، والسير(27/ 69-70).

(4) هو أبو الحسن السَّرِيُّ بنُ المُغَلِّسِ السَّقَطِيُّ الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، البغدادي، وُلد: فِي حدودِ السِّتِّيْنَ وَمائَةٍ(ت253هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان(2/ 357)، والسير(23/ 176).

(5) أورده الذهبي في السير(27/ 69-70).

به نفسه، وإن كنت لا أعلم على التفصيل، كقوله عليه السلام: «لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»[1].

وقد سأل أبو العباس المرْسِي[2] البهاء ابن النحاس[3] عن تعريف الحمد، فقال: «هو تعريف الجنس، فقال أبو العباس: بل تعريف العهد وقرره بما ذكرناه، فقال ابن النحاس: أشهدك يا سيدي أنها عهدية، ويحتمل أن تكون للجنس، إمّا على سبيل الاستغراق؛ أي/ [1/أ] كل حمد لله أي فالمحمود به هو الله؛ وإمّا للإشارة إلى الحقيقة فمن حيث عهديتُها في [الطرفين][4] مع قطع [النظر عن][5] التعريف[...][6] العراك والرجل والمرأة في قولنا: الرجل خير من المرأة، فإنّه إشارة إلى ما يعرفه[كل أحد][7] من أنّ العراكَ ما هو من بين أجناس الأفعال، وأنّ الرجل والمرأة ما هما من بين أجناس الأجسام، وعلى هذا اقتصر

---

(1) طرف من حديث، أخرجه مسلم في صحيحه: «اللهم أعوذُ بِرِضَاكَ من سَخطِكَ، وبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ» كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم 1118، (2/ 51)، وأبو داوود في كتاب الصلاة، باب في الدعاء في الركوع والسجود رقم 879(1/ 327)، والترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في دعاء الوتر، رقم 3493(5/ 524) كلهم من حديث عائشة.

(2) هو أبو العباس أحمد بن عمر المرسي شهاب الدين: العلامة البارع القدوة المفسر المحدث النحوي فقيه متصوف، من أهل الإسكندرية، أصله من مرسية في الأندلس(ت686هـ)، ترجمته في: السير(23/ 314)، والنجوم الزاهرة(7/ 371).

(3) محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي النضر الإمام بهاء الدين بن النحاس شيخ العربية والأدب كان رجلاً عالماً علامة في النحو واللغة والتصريف صالحاً خيراً انتهت إليه هذه العلوم بالديار المصرية(ت698هـ). ترجمته في: غاية النهاية (1/ 295).

(4) طمس في الأصل واستدركته بما يتناسب مع السياق.

(5) طمس في الأصل واستدركته بما يتناسب مع السياق.

(6) خرم في الأصل مقدار كلمة.

(7) مخروم في الأصل واستدركته بما يتناسب مع السياق.

الزمخشري[1] ومنع حسبما دلّ عليه مواضع من كلامه أن تحمل «ألْ» علىٰ الاستغراق ونقل عنه توجيه ذلك أنّ اللاَّم لا تفيد سوىٰ التعريف، والاسْمُ لاَ يدل إلاّ علىٰ مُسماه فلا يكون ثَمّ استغراقٌ، يعني أنَّ المقصود في المقام، وهو رجوع الحمد بأسره لله حاصل مع بقاء اللاّم علىٰ معناها الوضعي، أعني التعريف، وهو عهدية مدخولها في ذهن المخاطب وبقاء مدخولها علىٰ معناه الوضعي، وهو نفس الماهية؛ إذ هو من المصادر الموضوعة للجنس من حيث هو، ولام الجرِّ للاختصاص، فصار معنىٰ الحمد حقيقة الحمد المعروفة لكل أحد مختصة بالله، وهذا هو المقصود. فلا حاجة إلىٰ اعتبار الاستغراق الذي يحتاج في استفادته إلىٰ الاستعانة بالقرائن الخارجية واعتبارها، فإنّه ليس معنىٰ وضعيا للام التعريف.

فإن قلت: إذا اسُتعين بتلك القرائن وحملت اللاّم علىٰ الاستغراق صار اختصاص إفراد الحمد بالله صريحاً، وإذا اكتفىٰ بدلالة اللفظ الوضعية، صار اختصاصها لازما من اختصاص الجنس، والأول أولىٰ، فلم اختير الثاني؟

قلنا: الاختصاصان متلازمان، فإن كان المراد اختصاص الجنس فقد صرح به، وإن كان المقصود اختصاص الإفراد فقد جعل اختصاص الجنس دليلاً عليه؛ وسلوك طريق البرهان فنّ من البلاغة فإنّه قاله السيد الجرجاني[2]، لكنّه جعله مغايرا لما نقل عن العلامة وليس كذلك، وإنّما هو تفصيل لهُ وبيان، وقد تبيَّن أنّ استفادة الاختصاص من هذه الجملة لا يتوقف علىٰ تقديم المسند، أعني لله بل هو مستفاد من الاستغراق إن حملت «ألْ» عليه وحينئذٍ تكون لاَمُ الجرّ للاستحقاق أو تأكيد الاختصاص أو من لام الجرّ إن

(1) تفسير الكشاف (1/ 112).

(2) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الشافعي، واضع أصول البلاغة، له كتاب«الإيضاح»، «إعجاز القرآن»، وغير ذلك(ت471هـ). انظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرىٰ لابن السبكي(5/ 149)، وشذرات الذهب(3/ 340)، وسير أعلام النبلاء(18/ 432).

حملت على تعريف الجنس، ولم يقدم اسم الجلالة وإن كان أهمّ في نفسه، لأنّ المقام مقام حمد وثناء فاقتضى الاعتناء باللفظ الدّال على ذلك وضعاً، وأهميته مقدمة على أهمية الذات، إذ ليست البلاغة إلا بمطابقة المقام، ولنحو هذا قُدِّمَ الفعل في: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾[1] إذ لم يجعل المجرور متعلقا باقرإ الثاني، ووجه رجوع الحمد بأسره لله تعالى حتى[إنّه][2] شيءَ منه لغيره على مذهب أهل الحق والسنة واضح؛ لأنّ الحمد إمّا في مقابلة كمال أو نعمة، والكمال إن كان قائما بذاته تعالى فلا شك أنّه المحمود عليه، وإن كان قائماً بمخلوق فهو عارية عنده وواهبه ومُسْدِيه إليه وحده، فإذا حمد ذلك المخلوق عليه انصرف الحمد في الحقيقة لواهب ذلك الكمال ومسديه وكان المخلوق محموداً صورة فقط؛ والنعمة المحمود عليها إمّا من الله بلا واسطة، أو منه بها.

فإنّ العبد المستعمل في جلب أو دفع مجبور في قلب مختار مجده على ذلك حمد لمن ساقه إليه واستعمله فيه، والعبد محمود صورة فقط أيضاً، ولا منافاة بين ذلك وبين كون العبد فاعلا ومحموداً لغة وشرعاً، كما لا يخفى على من حقق مبحث الكسب[3]. وينبغي لحامد الوسائط أن يراعي هذا المعنى حتى يكون جامعاً بين الحقيقة والشريعة دفعة واحدة إذ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾[4]، «وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ»[5]، ونظيره ما يقال عند زيارة الأولياء والعلماء لا قرور في

---

(1) سورة العلق، آية1.

(2) مخروم في الأصل واستدركته بما يتناسب مع السياق.

(3) للشيخ الطيب ابن كيران تقييد نفيس على هذا المبحث «تأليف في مسألة الكسب»، محفوظ بالمكتبة الوطنية تحت رقم (153ح) ضمن مجموع من ص(290-306).

(4) سورة النحل آية 53.

(5) إشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه أحمد عن النعمان بن بشير في مسنده، رقم18449(30/ 390)، والترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب الشكر لمن أحسن إليك، رقم1955(4/ 339)، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. والبيهقي في شعب الإيمان رقم 9119 (6/ 516) من طريق منصور بن أبي مزاحم شيخ عبد الله بن أحمد بهذا الإسناد.

الحقيقة إلاّ سيدنا رسول الله ﷺ إذ هم مقتبسون من أنواره وجداول من فيض بحاره. فينبغي لزائرهم رعاية هذا المعنىٰ أيضاً.

ومما يستأنس به لصرف المحامد كلها لله، قول أبي نواس: [الطويل]

إذا نحـنُ أثْنينـا علَيـكَ بصـالح — فأنْتَ كما نُثْني وفـوْقَ الـذي نُثْـني

وإنْ جرَتِ الألفاظُ يوما بِمِدْحَةٍ — بغيرِكَ إنْساناً فأنتَ الذي نَعني[1]

وقول أبي الطيب: ٢٢٣٩٥٦ [البسيط]

تَمَلّكَ الحَمْـدَ حتـى مـا لِمُفْتَخِـرٍ — في الحَمْـدِ حـاءٌ وَلا مـيمٌ وَلا دال[2]

وقد ضمنت هذا المعنىٰ صدر بعض الخطب فقلت: الحمد لله الذي لا محمود علىٰ الحقيقة سواه، فهو المستحق لكل حمدٍ وثناءٍ يليق بعلاه لتفرده بأسباب الحمد من الإحسان والكمال، فلا إحسان إلاّ منه تعالىٰ وإن أبداه علىٰ يد عبد وأجراه، فالعبد مسخرٌ مستعمل فيما ساقه إليه وهداه، إذ هو الخالق للعزائم والأعمال، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[3] ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[4] فإذن ما بكم من نعمة فمن الله الكبير المتعال و لا كمال إلاّ له جلّ وعلا وإن وضعه في مخلوق فالله موليه ومولاه، ﴿ قُلِ إنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾[5] فهو إذن الذي تملكَ الحمد حتىٰ ما لمفتخر في الحمد حاء ولا ميم ولا دال.

---

(1) ديوان أبي نواس (ص956).

(2) أورده في الحماسة المغربية أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي(1/ 510).

(3) سورة الإنسان من الآية 30؛ سورة التكوير من الآية 29.

(4) سورة الأعراف من الآية 188.

(5) سورة آل عمران من الآية 72.

وأمّا على مذهب المعْتَزِلَةِ القائلين بأنّ العبد يخلق أفعاله التي منها الجميل المستحق به الحمد/ فيكون العبد محموداً حقيقة، فهم لا يمنعون أنّ التمكين من خلق الأفعال [2/أ] الجميلة التي يستحق بها الحمد من الله لأنّه الخالق لقدرة[...][1]. قال الزمخشري في: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾[2]قدم الظرفان ليدل بتقديمها على اختصاص الملك والحمد به، وأمّا حمد غيره فاعتداد بأنَّ نعمة الله تعالى جرت على يد غيره»[3]انتهى.

فإن قلت: جعلهُ التقديم هنا للحصر ينافي ما ادعاه في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ من إفادته الاختصاص مع أنّه لا تقديم فيه.

قلت: لعله لم يجعل اللاَّمين في﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ للاختصاص بل للاستحقاق فجعل الاختصاص مستفادا من التقديم وجعلها في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ للاختصاص فلم يتوقف على التقديم.

فإن قلت: إذا أفاد التركيبان الاختصاص، فلمَ احتاج سيدنا أبو بكر وأتباعه من المصلين إلى التقديم في «ربنا ولك الحمد» على أنّه لمّا أدرك الركعة قال: الحمد لله، فما الفرق؟.

قلنا: لمّا أدرك الركعة مع رسول الله بعد الإشراف على الفوات شهد فضل الله ورحمته، فقال: من بساط شهود الجمال، الحمد لله، فلمّا أخبر على لسان الرسول أنّه سامع لقوله ومعتبر له ونتيجة ذلك أنّه معتنىً به ومقرب له لم تبق إلاّ الغيبة فيه والانتقال إلى التلذذ بخطابه، فجيء في كلا المقامين بما يناسبه، وقدم في كل ما انصرفت الأهمية إليه، فليس التقديم في «ربنا ولك الحمد» للحصر؛ والمناسب لما ذكر أن تكون «واو» «ولك الحمد»

---

(1) خرم في الأصل مقدار كلمة.

(2) سورة التغابن آية 1.

(3) الكشاف (6/ 130).

عاطفة على مثل مدخولها مقدرا قصدا إلى التكرار والتكثير، فكأنّه من كثرة اللذة باعتناء الله به جعل يقول: «ولك الحمد» «ولك الحمد»، وهكذا فاكتفى بـ«الواو» التي هي علم ذلك، فاستحضر هذا المعنى في صلاتك[1]؛ ثمّ الجملة إمّا نافية على وضعها من الإخبار ويحصل الحمد بها، لأنّ الإخبار بأنّ الحمد بأسره لله ثناء بالجميل، فالإخبار هنا من جزئيات المخبر عنه، كقولنا: الخبر يحتمل الصدق والكذب، والصدق محمود. ويحتمل أنّها حقيقة عرفية في الإنشاء، فلا يحتاج إلى قرينة ولا إلى نية إخراجها عن وضعها، والقصد إنشاء الثناء بمضمونها لا إنشاء مضمونها الذي هو ثبوت المحامد لله؛ لأنّ هذا الثبوت قديمٌ لا ينشأ. ويحتمل أن تستعمل في المنقول عنه وإليه، كاستعمال المشترك[2] بين متضاد فيهما كالقَرْء[3] والجَوْنِ[4]، ولا محذور في اجتماع دلالتين على متنافيين، كالإخبار والإنشاء؛ إنّما المحذور اجتماع المتنافيين أنفسهما.

فإن قلت: من الجائز هنا إن كان الله مجده قديم والإخبار والإنشاء عارضا النّسبة الحادثة بهما حادثان، وإن كان العبد والمعنى قولوا: (الحمد لله)، فالجملة مفرد بل جزء مفرد في الحقيقة، لأنّ المفرد المحكي بتمامه فهو مفعول القول، قلنا: لنا أن نختار الأول،

---

(1) انظر في ذلك كلام الشيخ ابن زكري في تفسير سورة الفاتحة، تقييدات في التفسير(ص62-63).

(2) المشترك في اللغة: اسم مفعول، مأخوذ من الشركة وهي اشتراك المتعدد في أمر واحد، وعند الأصوليين: ما اتحد في اللفظ واختلف في مدلوله، مثل القرء. انظر في ذلك جمع الجوامع لابن السبكي(ص28-29).

(3) القرء بالفتح: الحيض، والجمع أقراء وقروء على فعول، وأقرؤ في أدنى العدد. وفي الحديث: «دعي الصلاة أيام أقرائك ». والقرء أيضا: يكون للحيض، وقد يكون للطهر. انظر؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري(1/ 65).

(4) الجيم والواو والنون أصلٌ واحد، زعم بعض النحويِّن أنَّ «الجَون» معرّب، وأنه اللون الذي يقوله الفُرْس «الكُونَهْ» أي لون الشيء. قال: فلذلك يقال «الجَونُ» الأسود والأبيض. وهذا كلامٌ لا معنى له. و«الجَوْن» عند أهل اللُّغةِ قاطبةً اسمٌ يقع على الأسود والأبيض، وهو بابٌ من تسمية المتضادَّين بالاسم الواحد، كالنَّاهل، والظّنّ، وسائرِ ما في الباب. والجمع «جُوَن». انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس(1/ 496).

ولا نقول: إنّه حامد بهذه الجملة إذ ليس معنى قولنا: قال الله كذا، أو أخبر به أنّه تلفظ، ولكنّه من متعلقات كلامه القديم، فكل ما في الكتب المنّزلة متعلق كلامه لا عينه، وعلى هذا يكون القول مقدرا عند قوله: ﴿إيّاك نعبد﴾ وليس فيه التفات؛ ولنا أن نختار الثاني، ويكون الله تعالى حامداً أيضاً لزوماً، إذ كل متكلم بكلام راضياً به مذعنا له فهو منشئ له معنى، ولذا يحكم لقارئ البردة أنّه مادح المصطفى ومثنٍ عليه[...][1] بالنسبة إليه تعالى[...][2]. وأتى بها اسمية للدلالة على الدوام والثبات، بخلاف الفعلية نحو: «نحمدك اللهم».

فإن قلت: أيتهما أبلغ من حيث العموم، قلت: كل منهما لها جهة خصوص وعموم، وهي مندرجة بجهة خصوصها في الأخرى من جهة عمومها؛ بيانه أنّ معنى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلهِ﴾، أنّ الله تعالى هو المحمود بجميع المحامد التي من جملتها وصفه بجميع صفاته الجميلة إجمالا، ومعنى (نحمدك اللهم) نصفك بجميع صفاتك يا الله؛ إذ (الحمدُ) الوصف بالجميل وكل منهما جميل، ورعاية جميعها أنسب بالمقام الخطابي[3].

ومما يندرج في جملة صفاته ثبوت جميع المحامد له، و الحاصل أنّ كلا منهما تدل على صفة واحدة متضمنة لجميع الصفات الكمالية فاندرجت تلك الصفة بجهة وحدتها في الأخرى بجهة شمولها، غير أنّ الشمول في الاسمية صريح لا يحتاج فيه إلى الاستعانة بالمقام الخطابي اللآئق به رعاية الأبلغية مع إفادة الدوام والثبات، فكان ما افتتح به الكتاب العزيز أبلغ وأحكم؛ قيل: ومقتضى البلاغة رعاية المحمود عليه فإن كانت صفة ثابتة، كالربوبية هنا فالاسمية أولى وإن كان متجدداً، كقول ابن السبكي: «نحمدك اللهم

---

(1) بياض في الأصل بمقدار كلمة.

(2) بياض في الأصل بمقدار كلمة.

(3) ذكره الشيخ ابن زكري في تقييده على سورة الفاتحة. انظر، تقييدات في التفسير (ص63-64).

علىٰ نعم يؤذن الحمد بازديادها»[1]؛ فالفعلية أولىٰ، ويرد عليه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾[2]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾[3]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا﴾[4]، وقد يجاب بأنّ الحمد فيها لذات الله تعالىٰ، ثمّ ذُكرت النعمة تبعاً. وبقيت فوائد:

[2/ب] الأولىٰ: قال بعض المحققين: الحمد ثلاثة أقسام: / حمدُ العامة، وحمدُ الخاصة، وحمدُ خاصة الخاصة.

فالأول بِساطةُ شهود النّعم الدينية والدنيوية لأنّ ذلك مبلغ علمهم، وأمثلته كثيرة.

والثاني: بساطةُ شهود وصف العظمة والجلال نحو: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[5].

والثالث: بساطةُ شهود وصف التنزيه والكمال [لما فيه][6]من التوحيد والتفريد نحو: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً ﴾[7].

فأهل المقام الأول، وردوا حضرة الأفعال فحجبهم شهود الفعل عن شهود الوصف، وأهل المقام الثاني وردوا حضرة الصفات فحجبهم شهود الوصف عن شهود الموصوف، وأهل المقام الثالث، وردوا حضرة الأسماء فلم تحجبهم عن المسمىٰ؛

---

(1) الأشباه والنظائر لابن السبكي(1/ 12).

(2) سورة إبراهيم من الآية 41.

(3) سورة الكهف من الآية 1.

(4) سورة الأعراف من الآية 42.

(5) سورة الأنعام من الآية 1.

(6) طمس في الأصل، واستدركته من تقييد ابن زكري علىٰ سورة الفاتحة(ص59).

(7) سورة الإسراء من الآية 110.

فالأولون بين قبض وبسط، والمتوسطون بين جمال وجلال، والآخرون بين هيبة وأنس. قال: وأمّا قول الخليل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾[1] إلخ، وقول نوح: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا﴾[2] ونحوهما من الحمد على الأفعال فللتشريع[3].

قال العلامة ابن زكري: «لا يحتاج إلى هذا، لأنّ الحمدَ والشُّكرَ على النّعمة لا يستلزمُ إن فرح الحامدُ أو الشّاكرُ بها، بل قد يكون فرحه بالمنعم، والمحذور عند أهل المعرفة هو الأول لا الثاني، فإنّه عندهم الغاية في الشرف كما قاله ابن عباد[4] عند قول الحِكم: وفرَحٌ بالله ما شغله من النعم ظاهر مُتعتها ولا باطن منتها[5].

الثانية: ذكر هذه الجملة مع استحضار معناها منتج لمحبة العبد لربه، لأنّ أسباب المحبة وإن تكاثرت ترجع إلى شيئين، الحسن والإحسان، وهذه الجملة مستغرقة لأفرادهما وحاصرة لها في مولانا جلّ وعلا فإذا تتبع الناطق بها ما أمكنه من أفراد النوعين و لم يجده في الحقيقة إلا له أحبّه لا محالة وقصر وجهته عليه وفوض أموره إليه ولم يَسْعَ إلاّ فيما رضي محبوبه.

قال بعضهم: [كامل تام]

---

(1) سورة إبراهيم من الآية 41.

(2) سورة المؤمنون من الآية 28.

(3) أورده الشيخ ابن زكري في تقييده على سورة الفاتحة(ص58-59).

(4) هو الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عباد النفزي الحميري الرندي المعروف بابن عباد المتصوف من أهل رندة بالأندلس نقل بين فارس وتلمسان ومراكش وسلا وطنجة، واستقر خطيباً للقرويين بفاس، وتوفي بها، له شرح على الحكم يسمى «بشرح النفزي على متن السكندري»(ت792هـ). انظر ترجمته في: نفح الطيب(5/ 344-345)، والأعلام(6/ 109).

(5) تقييد على سورة الفاتحة لابن زكري(ص59/ 60).

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَذَا لَعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ[1]

ويرضى بقضائه واختياره له، وفي الحديث: «الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ تُنْزَعُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ، وَهُوَ يَحْمَدُ اللهَ إنّ روحه تُنْزَعُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ، وَهُوَ يَحْمَدُ الله»[2].

وقال معاذ عند موته: «اللهم إن كان هذا رضاك فزد حتى ترضى»[3].

وقال ابن عبد العزيز: «اخْنُقْ خَنْقَكَ فوعزتك إنّك تَعلَمُ أَني أُحبك»[4]، ورأى ابن أدهم ابنا له في مكة أضوأ ما يرى وقد جاء يطلب أباه فعرفه ولم يتعرف إليه وأنشأ يقول:

[الوافر]

هَجَرْتُ الخَلْقَ طُرّاً في رِضَاكَا ... وأَيتَمتُ البَنِينَ لِكَي أَرَاكَا

فَلَوْ قَطعْتني إِرْباً فَإرباً ... لما حَنَّ الفُؤاد إلى سَواكَا[5]

ومن هنا يعلم أنّ جملة (الحمد) أفضل من جملة (الشّكر)، لأنّ (الشّكر) لا يكون إلاّ في مقابلة النّعمة، فبسببه أقل المحبة التي ينتجها ناشئةٌ عن خصوص الإحسان؛ وجملة

---

(1) انظر ديوان عبد بن المبارك(ص37)، ونسبه ابن مفلح لإمام الشافعي، انظر الآداب الشرعية(1/ 154). الشرعية(1/ 154). ديوان الشافعي(ص67)، وديوان النابغة الذبياني(1/ 65).

(2) أخرجه الإمام النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب في البكاء على الميت، رقم 1843(4/ 12)، وصححه الألباني انظر صحيح الجامع حديث رقم 6652.

(3) مثله في الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني لأحمد النفراوي ولم ينسبه(2/ 60).

(4) انظر طبقات لابن سعد(3/ 589)، وتاريخ دمشق(3/ 179)، والذهبي في السير(1/ 460)، وجميعهم وجميعهم جعلوا هذا الكلام من قول معاذ بن جبل حال احتضاره.

(5) ينظر تاريخ دمشق(6/ 306).

الحمد تشاركها في ذلك وتزيد بإنتاج المحبة الناشئة عن شهود الكمال، وهذه لو انفردت لكانت أقوىٰ فكيف مع المشاركة.

ومن هنا يعلم الجواب عن سؤال، وهو أنّ الأئمة لمَ اقتصروا في افتتاح تأليفهم علىٰ جملة (الحمد) ومن ذكر معها جملة (الشّكر) أخرها؟

الثالثة: يعلم مما ذكرنا في هذه الجملة أنّ معناها أكثر وأوفر من الهيللة، فلذا أورد في حديث النسائي، «مَنْ قَال: لاَ إلهَ إلاّ الله كُتبَت لهُ عَشر حَسنَات، ومَنْ قَال: سُبحان الله كتبت له عشرون، ومن قال: الحمد لله رب العالمين كتبت له ثلاثون»[1]، لأنّ «الهيللة» تنزيه عن التشريك فقط، و«السبحلة»، تنزيه عن كل مالا يليق بالألوهية، و«الحمدلة» إثبات للكمالات ويستلزم التنزيه عن النقائض.

وأمّا حديث: «أَفضلُ مَا قُلتُه أَنَا وَالنَّبيُّونَ مِنْ قَبْلِي لاَ إِلَـهَ إِلاّ الله»[2]، فبالنسبة لما لم يتضمن معناها.

---

(1) أخرجه النسائي بهذا اللفظ في سننه، والإمام أحمد، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن النبي صلىٰ الله عليه و سلم قال : «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ الله، والْحَمْدُ للهِ، ولَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، فَمنْ قال: سُبحَانَ الله، كُتِبَ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً، وَحُطَّتْ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً، ومنْ قال: اللهُ أَكْبَرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، ومنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، ومنْ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ كُتِبَ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً وحُطَّتْ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً». سنن النسائي الكبرىٰ، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ذكر ما اصطفىٰ الله جل ثناؤه، رقم10676(6/ 210). و مسند أحمد بن حنبل رقم8093(13/ 457).

(2) طرف من حديث أخرجه مالك عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلىٰ الله عليه و سلم قال: « أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ. وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ». الموطأ كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء، رقم32(1/ 214). وسنن الترمذي ح3585(5/ 572) قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه؛ وقال الألباني: حديث حسن.

فإن قلت: مقتضىٰ كون «الحمدلة» تتضمن التنزيه، وكمالات كثيرة أن يكون لقائلها أضعاف ما للمهلل بكثير.

قلنا: الإجمال لا يقاوم التفصيل وإن كان أشمل؛ ولذا قيل: فيمن قال: اللهم صلىٰ علىٰ سيدنا محمد ألف مرة مثلا، ثوابه أكثر ممن لم يقل ألف مرة، ولا يساوي من صلىٰ ألف مرة مفصلة.

[3/أ] فإن قلت: مقتضىٰ الحديث أن أفضلية «الحمدلة» علىٰ «الهيللة»/ مشروط بزيادة ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، ومقتضىٰ ما قررنا، أنّ «الحمدلة» أفضل مطلقاً. قلنا: لما فاقتها «الهيللة» بالتصريح بصفة [التوحيد][1] في مقابلته بالتصريح بالربوبية للعالمين المساوي لذلك، فبقيت جملة «الحمدلة» زائدة بالشمول.

وبما ذكرناه تعلم، أنّ العقائد التي استخرجها الغزالي والسنوسي[2] من «الهيللة»، يمكن استخراجها أيضاً من «الحمدلة».

الرابعة: اختُلف في أفضل المحامد، وينبني علىٰ ذلك من الفقه مَن خَلف ليحمدنّ الله بأفضل محامده، أو بأجل الثناءِ وأعظمه، فإذا أراد الخروج من الخلاف فليأت بالجميع.

فقيل: أفضلها الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم؛ زاد بعضهم، عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم، وقيل: اللهم لا أحصي ثناء عليك

---

(1) خرم في الأصل وقدرته تناسباً مع السياق.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني عالم تلمسان في عصره، ولد سنة832هـ له تصانيف كثيرة منها: «شرح صحيح البخاري» لم يكمله، و«عقيدة أهل التوحيد»(ت895هـ). انظر ترجمته في: شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف(ص266)، ونيل الإبتهاج لأحمد بابا التنبكتي(ص325-329)، والأعلام(7/ 154).

أنت كما أثنيت على نفسك، زاد بعضهم في أوله سبحانك، وبعضهم في آخره فلك الحمد حتى ترضى، وقيل: الحمد لله حمداً يواف نعمه ويكافي مزيده.

وروى أن آدم قال: « يَا رَبِّ شَغَلْتَنِي بِكَسْبِ يَدِي، فَعَلِّمْنِي شَيْئًا فِيهِ مَجَامِعُ الْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ فَأَوْحَى الله إِلَيْهِ إِذَا أَصْبَحْتَ وإذا أمسيت، فَقُلْ ثَلَاثًا: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، فَذَلِكَ مَجَامِعُ الْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ »[1]، ويكافئ بالهمز يساوي ويقاوم.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، هذا وما بعده أدلة لما اقتضته جملة «الحمد» من انفراده تعالى باستحقاق الحمد.

حاصله، أنّ مِنهُ المبْدأ وبِهِ البقاء و إليهِ المرجع، فأشير بـ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى نعمة الإيجاد، و بـ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إلى نعمة الإمداد، وبـ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ إلى أنّه المتولي لعاقبة ذلك الإيجاد والإمداد من فضل وعدل.

ثمّ هذا الاستدلال ليس أجنبيا عن الجملة ولا خارجا عنها، بل هو تفضيل لبعض ما تضمنته بمضمونها، مصحوبٌ ببرهانه، معترف ببيانه، وحتى فتح لباب التدبر في معنى هذه الجملة وإيقاظ لشيء مما تضمنته ليهتدي به إلى غيره، ولو تتبع ذلك لما انتهت السورة، واختير للبيان ذكر هذه الثلاث؛ لاقتضائها وجوب الانقطاع بالكلية إليه، والتعويل في كل شيء عليه، حيث أفادت أن منه المبدأ وبه البقاء وإليه المرجع[2].

---

(1) أورده ابن حجر في تلخيص الحبير(4/ 171)، ونسبه لابن الصلاح في أماليه عن محمد بن النضر، وقال هذا الأخير: وهو ضعيف وغير متصل، خلاصة البدر المنير لابن الملقن(2/ 415).والسيوطي في الدر المنثور(1/ 326).

(2) انظر تقييدات في التفسير لابن زكري (ص65).

وبهذا يتضح حسن الالتفات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ كما أشار إليه صاحب المفتاح[1] والتلخيص، ويأتي إن شاء الله.

و«الرّبُّ» بمعنى المالك أو الخالق[2]، ويكون أيضاً بمعنى المعبود؛ ويبعده هنا أن المتبادر منه نسبة العبادة إلى كل فرد من أفراد كل عالم وليس كذلك، ويكون بمعنى المربي والمصلح، ويبعده أنّ هذا معنى قوله: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾وهو إمّا اسم فاعل مقصور كبرّ في بار، وصحّ وصف أعراف المعارف به وإن كانت إضافته لا تعرف، لأنّ ذلك إذا أريد به الحال أو الاستقبال، فكان في تقدير الانفصال؛ فإن قصد به الماضي أو الاستمرار في جميع الأزمنة كما هنا، كانت إضافته حقيقة كما ذكره في الكشاف عند قوله: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[3].

وأمّا القول بأنّه هنا صفة مشبهة كَقُم عليه فهو قم فلا حجة له، لأنّ فعل «ربّ» متعد يقال: ربه يرُبه فهو ربٌّ، ولا يقال: يصير لازما بتنزيل أو تحويل كرحم، لأنا نقول: يمنع من ذلك ذكر مفعوله في المعنى وهو ﴿الْعَـٰلَمِينَ﴾، ومعمول الصفة المشبهة لا يكون في المعنى إلاّ فاعلا وجوز في الكشاف، أن يكون مصدرا وصف به على سبيل المبالغة وقد علمت معنى المبالغة في صفاته تعالى وهو ثبوتها على الوجه الأكمل[4]، لكن

---

(1) هو العلامة أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي(ت626هـ)، له كتاب «مفتاح العلوم» و هو موسوعة في علوم اللغة و البلاغة، فاختصره جلال الدين محمود القزويني المتوفى سنة 739هـ في كتاب سماه «تلخيص المفتاح»، وشرح ابن مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى 792هـ «التلخيص» الذي للقزويني في كتاب سماه «بالمطول». انظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى(10/ 199)، وسير أعلام النبلاء(17/ 238).

(2) مفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني(ص774).

(3) تفسير الكشاف(1/ 12).

(4) نفسه، (1/ 11).

جعل الذات العلية نفس الخلق أو الملك مبالغة ليس مقبولا قبوله في قولك: زيد عدل رضي، ويبعده صراحة الأوصاف بعده، إذ لا فرق بين وصفه تعالى بالربوبية وبالرحمة والملك.

وقرئ ، ﴿ربَّ﴾ بالنصب على المدح أو بما دلّ عليه، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلهِ﴾فهو نعت على المعنى[1]، وتأويل ما قبله بـ(نحمد الله) لأنه قيل: (نحمد الله رب العالمين)، كالعطف على المعنى ورعاية المعنى في التابع، وإن لم يذكروه إلاّ في العطف وسموه عطفاً على التوهم والمعنى، كقوله: فاصدق ولكن باعتباره في النعت أيضاً وغيره أيضاً دقيق حسن؛ وعلى نصب﴿رب﴾فجر الرحمان وما بعده على البدل لا النعت، أي يلزم الاتباع بعد القطع أو التأويل والبدل على نية تكرار العامل فلا محذور؛ وأمّا على قراءة من نصب(ربَ العالمين) وما بعده من الأوصاف فيمكن فيه ما مرَّ وأن يكون منادى موصوفاً بما بعده[2]؛ وجواب ابتداء﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾فلا التفات فيه/ . [3/ب]

و(العالمون) جمع عالم، والعالم يطلق على مجموع الخلق وعلى أنواعه[3]، يقال: عالم الإنس وعالم الجنّ وعالم الملائكة وعالم النبات وعالم الوحوش وغير ذلك، وجمع جمع سلامة إذ ليس بعلم ولا صفة لكن لُوحظ فيه معنى الوصف وهو العلم في بعض الأنواع، أولها باعتبار معرفة الخالق حملا لقوله:﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ اِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[4]على تسبيح المقال، وهو الحق إلا كونه علامة على وجود الصانع الحكيم فسهل ذلك شذوذ الجمع، وهل المراد به بعد الجمعية أنواع العقلاء وغيرهم وهو رأي

(1) النشر في القراءات العشر لابن الجزري(1/ 48).

(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي(1/ 70-71).

(3) انظر في ذلك لسان العرب(10/ 265).

(4) سورة الإسراء من الآية: 44.

الأخفش[1]، أو أنواع العقلاء فقط، الجنّ والإنس والملائكة، وهو رأي أبي عبيدة[2] قولان[3].

وذهب ابن مالك إلىٰ أنّه اسمُ جمع خاص بالعقلاء، قال: «ولا يكون جمعاً لعالم لأنّ عالما يطلق علىٰ العقلاء وعلىٰ غيرهم»[4]، و عالم ، خاص بالعقلاء، و لا يكون الخاص جمعاً للأعم، ولهذا امتنع سيبويه من جعل أعراب جمع عرب؛ لأن عرب يعم أهل البوادي والحواضر، وأعراب لا يطلق إلاّ علىٰ أهل البوادي[5]؛ فإن قيل: لم عدل عن رب رب العوالم وهو نص في الكثرة، وعالمون نص في القلة، وإن دخل غير العاقل فيه والقلة غير ملائمة للمقام، قلنا: محل كون السلامة للقلة إذا لم يضف لما يدل علىٰ الكثرة ولم تدخل عليه «أل» الاستغراقية، فإن وجد أحدهما تعينت الكثرة، فإن قلت: نصّ الأصوليون وغيرهم علىٰ أنّ «أل» إذا دخلت علىٰ الجمع أبطلت جمعيته وصار للجنس[6]، فكيف تعم الكثرة مع«أل»؟

قلت: مرادهم أنّ الجمعية ملغاة في نسبة الحكم وهو منسوب إلىٰ كل فرد لا إلىٰ المجموع، أو المجموع ولم يريدوا أنّه يصير للجنس الصادق بالواحد وغيره، فالربوبية

---

(1) أبو الحسن، سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري، إمام النحو، أخذ عن الخليل بن أحمد، ولزم سيبويه حتىٰ برع، وكان من أسنان سيبويه، بل أكبر. مات سنة نيف عشرة ومئتين. انظر، السير(10/ 208).

(2) الإمام العلامة البحر، أبو عبيدة، معمر بن المثنىٰ التيمي، مولاهم البصري، النحوي، صاحب التصانيف، ولد في سنة 110هـ وقيل: مات سنة تسع ومئتين. انظر، السير(9/ 446-447).

(3) انظر مجاز القرآن(1/ 22).

(4) شرح التسهيل لابن مالك(1/ 78).

(5) أورد هذا القول السيوطي في همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (1/ 171-172).

(6) انظر في ذلك البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين الزركشي(2/ 256).

هنا منسوبة إلى كل عالم عالم، بل لكل فرد من أفراد كل عالم أيضاً، ويدل على ذلك ما في الحديث، أنّ المصلي إذا قال: «السَّلَامُ عَلَيْنَا ، وَعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ»[1]، أصاب بسلامه كل عبد صالح في السموات والأرض.

وبهذا اعترض التفتازاني[2] قول التلخيص: إنّ استغراق المفرد أشمل[3]، ولو سلم أنّ جمع السلامة للقلة مطلقاً فهي غير مقام الاستعظام، كقول حسان:

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يلمعنَ في الضّحى وأسيافنا يقطرنَ من نجدةٍ دما[4]

وأفادت إضافة «الرّب» إلى «العالمين» فوائد:

الأولى: تعظيم شأن المضاف بأنّه ربٌّ مالكٌ وخالق مباين لجنس الحوادث المخلوقين.

الثانية: حدوث العوالم، وهي أساس الدين وقوته العظمى والكل مفرع عليهما.

الثالثة: قدمه تعالى لئلا يلزم من حدوثه كل العوالم الدور والتسلسل.

الرابعة: أنّ وجوده مباين لوجود خلقه؛ لأنّه وجود واجب لا يفتقر إلى مستند أصلاً، ووجود العوالم مستند إلى قدرته وإرادته ابتداء ودواماً إذ بعد إيجاده الموجودات لولا

(1) طرف من حديث طويل أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود. كتاب الصلاة باب التشهد في الصلاة، رقم924(2/ 13).

(2) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان من بلاد خراسان، له«تهذيب المنطق» و «المطول» في البلاغة، و «المختصر» اختصر به شرح تلخيص المفتاح، توفي بسمرقند ودفن بسرخس(ت772هـ). ترجمته في: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(6/ 112)، الأعلام(7/ 219).

(3) ينظر مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني(ص49-50).

(4) ديوان حسان بن ثابت(ص198).

تدعيمها بقدرته في كل لحظة لاضمحل وجودها، في الحكم: نعمتان ما خرج موجود عنهما، ولا بد لكل مكون منهما، نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، أنعم عليك أولاً بالإيجادِ، وثانياً بتوالي الإمداد[1]. وعلىٰ هذا المعنىٰ ينبغي حمل آية: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2]؛ أي هالك في الحال، لكون وجوده غير ذاتي بل هو عارية قابل في كل لحظة للزوال لا استمرار له إلاّ بالتدعيم بالقدرة الباهرة، وبذلك يكون اسم الفاعل علىٰ حقيقة من الحال وتكون الكلية علىٰ عمومها ولا يحتاج إلىٰ استثناء السبع التي لا تفنىٰ وإلىٰ هذا المعنىٰ يشير قائلهم بعد قوله ﷺ:«كَانَ الله ولاَشَيء مَعه»[3] بقوله: «وَهُو الآن عَلىٰ مَا عَليه كان»[4].

---

(1) قال ابن عباد: «نعمتان ما خرج موجود عنهما، ولابد لكل مكون منهما: نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد»، انظر؛ غيث المواهب العلية «مخ بالخزانة الملكية رقم8093(ق37)».

(2) سورة القصص من الآية88.

(3) ذكره العجلوني في كشف الخفا، رقم2011 (2/ 130). وفي رواية عند البخاري: « ولم يكن شيء غيره» كتاب بدأ الخلق باب ماجاء في قوله تعالىٰ: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ رقم 3191(4/ 129). وقال الملا علي القاري: «كان الله ولا شيء معه» وفي رواية «ولا شيء غيره» وفي رواية «ولم يكن شيء قبله»، ثابت ولكن الزيادة وهي قولهم: « وهو الآن» علىٰ ما عليه، كان من كلام الصوفية ويشبه أن يكون من مفتريات الوجودية القائلة بالعينية المخالفة للنص بالمعية في المرتبة الشهودية؛ وقد نص ابن تيمية والعسقلاني علىٰ (وضع) الجملة الزائدة. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة(ص263).

(4) قال الحافظ ابن حجر علىٰ هذه الزيادة:«وقع في بعض الكتب في هذا الحديث «كان الله ولا شيء معه وهو الآن علىٰ ما عليه كان» وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث نبه علىٰ ذلك العلامة تقي الدين بن تيمية وهو مُسلم في قوله وهو الآن إلىٰ آخره وأما لفظ «ولا شيء معه» فرواية الباب بلفظ ولا شيء غيره بمعناها ووقع في ترجمة نافع بن زيد الحميري المذكور كان الله لا شيء غيره بغير واو». فتح الباري(6/ 332).

الخامسة: أن يتأمل القارئ ما بين الخالق والمخلوق من التفاوت [...][1]المخلوق ويتعلق بالخالق، سمع الجنيد قائلا يقول: «(الحمد لله) فقال: كمله يا أخي فقال: [وما قدر][2]العالمين حتى يذكروا معه، قال: كمله فإنّه إذا ذكر الحادث مع القديم تلاشى الحادث، وبقي القديم»[3]، أي تلاشى في نظر الذاكر الحادث، ويعني القديم لما يدركه ويستحضره مما بينهما/ من التفاوت. [4/أ]

السادسة: إلزام معنى الفهم والغلبة للمضاف إليه، لأنّه إذا كان ربّاً لهم فهم في قبض الظاهر منها: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[4] وذلك مما يقوي ما ذكر من ترك اعتبارهم والاعتماد عليهم [...][5] إلى مولاك نعم فيستحضر أنّه تعالى يسخر من شاء لمن شاء بسلسلة في عنقه لا يستطيع نزعها، فكن له عبداً تكن لك الأكوان عبيداً، في الحكم أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فإذا أشهدته كانت الأكوان معك.

السابعة: تشريف المضاف إليه بانتسابه إليه ومن حافظ على هذه النسبة ثم عمل بمقتضاها فلا يزداد إلاّ عزاً ومن ضيعها صار ذليلا مع بقاء أصل العبودية، ولهذا كانت العبودية لله ضربين:

أحدهما: عبودية ملك وقهر وهي عامة، ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[6].

---

(1) خرم في الأصل بمقدار كلمة.

(2) خرم في الأصل واستدركته من إيقاظ الهمم في شرح متن الحكم (1/ 34).

(3) تقييدات في التفسير لابن زكري(ص70-71).

(4) سورة الأنعام من الآية19، والآية62.

(5) خرم في الأصل بمقدار كلمتين.

(6) سورة مريم آية 94.

وعبودية اختصاص وقرب وهي خاصة، ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾الآية[1]، ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[2]، فإن ترتب المبادرة إلى الفعل على الأمر إنّما هي شأن السبق، ولا محذور في تخصيص هذا الخطاب بهم مع أنّ الأمرَ بالصلاة عام، لأنّ عامة النّاس يدخلون في خطاب آخر وفي شهودهم هذه الإضافة والجري على مقتضاها فتح لباب الاستغناء بالله والقوة به والاقتدار به، حتى يقول قائلهم: وعزتك لا رفعت قدمي حتى يكون كذا فيكون، «وَربّ أَشْعث أَغْبَر لَو أَقْسَمَ عَلَىٰ الله أَبرّ قَسَمه»[3]، كقول أنس: وَالله لاَ تكسر ثنية الربيع فعفي عنها فقال ﷺ: «إنّ مِنْ عِبَادِ الله مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ الله لأَبَرَّهُ»[4] منهم أنس، فينبغي للتالي أن يستحضر هنا أنّه عبد لربّ الأرباب، ومَالك الملوك ويفرح بذلك كلّ الفرح.

رؤي بعضهم وهو يَقرأُ ويَرقص، فقيل له في ذلك، فقال: قلت في نفسي عبد من أنا وكلام من أقرأ. وينبغي لمن زارا ولياً استحضار هذا المعنى فيه وأنّه عبد ملك الملوك قرّبه واجتباه فيقدر ذلك ينتفع به[5].

الثامنة: الإشارة إلى طريقتي المعرفة، أعني طريقة أهـل الحجـاب، وطريقـة الشـهود والاقتراب إذا كان ربّ العالمين فهم آثار قدرته، وبالأثر يستدل على المؤثر.

---

(1) سورة الفرقان من الآية 63.

(2) سورة إبراهيم من الآية 33.

(3) أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لأَبَرَّهُ» صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم2854(4/ 2191).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب الصلح في الدية، رقم 2703(3/ 243).

(5) انظر تقييدات في التفسير لابن زكري(ص57).

قيل لأعرابي: بما عرفت ربك؟ قال: البعرة تدل على البعير، وأثار الأقدام تدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا تدل على العليم القدير[1].

وَفي كُلِ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ   تَدُلُ عَلى أَنَهُ الواحِدُ[2]   [المتقارب التام]

وإذا كان رب العالمين فهو المظهر لهم بما أفاضه عليهم من نور الوجود، بعد ظلمة العدم، فظهوره هو غاية الظهور ولا يحتاج إلى نصب دليل، بل يستدل على وجود الخلق به إذ مقتضى كرمه الإيجاد لا بقاء العدم.

وإلى الطريقة الأولى أشار في الحكم بقوله: «كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء؟»؛ و إلى الثانية، أشار بقوله: «كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء»[3].

التاسعة: أنّه يتأكد على المؤمن ألاّ يحتقر شيئا من المخلوقات من حيث الخلق والصورة.

قال بعضهم: كنت مع الشِّبْلي[4] ففتح له بمنديل حسن فمرّ بكلب ميت ملقى فقال لي كفنه في هذا المنديل وأدفنه وذهب، فجعلته في المنديل ثمّ طرحته في موضع وغسلت المنديل وعدت إليه، فقال: فعلت ما أمرتك؟ قلت: لا، فسكت، فقلت: أخبرني ما

---

(1) أورده ابن كثير في تفسيره(1/ 197).

(2) ديوان أبي العتاهية(ص45).

(3) إيقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة(ص34).

(4) هو الشيخ الزاهد أبو بكر دلف بن جعفر بن يونس الشِّبْلي، ولد في سامراء عام 247هـ الموافق 861م، اشتهر بالصلاح له شعر جيد، كان فقيها عارفا بمذهب مالك، وتوفي ببغداد عام 334هـ الموافق 945م. انظر تاريخ بغداد (14/ 389)، سير أعلام النبلاء(15/ 367).

السبب؟ قال: لما مررت بتلك الجيفة استقبحتها واستقذرتها فنديت أليس قد خلقناه فقلت ما قلت.

وفي خبر مسند، أنّ المصطفىٰ قال: رحم الله أخي نوحا كان اسمه (يَشكر) ولكن لكثرة بكائه علىٰ خطيئته أوحىٰ الله إليه، يا نوح كم تنوح، فسمي نوحا؛ قيل: يا رسول الله فأي شيء كانت خطيئته؟ قال: مرّ بكلب فقال في نفسه: ما أقبحه، فأوحىٰ الله إليه اخلق أنت أحسن منه»[1].

ثمّ نقول جمع «العالمون» جمع سلامة[2]، لأنَّ إضافة اسمه تعالىٰ إليه أكسبه شرفاً، فغلب عامله وجعل الجميع كأولىٰ العلم بل شرف الانتساب إليه، يعامل/ لأجله المؤنث كالمذكر، وغير العاقل الصرف كالعاقل، كـ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[3]، وفي هذا الجمع [4/ب]

تنبيه على بَاهِر قدرته حيث أوجد هذه العوالم المتكاثرة التي لا يسع العمر لتفصيل أجناسها فضلا عن أنواعها[...][4]عن أصنافها فضلا عن أشخاصه.

فقال أبو العالية: «في قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ الإنس عالم والجن عالم وما سوىٰ ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة، والأرض أربع زوايا، في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته»[5].

---

(1) قال ابن هوزان القشيري بعد ذكر هذه القصة: «فكيف بحال من لم يذكر يوما مما مضىٰ من عمره فىٰ مدة تكليفه - ولم يحصل منه لله كثير من ولاية!؟» لطائف الإشارات (2/ 575). وانظر تفسير القرطبي(13/ 332).

(2) قال الراغب:«وأمّا جمعه جمع السّلامة فلكون النّاس في جملتهم، والإنسان إذا شارك غيره في اللّفظ غلب حكمه، وقيل: إنما جمع هذا الجمع لأنه عني به أصناف الخلائق من الملائكة والجنّ والإنس دون غيرها..». مفردات في غريب القرآن(ص582).

(3) سورة فصلت من الآية 10.

(4) خرم في الأصل بمقدار كلمة.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره(1/ 27)؛ الدر المنثور(1/ 66)، وقال ابن كثير: «وهذا كلام غريب، يحتاج مثله إلىٰ دليل صحيح» تفسير ابن كثير(1/ 132).

وقال وهب: «إنّ لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد»[1]. وفيه تنبيه علىٰ عظيم حكمته وإتقان صنعه مما لو بسطه بعضهم ما وسعته الدفاتر، ولم يحط به علم الأوائل والأواخر، وذلك أنّه لا يحيط بأسرار الإرادة والقدر إلاّ أنّه أحاط بكل شيء علماً، فالظُّفْر الذي هو أدون الأعضاءِ فِيه مِنَ الحكَم التي اطلعنا الله عليها أنّه يحل به ما يحتاج إليه من الأعالي و الأسافل، وأنّه يحفظ رؤوس الأصابع أن تتأذىٰ بملاقاة الأشياء الصلبة، ومباشرة الأشغال الشَّاقة، ويلتقط به الأشياء الدقيقة من بدنه وثوبه، كالشوكة، ويقتل به دوابَّ بدنه، وينقي به أسنانه، ويقيمه في قطع بعض الأشياء مقام الآلة إلىٰ غير ذلك.

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[2]، لم يعطفا وكذا ما بعدهما؛ لأنّ الأصل في صفات الشيء الواحد ترك العطف، كهذا. وقوله: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ﴾[3] إلخ، وأما﴿هُوَ ٱلأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّـٰهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[4]، فلما تنافىٰ الأولان في أنفسهما ، والأخيران كذلك، دفع توهم امتناع الاجتماع فيهما بالعطف كما في: ﴿ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَاراً﴾[5]، و﴿ٱلآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ

---

(1) أورده السيوطي في الدر المنثور ونسبه لوهب بن منبه(1/ 66).

(2) إنّما قدم الرحمان علىٰ الرحيم لوجهين؛ أحدهما: اختصاصه بالله، وثانيهما: جريانه مجرىٰ الأسماء التي ليست بصفات. مستفادا من التسهيل لعلوم التنزيل(1/ 46).

(3) سورة الحشر من الآية23.

(4) سورة الحديد آية 3.

(5) سورة التحريم من الآية 5.

﴿ٱلْمُنكَرِ﴾،[1] حيث عطف فيهما دون سابقهما من الأوصاف؛ وأمّا الواو في: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بلفظ مجموع الأخيرين على مجموع الأولين، لأنّ توهم الامتناع يقوي بتعداد اجتماع المتنافيين فأكد رفعه[2].

فالواو الأولى للتنصيص على اجتماع الأولية و الآخرية؛ والثالثة للتنصيص الظهور والبطون، والوسطى للتصريح باجتماع اجتماعين متنافيين.

وأمّا: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾[3]، فخُصَّ بالعطف عمّا قبله، وبعده إشارة إلى أنّ متعلق الأولين غير متعلق الثاني؛ إذ المعنى أنّه يغفر الذنوب لمن مات مصراً غير تائب إن شاء ويقبل توبة التائب، وإذا قبلها فهو مغفورٌ له ولا إشكال، خلافا في الأول للفئة الباغية.

ووجه الترتيب بين هاتين الصِّفتين وما قبلهما، أنّ نعمةَ الإيجاد التي أفادها﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سابقة على نعمة الإمداد التي أفادها﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

فإن قلت: لم يعكس في الأدعية، فيقال: يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. قلت: لأنّ مطمح نظر الداعي، حصول الرحمة له أو لمن يدعوا له، ثمّ بعد ذلك يذكر أنّه ليس له سيد يلتمس منه ذلك سواه؛ إذ هو ربّ جميع العالمين، فكلهم مربوب لا يملك جلبا ولا دفعا ولا معنى للطلب منهم.

وأمّا الترتيب بينهما أنفسهما فتقدم في البسملة[4] وفي إتباع﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾بصفتي الرحمة دفع لتوهم العرض في خلقهم كأنّه قيل لأسباب لصنعه وإيجاده إلا الرحمة لا

---

(1) سورة التوبة من الآية113.

(2) انظر في ذلك التسهيل لعلوم التنزيل(1/ 409).

(3) سورة غافر من الآية2.

(4) انظر رسالة في متعلق الجار والمجرور في البسملة للمؤلف(ص 85).

جلبٌ لأنس أو دفعٌ لنقص أو غير ذلك؛ وفي هذا الوصف المشار به إلى نعمة الإمداد شبيه على لزوم افتقارهم واضطرارهم إليه في جميع الحالات وعموم اللحظات.

كما يقال: [1]

إني إليك مع الأنفاس محتاج لو كان في مفرقي الإكليل والتاج

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2].

وقال الشيخ أبو مدين[3]: «الحق تعالى مستبد والوجود مستمر والمادة من عين الموجود، إذ لولا المادة لأنهد الوجود»[4]؛ وفيه نفي الاستحقاق وأنّه ليس هناك إلاّ محض الرحمة والفضل، ولم يقل رحمانهم رحيمهم لأنهما إن كان صفتين مشبهتين فلا يمكن ذكر لمفعول وإن كان للمبالغة فلأنهما لم يتسلط على جميع العالمين في عموم الأوقات بمعنى واحد بل/ الرحيم [بهم في][5] الدنيا[...][6] لدقائق[...][7] أو بالمؤمنين [5/أ] إن كان لنقص الكمية.

---

(1) أورده ابن عجيبة في إيقاظ الهمم(ص280).

(2) سورة فاطر من الآية 15.

(3) أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني من مشاهيره الصوفية، شيخ أهل المغرب، أصله من الأندلس، أقام بفاس، وسكن بجاية، وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور، وتوفي بتلمسان(ت594هـ)، له: «مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب».ترجمته في: شذرات الذهب(4/ 203)، الأعلام(6/ 14).

(4) أورده ابن عباد في غيث المواهب العلية (مخطوطة بالخزانة الحسنية رقم8093) (ق37).

(5) خرم في الأصل، استدركته من كتب التفسير.

(6) خرم في الأصل بمقدار كلمة.

(7) خرم في الأصل بمقدار كلمة.

قوله تعالىٰ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: المِلْك بالكسر[1]، التصرف في الشيء علىٰ الإطلاق بالاختيار وليس هذا المعنىٰ بتمامه إلاّ لله تعالىٰ، فلا ملك للغاصب لأنّه لا يستحق التصرف ولا للوكيل والموصي والولي؛ لأنّ تصرفهم غير مطلق لامتناع تصرفهم بغير المصلحة، كالهبة مثلا وللمحجوز ملك، لأنّه وإن استحق التصرف من حيث الملك فلا يمكن منه لمانع قام به، إذ لا يلزم من استحقاق الشيء حصوله.

وأمّا (المُلكُ) بالضم، فهو نفوذ الحكم والمشيئة عموما[2]؛ والقراءات هنا ثلاث عشرة تدور عليهما، قُرئ (ملك) كحذر مثلث الكاف وبسكون اللام مع الجر، و(ملَك) ماضيا مع نصب (يوم) مفعولا أو ظرفا، و(مَليك) كقدير، و(ملكِي) بإشباع كسر الكاف، وكلها من (المُلك) بالضم و(مَالك) بالألف، مثلث الكاف مع الإضافة ومرفوعاً ومنصوباً ومنوناً مع نصب (يوم الدين)، و(ملاك) كثير، إذ للمبالغة في الملك مجروراً مضافاً وهذه الستة من الملك بالكسر والإضافة فيما قُرئ منها بالإضافة من إضافة الوصف إلىٰ الظرف علىٰ جهة التوسيع وإجرائه مجرىٰ المفعول به كقوله، «يا سارق الليلة أهل الدار»[3]، وهو مجاز عقلي في النسبة الإيقاعية، والمعنىٰ علىٰ الظرفية هذا، ومن أثبت الإضافة علىٰ معنىٰ في، فلا مجاز عنده، والمفعول الأصلي محذوف لإفادة التعميم: أي مالك الأمر كله في يوم الجزاء ومنفذ جميع الأحكام التي يريد تنفيذها فيه في عموم الخلائق، وإضافتها مُعرَفةٌ لكونه للاستمرار أو للماضي تنزيلا نحو: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾[4]، ويؤيده قراءة (ملك) ماضيا

---

(1) قال الراغب: «والمِلْكُ كالجنس للمُلْكِ، فكلّ مُلْك مِلْك، وليس كلّ مِلْك مُلْكا» المفردات(1/ 775).

(2) قال الراغب: «والمُلْكُ: الحقّ الدّائم لله، فلذلك قال: ﴿ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾[المعارج1]..فالمُلْك ضبط الشيء المتصرّف فيه بالحكم»المفردات(1/ 775).

(3) تفسير الكشاف(1/ 116).

(4) سورة الأعراف آية 43.

فصحَّ وقوعه نعتاً لاسْم الجلالة[1]، ومَنْ رَفعَ أو نصبَ فعلىٰ القطع ولا يلزم في المقطوع المقطوع أن يصح إجراؤه نعتاً، فإنّ المنوَّن لا يصح فيه ذلك، نعم لو قرئ بالجرّ كان بدلاً إلاّ أنّ بدل المشتق قليل.

و﴿ٱلدِّينِ﴾ الجزاء ومنه: ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾[2] أي مجزئون وقولهم: كَمَا تَدِينُ تُدَانُ[3].

وقول الحماسي:

ولَم يبـقَ سِـوَىٰ العُـدْوَا ... نِ دِنَّـاهُمْ كَـمَا دَانُـوا[4]

ويكون بمعنى الحساب، ومنه الحديث: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّىٰ عَلَىٰ اللهِ»[5]، وهو ممكن هنا.

---

(1) تفسير الكشاف(1/ 116).

(2) سورة الصافات، آية53.

(3) أورده البخاري في ترجمته علىٰ باب ما جاء في فاتحة الكتاب، كتاب التفسير. وتعقبه ابن حجر بقوله: «هو «هو كلام أَبِي عُبَيْدَةَ أَيْضًا، قال: الدين الحسابُ والجزاءُ، يقال في المثل: كما تدين تدان انتهىٰ. وقد ورد هذا في حديث مرفوع أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بهذا وهو مرسلٌ رجاله ثقات..». ينظر فتح الباري(8/ 156).

(4) ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي(ص12).

(5)الحديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب25، رقم2459(4/ 638) رقم2459(4/ 638) قال: هذا حديث حسن؛ وابن ماجة، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، رقم4260(5/ 328)، وأحمد في مسنده رقم17123(28/ 358)؛ والطبراني في معجمه الكبير رقم 7141 (7/ 282)، جميعا من طريق أبىٰ بكر بن أبىٰ مريم عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس؛ وقال الحاكم في مستدركه: هذا حديث صحيح علىٰ شرط البخاري و لم يخرجاه (1/ 125) فتعقبه الذهبي بقوله: لا والله، أبو بكر واهٍ.

ويكون بمعنى القهر والغلبة، وهو ممكن أيضاً لأنّ الجبابرة وغيرهم فيه مقهورون مغلوبون، وبمعنى الطاعة، وبمعنى العصيان ضد، ويجوز هنا استعمال المشترك في معنييه وحذف المضاف، وبمعنى العمل، وحذف المضاف.

وقيل: أضيف إلى الدين؛ أي الطاعة لأنّه لا ينفع فيه إلاّ الدين كقوله: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنَ اَتَى أَللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1]وقوله: ﴿ وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلَآ أَوْلَادُكُم ﴾[2]الآية.

وخُصَّ ﴿يَوْمِ اِلدِّينِ﴾بذكر ملكه لأنّ الأملاك فيه زائلة والدعاوي باطلة والملاك خاضعة كما قال: ﴿لِّمَنِ اِلْمُلْكُ اُلْيَوْمَ لِلهِ اِلْوَاحِدِ اِلْقَهَّارِ﴾[3] وهذه الصفة تنتج لزوم خدمته وطاعته وهيبته تعالى، وتحمل على التوبة ورد المظالم، ولزوم الخوف والرجاء، ومحاسبة النفس قبل الافتضاح على رؤوس الأشهاد، والتقرب إليه بما أمكن، وابتغاء مرضاته والبعد من سخطه، وقرنه بالرحيمية الخاصة بالمؤمنين باعتبار الكمية، ليدل على كمال ظهورها في ذلك اليوم؛ وفي الصحيح: «جَعَلَ الله الرحْمَةَ مائةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلاَئِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ»[4]، سيما هذه الأمة

---

(1) سورة الشعراء آية 88-89.

(2) سورة سبأ آية 37.

(3) سورة غافر آية 15.

(4) أخرجه مسلم بهذا اللفظ في صحيحه، كتاب التوبة باب في سعةِ رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه رقم2752(4/ 2108). والبخاري في صحيحه بلفظ قريب، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء رقم6000(1/ 3033).

المغفور لها فيها نبيها حتىٰ يقول ملك خازن النار: «يَا مُحَمَّدُ مَا تَرَكْتَ لِلنَّارِ لِغَضَبِ رَبِّكَ فِي أُمَّتِكَ مِنْ بَقِيَّةٍ»[1].

وفي ذكر هذه الأوصاف دلالة علىٰ أنَّ الحمد مستحق من أجلها، ففيه تعليقُ الحكم علىٰ الوصف المناسب للإشعار بالعلية وتعريض بأنَّ مَن لم يتصف بها، كالمعبودات الباطلة ليس أهلا لأَنْ يحمد، فضلاً عن أن يعيد قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لما وصف تعالىٰ بالإنعام، بالإيجاد، والإمداد، والملك لجزاء العباد، يوم المعاد، التزم واصفُه بذلك أن يفرده به لعبادة لتحقق سببها الداعي وعلتها الغائبة؛ فالسبب الداعي كونه في نفسه مستحقاً لأن يخضع له ويطاع، لأنّه رب عظيم الشأن قديم الإحسان، قد بدأ الإنسان بنعمه، فأوجده وأمده، فهو حقيق أن يعبد، ولو لم تكن جنة ولا نار ولا ثواب ولا عذاب؛ والعلة الغائية، هي أنّه يجزئ العباد بأعمالهم/ ويوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، والعابدون له تعالىٰ بالنظر إلىٰ الأمرين المذكورين قسمان[..][2] الكمال[..][3].

الأول منهما: الاعتبار، وقالوا لا نعبده طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره بل إجلالاً وتعظيماً ورعاية لسابق الإحسان.

وعليه قول المصطفىٰ ﷺ لما قام حتىٰ تورمت قدماه، فقيل له: أَتَتَكَلَّفُ هَذَا، وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟»[4].

---

(1) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب الإيمان، رقم220(1/ 135)، ثم قال: و الحديث غريب في أخبار الشفاعة و لم يخرجاه، وعلق الذهبي بقوله: الحديث منكر.

(2) خرم في الأصل بمقدار كلمة.

(3) خرم في الأصل بمقدار كلمة.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب قيام النبي صلىٰ الله عليه وسلم الليل حتىٰ ترم قدماه، رقم1130(2/ 50)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، رقم2819(4/ 2171)كلهم من حديث المغيرة بن شعبة.

وقال أبو طالب المكي[1]: روينا عن رسول الله ﷺ: «لا يكونن أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط الأجر لم يعمل»[2].

ونقل وهب عن الزبور: «ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا ناراً ألم أكن أهلاً لأن أطاع».

وفي الحديث: «أنّ سالما شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله ما عصاه»[3].

وفي الحكم: «مَنْ عبدهُ لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه»[4].

وأوحى الله إلى داود إنّ أود الأوداء إلى من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها»[5].

ومرّ عيسىٰ علىٰ قوم قد احترقوا من العبادة كأنّهم السنان البالية فقال: ما أنتم؟ قالوا: عباد، قال: ولأي شيء تعبدتم؟ قالوا: خوفنا الله من ناره فخفنا، قال: حق علىٰ الله أن يُؤَمِّنكم مما خفتم؛ ثم جاوزهم فمرّ بقوم أشدهم عبادة، قال: لأي شيء تعبدتم؟ قالوا: شوقنا الله إلىٰ الجنان وما أعد فيها لأوليائه فنحن فنرجوها، قال: حق علىٰ الله أن

---

(1) الشيخ أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي المنشأ ، الإمام الزاهد العارف، شيخ الصوفية، له«قوت القلوب في معاملة المحبوب» (ت386هـ). وفيات الأعيان لابن خلكان (4/ 303)، الأعلام(6/ 274).

(2) أورده أبو نعيم في الحلية(4/ 53).

(3) أخرجه أبو نعيم في الحلية(1/ 177)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء(2/ 323) وقال: سنده ضعيف. وقال الألباني: «موضوع» انظر السلسلة الضعيفة، رقم3179(7/ 163).

(4) ينظر إيقاظ الهمم لابن عجيبة(ص108).

(5) تفسير روح البيان(8/ 301).

يعطيكم ما رجوتم؛ ثم جاوزهم إلىٰ آخرين يتعبدون، قال: ما أنتم؟ قالوا: محبون لله لمْ نعبده خوف ناره ولا شوقاً لجنته ولكن حبا له وتعظيماً لجلاله، قال: أنتم أولياء الله حقاً معكم أمرت أن أقيم، فأقام بين أظهرهم»[1].

ويروىٰ أنّه قال لمن قبلهم: مخلوقاً خفتم، ومخلوقاً أحببتم، وقال للآخرين: أنتم المقربون والعامة يعبدون خوف العقاب ورجاء الثواب.

وفَسّر بهم البُلْه[2] في حديث، «أكثر أهل الجنة البُلْهُ»[3].

وزعم أبو بكر ابن العربي، أنّ هذا هو الحق وإلاّ كان إعراضاً عما عظم الله من شأن الجنان والنار؛ وأجيب بأنّه ليس بإعراض، وإنّما هو نفي للتعليل والتوقف، فيقدرون أنّه لو لم تكن نار ولا جنة لعبدوه، وهذه زيادة نية تستلزم زيادة ثواب.

ولا ينافي هذا أيضاً حديث أبي داود، أنّ المصطفىٰ صلىٰ الله عليه وسلم سأل رجلا ما يقول بعد التشهد؟ قال: أقول: اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ أَمَا والله لاَ أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلاَ دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فقال: «حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ »[4]أو حولها»[5].

---

(1) تفسير روح البيان(8/ 301).

(2) هم الغافلون عن الشر المطبوعون علىٰ الخير أو الذين خلوا عن الدهاء والمكر وغلبت عليهم سلامة الصدر وهم عقلاء. انظر في ذلك لسان العرب(13/ 477) مادة «بله».

(3) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار(4/ 121)، والبزار في المسند، قال:«حَدِيث رَوَاهُ من جِهَة سَلامَة بن روح عَن عقيل عن ابن شهَاب عَن انس وسلامة كانَ ابن أخي عقيل ابْن خَالِد وَلم تَابع علىٰ حَدِيث أكثر أهل الجَنَّة البله علىٰ انه لَو صَحَّ لَكَانَ لَهُ معنىٰ انتهىٰ»(2/ 411). وابن الجوزي في العلل المتناهية(2/ 405/ 1559)، وقال الألباني: ضعيف، السلسلة الضعيفة(11/ 351).

(4) أخرجه أبو داوود في كتاب الصلاة باب في تخفيف الصلاة رقم792(1/ 292)؛ وأحمد في مسنده رقم15898(25/ 234)، وابن خزيمة في صحيحه رقم725(1/ 358)؛ وابن حبان في صحيحه رقم868 (3/ 149).

(5) رواه ابن خزيمة بهذا اللفظ في صحيحه، وقال الأعظمي: إسناده صحيح رقم725(1/ 358).

لأنّ سؤال الجنة والاستعاذة من النار علىٰ سبيل التعويض عن الأعمال وقصد الوصول إلىٰ ذلك بها، بل لإظهار الاحتياج إلىٰ فضل الله ورحمته، ثمّ لما كانت العبادة متوقفة علىٰ التوفيق الإلهي وإقراره ومعونته وتقويته وصرفه الموانع والعوائق والمتبطات، كالتسويق والكسل واعتبارها متوقف علىٰ صرف النية والإخلاص فيها بالسلامة من الرياء والعجب، وكمالها متوقف علىٰ صرف وساوس الشيطان وحضور القلب ونبذ الدنيا، قُرِن طلب المعونة في تبرِّيها من الحول والقوة، واعترافاً بأنّه ما توقف مطلب أنت طالبه بربك، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[1] وقال: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[2]، ولذا قال الصحابة: «وَالله لَوْلاَ الله مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا»[3].

والعبادة: شدة الخضوع والتذلل، يقال: طريق معبد؛ أي مذلل موطوء بالأقدام وقد تخيره لمعنىٰ الشدة من غير اعتبار خضوع كقولهم، ثوب ذو عبدة؛ أي شديد الصفاقة محكم النسج[4].

---

(1) سورة النور من الآية21.

(2) سورة الأعراف من الآية42.

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب بدأ الوحي باب غزوة الخندق وهي الأَحْزَابُ رقم4104(5/ 140)، ومسلم في كتاب الجهاد باب خيبر رقم4770(5/ 186).

(4) قال الزمخشري: «والعبادة أقصىٰ غاية الخضوع والتذلل. ومنه ثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة وقوّة النسج، ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع لله تعالىٰ، لأنه مولىٰ أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصىٰ غاية الخضوع» الكشاف(1/ 13).

وقال الراغب: «العُبُودِيَّةُ: إظهار التّذلّل، والعِبَادَةُ أبلغُ منها، لأنها غاية التّذلّل، ولا يستحقّها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالىٰ»[1]، وقدم المفعول للاهتمام والاختصاص.

وقُرِئ(أَياك)بتخفيف الياء وبفتح الهمزة مع شدّ الياء؛ (وهِياك) بكسر الياء وفتحها[2]، و(نِعبد) بكسر النون/ و(يعبد) [بالياء مبنيا للمفعول][3] علىٰ إقامة الضمير المنصوب مقام المرفوع كما عكس في التوكيد في رأيتك أنت[4]، و(يعبدون) بالإشباع، و(نستعين) بالكسر. [6/أ]

وفي (إِيّاك) التفات، ووجه حسنهُ التفنن في الكلام إيقاظ السامع للإصغاء والإقبال، واختص هنا بلطائف، منها ما ذكره الزمخشري: «أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجريت عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن فخوطب بتخصيصه بالعبادة والاستعانة ليدل علىٰ أنّ تخصيصه بهما إنّما هو من حيث تميزه بتلك الصفات، أي (إياك) يا من هذه صفته»[5]؛ إذ الخطاب أدخل في التمييز، فيكون تعليقاً للحكم علىٰ الوصف المناسب للتعليل.

ومنها قول صاحب المفتاح والتلخيص: «أنّ العبد إذا ذكر الحقيق بالحمد عن قلب حاضر يجد من نفسه محركاً للإقبال عليه وكلما أجرىٰ عليه صفة من تلك الصفات العظام قوي ذلك المحرك إلىٰ أن يؤول الأمر إلىٰ خاتمتها المفيدة أنّه مالك الأمر كله في يوم

---

(1) مفردات القرآن(1/ 542).

(2) أورد الإمام القرطبي أوجه قراءة«إياك» في تفسيره(1/ 146).

(3) خرم في الأصل واستدركته من المصادر.

(4) انظر البحر المحيط لأبي حيان(1/ 9).

(5) تفسير الكشاف(1/ 14).

الجزاء، فحينئذ يوجب ذلك المحرك الإقبال عليه والخطاب بتخصيصه بغاية الخضوع له والاستعانة به في المهمات»[1].

ففي الالتفات تنبيه للقاري علىٰ أنّه إذا أخذ في القراءة، يجب أن تكون قراءته علىٰ وجه يجد من نفسه ذلك المحرك، لحضور القلب والإيمان في تلاوته غافلا.

ومنها: أنّ فيه تنبيهاً للعبد علىٰ أن يكون في عبادة ذا حضور ومشاهدة وهي أعلىٰ مرتبتي الإحسان، أن تعبد الله كأنّك تراه.

ومنها: أنه لمّا وصف بتلك الأوصاف العظام التي خاتمتها الملك شاقت النفوس إلىٰ رؤية كما تشاق النفوس إلىٰ رؤية الملوك العظام فأقيم مشاهدة البصيرة مقام البصر وخوطب.

ومنها: أنّه لما ذكر ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي الجزاء بالأعمال من خير وشرّ وأثمر ذلك الخوف والرجاء، والخوف يقتضي الفرار من المخوف، والرجاء يقتضي الفرار إلىٰ المرجو، والقرب منه، خوطب تعالىٰ دلالة علىٰ أنّه لا ملجأ ولا منجىٰ منه إلا إليه؛ وكرر الضمير إشارة إلىٰ أن كلتا الجملتين كلام تام قصد لمعنىٰ؛ فإنّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾نتيجة تلك الأوصاف العظام كما سبق، فإنّ من استحضر منها غاية العظمة والجلال أو ترقب الجزاء، لا يسعه إلاّ أن يسارع بما يمكن من غاية الخضوع والتذلل.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾نتيجة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ لأنّ من سارع إلىٰ العبادة اللائقة بتلك العظمة، يرىٰ مع ذلك أنّه لا يستطيع التوفية بالحقّ، بل لا يقدر علىٰ القيام بأصل العبادة إلاّ بإعانته تعالىٰ، إذ الكل منه وبه وإليه، وأيضاً ذلك التكرير أبلغ في إظهار الاعتماد علىٰ المستعان وأكمل في إحضار التعلق به والإقبال عليه وأمدح، وإن شئت

---

(1) أورده سعد الدين التفتازاني في مختصره (ص72).

فانظر قول من يخاطب الملك بقوله: بك انتصر، وبك أحتمي، وبك أتعنى، وبك أنال مطالبي وقوله بك انتصر وأحتمي وأتعنى وأنال مطالبي، يظهر لك ما بينهما من التفاوت والمتعاطفان خبر إنّ قصدهما إظهار الخضوع والفاقة كما قصد بالخبر في ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾[1] إظهار التحسر لا الإعلام، وبهذا يجاب عن سؤال وآخر، وهو أنّ طلب العون على العبادة الذي أفاده ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هو عين طلب الهداية للصراط المستقيم فلِمَ لم يغن عنه؟

وحاصل الجواب أنّ قوله: ﴿نَسْتَعِين﴾ خبر قصد به إظهار الفاقة، توطئة للتصريح بالطلب، فورد الطلب بعده في محله. وإنّما عطفت الثانية على الأولى، ولم تعطف الأولى لأنّ الأولى نتيجة ما قبلها، والثانية نتيجة الأولى/ وجوداً، بمعنى أنّ حصول العبادة في [6/ب] الخارج يفتقر إلى طلب الإعانة، ومتعلق الاستعانة محذوف، للعموم له على جميع المهمات أو لدلالة ما قبله على أداء العبادة والقيام به، وهو أليق وأتم ارتباطا وأنسب بحال من يهتم بحقّ عظمة الربوبية التي اطلع عليها الكلام السابق، وهو يطلب العارفين من ربهم.

قال في الحكم: «مطلب العارفين من ربهم الصدق في العبودية والقيام بحق الربوبية»[2]، فمرادهم إنما هو المراد منهم.

كما قال في الحكم أيضاً: « خير ما تطلبه منه، ما هو طالبه منك»[3].

قيل لبعضهم: ما مراد العارف؟ قال: مراد معروفه[4]، وأيضاً ذلك هو المقرب لهم من مولاهم، ومرادهم إنّما يكون وجود قربه، وأمّا غير هذا من الطالب فليت حاجتك إليه

---

(1) سورة آل عمران من الآية36.

(2) إيقاظ الهمم(ص95).

(3) نفسه، (ص90).

(4) إيقاظ الهمم(ص95).

كحاجتك إلىٰ هذا؛ فإنه كما قيل: جوع قليل، وعرىٰ قليل، وصبر قليل، وقد انقضت عنك أيام الدنيا علىٰ ما قسم لك فهو واصل إليك وقد ضمن لك الرزق دون النجاة ودخول الجنة واجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك، دليل علىٰ انطماس البصيرة منك.

ولا ينافي هذا ما في الرسالة «أنّ موسىٰ قال: إنّه لتعرض لي الحاجة مِن الدنيا فَأَسْتَحي أنْ أَسألك يا رب، فقال: سَلني حَتىٰ مِلح عَجينك وعَلف شَاتك»[1]. لأنّ المراد سلني ذلك قاصداً الاستعانة به علىٰ الطاعة، أو لإظهار الفاقة، لا استجلاباً لحظ النفس.

وأفاد الحصر في﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عند العارفين أن يطهروا قلوبهم من حب شيء سواه، إذا ما أحببت شيئاً إلاّ كنت له عبداً وهو لا يحب أن تكون لغيره عبداً؛ وقد جاء في الحديث:«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ»[2].

قوله تعالىٰ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، والهداية تكون، بمعنىٰ الدلالة والإرشاد والبيان[3]، كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ﴾[4]،

---

(1) إيقاظ الهمم(ص95).

(2) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، رقم2730(3/ 1057).

(3) قال ابن كثير: «والهداية هاهنا: الإرشاد والتوفيق، وقد تعدىٰ الهداية بنفسها كما هنا ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾فتضمن معنى ألهمنا، أو وفقنا، أو ارزقنا، أو اعطنا؛ ﴿ وهديناه النجدين ﴾ [البلد: 10] أي: بينا له الخير والشر، وقد تعدىٰ بـ«إلى»، كقوله تعالى: ﴿اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾النحل: 121]». تفسير ابن كثير(1/ 137).

(4) سورة فصلت من الآية16.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]؛ وبمعنى التوفيق، وهو الإدخال في الخير، والاستعمال فيه وهذه خاصة به تعالى، وهي المطلوبة هنا، أي وفقنا لسلوك الصراط المستقيم، وهي المراد في آية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[2]، فلا ينافي ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وهذا يتعدى إلى الثاني إلى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وباللام ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، وبنفسه كما هنا[4]، قيل: ويختص التعدي بنفسه بالذي بمعنى التوفيق لما فيه من معنى الإيصال والإدخال، ونُقِضَ بقول إبراهيم: ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا﴾[5] وقول مؤمن أل فرعون: ﴿ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[6]، وقول فرعون: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ﴾[7]؛ وكذا لا يختص ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بمعنى بمعنى التوفيق بالتعدي بنفسه بدليل ﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[8].

فإن قلت: كيف طلبوا الهداية وهم مهتدون لقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؟ قلت: معناه ثبتنا على الهداية وأدمها لنا، كقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[9]، أو

---

(1) سورة الشورى من الآية 49.

(2) سورة القصص من الآية 56.

(3) سورة الإسراء من الآية 9.

(4) المفردات في غريب القرآن للراغب(ص838).

(5) سورة مريم من الآية 43.

(6) سورة غافر من الآية 38.

(7) قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩﴾ سورة سورة غافر الآية 29.

(8) جزء من آية قوله سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾سورة الأعراف الآية43.

(9) سورة آل عمران من الآية 8.

زدنا هدىً ورقنا في درجات الاهتداء، كقوله: ﴿وَالذِينَ اَهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدىً﴾[1]، أو أو قوله: ﴿نَعْبُد﴾ ألتزم للعبادة وتَصْميم عليها ثم طلبوا تيسيرها والإدخال فيها بالمعنىٰ، قد عزمنا/ علىٰ عبادة وصممنا عليها، فوفقنا لذلك واستعملنا فيه، فإنّه لا حول [7/أ] ولا قوة إلاّ بك. وصيغة «أَفْعَلْ» هنا للدعاء[2]، وهو السؤال علىٰ سبيل التضرع والخضوع، وهي فيه مجاز عند الجمهور، وهذا الدعاء صادق فحزه، لأنّه بعد الثناء والتعظيم الذي هو تعريض بالسؤال، كما قيل:

أَأَذْكُرُ حاجتي أم قَدْ كَفاني ... حياؤكَ إن شيمتَك الحياءُ
إِذَا أَثْنىٰ عَلَيكَ المرءُ يوماً ... كَفَاهُ عَن تعرُّضه الثَّناءُ[3]

وبعد التوسل بالعقد الذي عقدوه علىٰ أنفسهم من العبادة والخدمة، وبعد إظهار الذّلة والخضوع بطلب المعونة، وأتىٰ بضمير المشاركة، لأنّ الدعاء إذا عمّ كان أقرب للإجابة، لاسيما إذا عمّ جميع المسلمين، فإنّ فيهم من يحصل الإجابة فيه ولا بدّ، وإذا أجاب تعالىٰ في البعض فهو أكرم أن يدع الباقي، كما قالوا في الصلاة علىٰ المصطفىٰ: إنّها مقبولة قطعاً، فإذا افتتح بها الدعاء واختتم، فاللهُ أكرم أن يدع ما بين الصلاتين؛ ولأنّ في ضمير المشاركة دعاء البعض للبعض.

وقد قال المصطفىٰ صلىٰ الله عليه وسلم: «ادعوا الله بألْسِنةٍ ما عصيتموه بها قالوا: فمن لنا بتلك الألسنة؟ قال: يدعوا بعضكم لبعض»[4].

---

(1) سورة محمد من الآية 18.

(2) «واعلم أن صيغةَ «أَفْعَلْ»تَرِ لمعانٍ كثيرةٍ ذكرِها الأُصوليُّونَ. وقال بعضُهم: إن وردت صيغةُ «أَفْعَلْ»من الأعلىٰ للأدنىٰ قيل فيها: أَمرٌ وبالعكس دُعاء». تفسير اللباب لابن عادل الدمشقي(1/ 203).

(3) البيتان لأمية بن إبي الصلت، ديوان الحماسة(2/ 372).

(4) ذكره ابن كثير في تفسيره(1/ 207).

و(الصراط) الطريق الجادة، وأصله السين من سَرط الشيء ابتلعه، لأنّه يسترط السابلة إذا سلكوه، كما سمي لقماً كأنّه يلتقمهم[1].

وقد قرئ بالصاد والسين والزاي، وبإشمام الصاد والزاي، كلها في السبع[2].

وقرئ (صرطا مستقيما) منكرين و(صرط المستقيم)؛ أي صراط الدين المستقيم، أو صراط الفريق المستقيم.

والصراط هنا استعارة مصرحة لدين الحق وأعمال البرّ والصلة مع التوصيل إلى المطلوبات، وهو في المستعار له، الجنة أو الوضوح وآمن السالك العطب.

وذكر الاستقامة ترشيح للآية المستعار منه، إذا أصلها عدم الاعوجاج، كقولك: في جَواد: رأيت بحراً يغترف النّاس منه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط النبي ﷺ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ وشماله، ثمّ قال: « هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، وهَذا سَبيل الله -يعني ما بين الخطين المنحرفين- ثمّ قرأ:﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيماً﴾[3]الآية»[4].

---

(1) مفردات القرآن(ص407).

(2) ينظر التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الدني(ص18و271)؛ وقال القرطبي: «وقرئ: السراط "بالسين"من الاستراط بمعنى الابتلاع، كأن الطريق يسترط من يسلكه. وقرئ بين الزاي والصاد. وقرئ بزاي خالصة والسين الأصل. وحكى سلمة عن الفراء قال: الزراط بإخلاص الزاي لغة لعُذرة وكلب وبني القَيْن..» تفسير القرطبي(1/ 148).

(3) سورة الأنعام، آية154.

(4) رواه النسائي في التفسير، باب رقم 11175/ 343)، وابن حبان في صحيحه، رقم6(1/ 181)، وأحمد في مسنده، رقم4142(7/ 207)، والحاكم في مستدركه، رقم3241(2/ 348) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه كلهم من طريق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود بهذا اللفظ: «خَطَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، خَطًّا بِيدِهِ، ثُمَّ قال: «هَذَا سَبِيلُ الله مُسْتَقِيمًا»، قَالَ: ثم خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثم قال: «هذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِليهِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾».

وعن النواس بن سمعان رفعه: «ضرب الله مثلا صراطا مستقيماً وعلىٰ جنبتَي الصراط سور فيه أبواب مفتحة وعلىٰ تلك الأبواب ستور مرخاة وعلىٰ رأس الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداعٍ يدعوا من فوق الصراط فإذا أراد فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتحه، فإنّك إذا فتحته تلجه، فالصراط الإسلام، وَالسُّتُورُ حدود الله تعالىٰ، والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم»[1]. ولعل تلك الأبواب أبواب جهنم وبقدر الاستقامة علىٰ هذا الصراط المعنوي والثبات عليه، تكون الاستقامة علىٰ الصراط الحسي الممدود علىٰ متن جهنم، وبقدر الانحراف عنه يكون الانحراف عن ذلك، والمنحرف عنه يهوي في النّار إلّا من تداركه الله برحمته، وفي الجملة اعتراف بأنّه تعالىٰ لا يجب عليه شيء وأنّه يهدي من يشاء فيوفقه بفضله ويضل من يشاء فيخذله بعدله.

قوله تعالىٰ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾[2]: بيان وتفسير للصراط المستقيم، إمّا علىٰ أنّه بدل أو عطف بيان، والبدلية أولىٰ لمزيد تأكيد فيها، لأنّ البدل علىٰ نية تكرار العامل، وفي كلا الوجهين/ شهادة لطريق المسلمين بالاستقامة علىٰ أبلغ وجه وأكده، [7/ب] حيث جعل علماً في الاستقامة معروفاً بها مسلماً له حصولها بلا نزاع ولا اشتباه كما نقول: هل أدلكم علىٰ أكرم الناس وأفضلهم؟ فيكون أبلغ في وصفه بالكرم والفضل، من قولك هل أدلك علىٰ فلان الأكرم الأفضل؟[3]

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده رقم17633(29/ 182)، والحاكم في مستدركه رقم245 (1/ 145)، والطبراني في مسند الشاميين رقم2024(3/ 177)، وابن أبي عاصم في السنة(1/ 14)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولا أعرف له علة ولم يخرجاه»، وأقره الذهبي.

(2) سورة الفاتحة آية 6.

(3) تفسير الكشاف(1/ 16).

أما في الآية أبلغ من قول (اهدنا صراط المنعَم عليهم المستقيم). والمراد بـ﴿أَلذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ المؤمنون[1]، وأطلق الأنعم في حقهم ليعمّ، أي أنعمت عليهم بكل نعمة لما أنعمت عليهم بنعمة الإسلام؛ لأنّ من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلا أصابته واشتملت عليه، إذ بسببه يفوز بالسعادة الأبدية فينجوا به في الدنيا من السّبي والقتل وسلب الأموال والأولاد، وبعد الموت من عذاب القبر، وتعذيب روحه في سجين إلى يوم الدين، وفي الآخرة من الفزع الأكبر وإلجام العرق وظلمة الصراط والوقوع في النار أبداً، ويصل به إلى إكرام الملائكة له عند الموت وتلقيهم له أن لا تخف وتحزن وأبشر بالجنة، وإلى تأنيسه في قبره وفتح باب فيه يدخل عليه من روح الجنة، وأمنه يوم الفزع الكبر، وتيسير حسابه، وأعطاه نوراً يسعى بين يديه وعن يمينه حتى يمرّ به على الصراط، إلى الجنة التي فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من بَلْه[2] ما أطلعنا عليه وأدنى من يسير في مِلكه ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإلى رضوان الله وهو أعظم مطلوب ورؤيته وهي أكبر نعمة ولذة. وقد سمع المصطفى صلى الله عليه وسلم، رجلًا يقولُ: الْحَمْدُ لله على نعمة الإِسلَام فقال: «إِنَّكَ لَتَحْمَدَ اللهَ عَلَى نِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ»[3].

---

(1) قال النيسابوري: «صِراطَ بدل من الأول﴿أَلذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾يعني:طريق الذين أنعمت عليهم بالتوفيق والرعاية ، والتوحيد والهداية ، وهم الأنبياء والمؤمنون الذين ذكرهم اللهّ تعالى في قوله : ﴿وَمَنْ يُّطِعِ أِللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ أَلذِينَ أَنۡعَمَ أَللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ أَلنَّبِيِّـۧنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقاً ﴾[سورة النساء آية 68]» الكشف والبيان(1/ 119). وتفسير الكشاف(1/ 16).

(2) فأما «بَلْه» بفتح الباء الموحدة وإسكان اللام، من أسماء الأفعال وهي مبنية على الفتح مثل كيف ومعناها دع عنك ما أطلعكم عليه فالذي لم يطلعكم عليه أعظم وكأنه اضر ب عنه استقلالا له فى جنب مالم يطلع عليه وقيل: معناها غير. شرح مسلم للنووي(14/ 105).

(3) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر(ص8)، والبيهقي في شعب الإيمان(6/ 281).

وقيل: ما من كلمة أحبّ إلى الله تعالى وأبلغ عنده في الشّاكرين، أن تقول الحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا للإسلام[1].

وقيل المراد بهم: النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، لقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[2] الآية[3].

وقيل: المراد بهم أتباع موسى عليه السلام قبل أن يبدلوا، لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[4].

وقيل: المصطفى وصاحباه، أبوبكر وعمر رضي الله عنهما.

وقيل: الصحابة مطلقاً.

والنعمة بالحمد عاقبته فلا نعمة على كافر، وملاذُهُ استدراجٌ وجعلتها المعتزلة نعماً، فسماها الأشاعرة نقماً نظرا إلى حقيقتها والمعتزلة نعماً نظراً إلى صورتها، والمفهوم من هذه الآية هو الأول، وإلاّ احتيج إلى تأويل بوجه ما ولا يقال: يدخل الكافر.

ثم أخرج بقوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ إلخ، على أن يكون صفة مخصصة لا كاشفة، لأنّا نقول: يصير ذكر هذا الموصول وصلته ضائعاً، كما لا يخفى على أنّ (الـمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ) فريقان مخصوصان من الكفار، وبعد إخراجهم يبقى غيرهم داخلا، والأولى أن تسمى النِّعم التي على الكافر نعماً ونقماً باعتبارين جمعا بين الأدلة.

---

(1) أورده السيوطي في الدر المنثور(2/ 58).

(2) سورة النساء من الآية68.

(3) أخرج ابن أبي حاتم هذه الأقوال في تفسيره(3/ 997-998)، وأوردها النيسابوري أيضا في الكشف والبيان(3/ 342).

(4) سورة البقرة من الآية39-46-121.

فيدل على كونها نعماً قوله:﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1] خطاباً للجنِّ والإنس على الإطلاق، ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾[2] ويدل لكونها نقماً قوله: ﴿وَلاَ يَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾الآية[3]؛ وعلى الاستعلاء المعمولان، المنعم عليه مُغَطى بالنعمة في المعنى ومستور بها ومصون بها من الفضيحة، ولأنّ للمنعِم على المنعَمِ عليه بالمنّة.

و(عليهم) قرن بكسر الهاء وضمها وكلاهما مع سكون الميم وضمها/ وكسرها [8/أ] منسوبة فيهما ومختلسة هذه عشر قراءات[4]؛ وفي الآية التوسل إلى الإحسان بالإحسان، كأنهم قالوا: كما أنعمت علينا بالإيجاد والإمداد المدلول عليهما برب العالمين الرحمان الرحيم، فأنعم علينا بالهداية، وفيه أنّ الهداية[...][5]سبباً المنعم عليهم بها، من الأنبياء وأتباعهم بمن خرج عن طريقهم معتمداً على مجرد العقل أو على مذاهب الحكماء والفلاسفة والرؤساء وأبناء الدنيا، فليس من الله في شيء.

كما يحكى «أنّ سقراط كان في زمن موسى عليه السلام، فقيل له: هلا ذهبت إليه؟ فقال: نحن قوم مهديون لا نحتاج إلى من يهدينا»[6].

قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[7]، يصح أن يكون بدلا من﴿ٱلذِين ﴾على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله ومن الضلال،

---

(1) سورة الرحمن آية 14.

(2) سورة الإسراء آية 83. سورة فصلت آية51.

(3) سورة أل عمران من الآية 178.

(4) أورد أبو عمرو الداني أوجه القراءة فيها، فانظره في التيسير(ص19).

(5) خرم في الأصل بمقدار كلمة.

(6) أورده النيسابوري في غرائب القرآن (6/ 45). والرازي في مفاتيح الغيب (27/ 79).

(7) سورة الفاتحة آية7.

ويصح أن يكون صفة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة -نعمة الإطباق- وبين السلامة من غضب الله والضلال، وإنّما صح وصف المعرفة بغير وهي لتوغلها في الإبهام لا تتعرف وإن أضيفت إلى معرفة لأنّ ﴿ٱلذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لا توقيت فيه أيضاً، بل هو جنس مبهم فهو من المعرفة لفظا النكرة معنى، فعومل معاملة النكرة، كقوله:

ولقد أَمُرُّ علَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي[1] [الكامل]

ولأنّ المقصود، ﴿عَلَيْهِمْ وَلاَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ خلاف المنعم عليهم، فليس في غير الإبهام الذي يأبى عليها أن تتعرف، بل نصّ ابن السراج[2]، على أنّه إذا لم يكن لمدخولها إلاّ ضد واحدٌ فهي معرفة[3]، لتعين أنّ المراد بها ذلك الضد، كقولنا، الحركة غير السكون، فإنّ غير السكون ليس إلا الحركة ولا يرد عليه؛ ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحاً غَيْرَ ٱلذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[4]، لأنّه لا ينحصر غير عملهم في صالح معين لأنّ الذي كانوا يعملونه هو الفساد المعهود عندهم وغيره صادق بعمل صالح أياً كان.

وضد (المغضوب عليهم والضالين) محصور في المنعم عليهم فتعرفت، لكنّ هذا إذا أريد بـ(المغضوب عليهم والضالين) مطلق الكفار وبـ﴿ٱلذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مطلق المؤمنين وإلا لم تتعرف قطعاً وتتعين البدلية وهذا التحقيق من المهمات فقيد به وقُرئ بنصب غير حالا من ضمير عليهم.

---

(1) شطر بيت أورده الأخفش في معاني القرآن(1/ 145). وتتمته: ...فمَضَيْتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يعْنيني

(2) محمد بن السري بن سهل، أبو بكر، المعروف بابن السراج، أحد أئمة الأدب والعربية من أهل بغداد. ويقال: ما زال النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج بأصوله، له: «الأصول» في النحو، و «شرح كتاب سيبويه» و«الشعر والشعراء» (ت316هـ). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (14/ 483)، والأعلام(6/ 136).

(3) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز(1/ 77)، الدر المصون للسمين الحلبي(1/ 71).

(4) سورة فاطر من الآية37.

والغضب ضد الرضىٰ، وهو في الأصل تغير يحدث في النَّفس عند غليان دمِّ القلب لإرادة الانتفاع، وهذا علىٰ الله محال مجمل في حقه تعالىٰ علىٰ وجهين:

أحدهما: أنّه مجاز مرسل عن لازمه، وهو إرادة الانتقام أو لازما لازمه وهو إنزال العقوبة والانتقام بالفعل.

والثاني: أنّه استعارة تمثيلية كما في قولنا: «غضب الله عليهم» بأن يشبه حاله تعالىٰ في معاملتهم بحال الملك إذا غضب علىٰ من تحت يده فعاقبهم وانتقم منهم؛ والضمير المجرور بـ«علىٰ» نائب الفاعل وعُدّي الغضب بـ«علىٰ» لأنّه يوجب الاستعلاء علىٰ المغضوب عليه بالنعمة والإذلال ولا لتأكيد، النفي المستفاد من غير واصل الضلال الهلاك وذهاب العين، يقال: «ضلّ اللبن في الماء»، أي اضمحلّ وذهبت عينه، ثمّ وصف به الخارج عن الحق والصواب تشبيهاً له بالهالك فأصله استعارة تصريحية أصلية في المصدر، وتبعيته في المشتق ثم شاعت حتىٰ صارت حقيقة عرفية.

وَقَرَأَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ (الضَّأْلِينَ) بالهمزة مفتوحة، كما قرئ(ولا جأن) وهي لغة، من جد في الهرب من التقاء الساكنين كقولهم، شأبة ودَأبة[1].

وعن عدي بن حاتم، أنّ المصطفىٰ قال: «المغضوبُ عليهم اليهود، والضالون النّصارىٰ»[2]. وهذا مناسب لقوله تعالىٰ في اليهود: ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ

---

(1) أورده أبو عمرو الداني في التيسير(1/ 47)، وابن عطية في المحرر الوجيز(1/ 78)، وقال أبو حيان: «وحكىٰ أبو زيد دأبة وشأبة في كتاب الهمز، وجاءت منه ألفاظ ، ومع ذلك فلا ينقاس هذا الإبدال لأنه لم يكثر كثرة توجب القياس، نص علىٰ أنه لا ينقاس النحويون، قال أبو زيد : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأن﴾، فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب دأبّة وشأبّة» البحر المحيط(1/ 16).

(2) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم7206 (16/ 184). والطبراني في معجمه الأوسط رقم3813 (4/ 139).

وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾[1]﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[2]﴿لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[3]؛ وقوله في النّصارىٰ: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[4].

ووجه التخصيص، أنّ اليهود صدرت منهم أفاعيل توجب الغضب في عرفنا، كاعتدائهم في السبت وتعنتهم وكفرهم مع رؤيتهم الآيات، وقتلهم الأنبياء وآخذهم الربا وقد نهوا عنه، وأكلهم أموال النّاس بالباطل؛ والنّصارىٰ، حصلت منهم جهالات واعتقادات فاسدة، وذلك ضلال.

[8/ب] ويعلم من هذا أنّ الكفر والطغيان ينبني علىٰ أحد أمرين: إمّا علىٰ تضييع العمل/ بالعلم وهو حال اليهود أو تضييع العلم اليقيني من أصله وهو حال النّصارىٰ.

فاليهود علموا ولم يعملوا[...][5] فأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وأكلوا الرّبا، وأموال النّاس بالباطل، وقتلوا الأنبياء ونبذوا أحكام التوراة، وبدلوا وغيروا فصار علمهم كلا عِلم.

فإنّ من لا يجري علىٰ علمه هو والجاهل سواء، وهذا أثبت لهم العلم ونفاه عنهم في آية:﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾الآية[6]، ومثلوا الحمار في آية: ﴿مَثَلُ ٱلذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرِيٰةَ﴾[7].

---

(1) سورة المائدة من الآية62.

(2) سورة البقرة من الآية60. أل عمران من الآية112.

(3) سورة الممتحنة من الآية13.

(4) سورة المائدة من الآية79.

(5) طمس في الأصل.

(6) سورة البقرة من الآية101.

(7) سورة الجمعة من الآية5.

والنّصارىٰ، لم يعلموا علماً يقيناً، فقالوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ﴾[1] ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[2]، ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾[3]،ثمّ جعلوا يترهبون ويعملون أعمالا مبنية علىٰ غير أساس، فتعبدوا بلا طائل.

وبهذا يعلم أنّ الاستقامة لابد فيها من الجمع بين العلم والعمل، وهو حال المسلمين وإليهما تشير السورة، فهي مبنية لطريق الاستقامة والصواب وكيف ينبغي أن يكون المؤمنون؛ فأول السورة علم يجب اعتقاده وذلك إلىٰ قوله: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، وعلم المعتقدات، هو أول الواجبات وأساسها ويمكن أن تستفاد أوليته في الوجوب من الابتداء به في هذه السورة، وأمّا علم العبادات والمعاملات فمبني عليه ومتأخر عنه مع أنّه غير يقيني محض بل غالبه من قبيل الظَّنِّ الغالب الذي اكتفىٰ به الشرع في الفروع، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إشارةٌ إلىٰ العمل المقصود من العلم، ولمّا كان العلم والعمل لا يعتبران إلاّ بدوامهما إلىٰ الوفاة أشير إلىٰ الدوام بقوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾؛ أي أدم لنا الهداية، وبقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ ﴾، لأنّ المنعم عليهم من دامت لهم الهداية لاسيما إن فسروا بالنبيين إلخ؛ أو بالمصطفىٰ وصاحبيه[4]. وفي:﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ تنزيه لضميره تعالىٰ أن يذكر مع ضميرهم تحقيراً لهم[5]؛ وأمّا قوله: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ

(1) تتمة الآية: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾، المائدة، آية75.

(2) تتمة الآية: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ المائدة، آية75.

(3) تتمة الآية: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾التوبة، آية30.

(4) انظر في ذلك الدر المنثور للسيوطي(1/ 83).

(5) قال القرطبي: «اختلف في ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ من هم؟ فالجمهور أن المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارىٰ، وجاء ذلك مفسرا عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في حديث عدي بن حاتم ». الجامع لأحكام القرآن (1/ 150).

عَلَيْهِمْ﴾[1]، فلما كان المقام فيه لاسمه الظاهر لا للضمير جيء باسم الجلالة لتهويل ذلك الغضب والدلالة على خيبة من تعلق به لأنه غضب الموصوف بكمال الاقتداء ونهاية الأفضال والنوال.

وفي قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ مع قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، تعليم للعبادة كيف يتأدبون مع المعبود في العبادة، وأنّ الأدب مطلوب قولاً كما هو مطلوب فعلاً.

وتفصيل هذا، أنّ الأعمال الظاهرة على أيدي العباد، إن كانت محمودة شرعاً فإنّها تنسب إلى الله حقيقة بالخلق والإيجاد وشريعة أدباً واعترافاً بالجنّة، وإلى العبد كسباً وشرعاً بنسبته تعالى نحو: ﴿وَكُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَيٰنَا ٱللَّهُ﴾[2] ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن تُكْفَرُوهُ﴾[3]، ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾[4]، وما كان مذموماً شرعاً ينسب إلى العبد كسبا وشرعاً ولا ينسب إلى الله، وإن كان هو الخالق للجميع أدباً، ولئلا يتوهم أنّ المعصية حسبته مأمور بها، وقيل: يجوز أن ينسب إليه.

وثالثها: حيث لا إيهام ويمنع معه، واختار القِلْشَاني[5] وغيره الأول، ويؤيده ما في

---

(1) سورة الفتح من الآية6.

(2) سورة الأعراف42.

(3) سورة أل عمران من الآية115.

(4) سورة البقرة من الآية271.

(5) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله، القِلْشَاني قاض تونسي، من فضلاء المالكية، تولى قضاء قُسنطينة سنة 822 ثم قضاء الجماعة بتونس، وانقطع للإمامة بالزيتونة إلى أن توفي. من كتبه (شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني. (ت863هـ). ترجمته في: الضوء اللامع(1/ 137)، وانظر الأعلام(1/ 229). انظر تحرير المقال في شرح الرسالة للقِلْشَاني، مخطوطة بالمكتبة الوطنية رقم153د (ق53-54).

هذه الآية وقول إبراهيم: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى ﴾[1] الآية، لم يقل وإذا أمرضني على نمط ما قبله وقول الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[2]، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾[3].

وفي دعاء نبوي: «الخَير في يَدَيك وَالشّر لَيس إليـك»[4]؛ أي لـيس منسـوباً إليـك في النُّطق تأدباً وليس المراد لم تخلقه ولذا اقتصر على الخير في: «بيدك الخير».

وقال: سَهْل بن عَبد الله[5]: «إذا عمل العبد حسنته وقال: يا ربّ بفضلك استعملت استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت، شكر الله له وقال: يا عبدي بل أنت أطعت وأنت تقربت وإن نظر إلى/ نفسه وقال: أنا أطعت وأنا عملت وأنا تقربت أعرض الله عنه [9/أ] وقال: يا عبدي أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت وإذا عمل سيئة، وقال: يا رب وأنت قضيت وأنت حكمت، غضب الله عليه، وقال: يا عبدي بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت، وإن قال يا ربّ، أنا ظلمت وأنا أسأت وأنا جهلت، أقبل المولى عليه وقال: يا عبدي أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وقد حلمت وقد سترت»[6].

---

(1) سورة الشعراء من الآية78.

(2) سورة الكهف من الآية78.

(3) سورة الكهف من الآية81.

(4) أخرجه الحاكم في مستدركه وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه»، رقم3384(2/ 395). وعبد الرزاق في مصنفه رقم34800(7/ 139).

(5) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. له «تفسير القرآن مختصر» وغيره(ت283هـ). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء(13/ 330)، الأعلام(3/ 143).

(6) إيقاظ الهمم(ص138).

قوله: «آمين» ليس بقرآن إجماعاً لكنّه مستحب في الصلاة؛ وقيل: وفي غيرها أيضاً، لعموم قول وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ: «كانَ النَّبي ﷺ: إِذَا قَرأَ ﴿وَلاَ ٱلضَّآلِّينَ﴾قال: (آمين) وَرفَعَ بها صَوتَهُ»[1].

وعَنهُ ﷺ « لَقّنَني جبريلُ آمينَ عِندَ فَراغِي مِنْ قِرَاءَة فَاتحةِ الكِتّاب»[2].

وتمد همزته وتقصر؛ قال: [البسيط التام]

يا رَبِّ لا تَسْلُبَنِّي حُبَّها أبداً ويَرْحمُ اللهُ عبداً قال آمينا[3]

وقال:

تباعَدَ عني فُطْحُلٌ إذ دعوتُه آمينَ فزاد الله ما بيننا بُعْدا[4]

وهو اسم فعل بمعنىٰ استجيب، وعن المصطفىٰ بمعنىٰ (أفعل)، وقيل: كذلك يكون، وقيل: لا تخيب رجاؤنا، وهذا تفسير باللاّزم، وقيل: اسم لله ومعناه يا آمين استجيب، ورده بناؤه علىٰ الفتح، وقيل: اسم خاتم يطبع به الصحف التي تعطىٰ بالإيمان، والمراد بالختم بمعنىٰ الدعاء به علىٰ هذا التفاؤل بأن يكون مطبُوعاً عليه بعلامة القبول.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده رقم18848(31/ 136)، وأبو داود في سننه رقم933(1/ 351)، والدارمي في سننه رقم1247(1/ 315)،

(2) أورده الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف، وقال: غريب بهذا اللفظ وبمعناه ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الدعاء(2/ 245): «أقرأ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فاتحة الكتاب فلما قال (ولا الضالين) قال له قل آمين فقال آمين» (1/ 27-28).

(3) ديوان المجنون لقيس بن الملوح (ص116).

(4) البيت لجبير بن الأضبط، انظر الدر المصون(1/ 77). وحاشية الشهاب علىٰ البيضاوي(1/ 159).

وفي حديث أبي هريرة: «إِذَا قَالَ الإِمَامُ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فَقُولُوا: (آمين) فإنّه مَنْ وَافَقَ قَوله قَول الملائكة غَفَر لَهُ مَا تَقَدّم مِنْ ذَنْبِهِ»[1]، زاد في غير الصحيح: «وَمَا تَأَخَّرَ».

وفي لفظ «إذا آمن الإمام فآمنوا، فإنه من وافق تآمينه تآمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[2].

وهل الموافقة في الوقت، أو في الإخلاص، أو في مطلق ذكر التآمين أقوال[3].

والصحيح من جهة الأحاديث أنها تطلب من كل مصل إلاّ المأموم الذي لم يسمع ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

وعن [أبي][4] زُهَيْرِ النُّمَيْرِيِّ[5]، خرجنا مع المصطفىٰ صلىٰ الله عليه وسلم ليلة نمشي فمررنا علىٰ رجلٍ قد ألحَّ في المسألة، فوقف يسمعه وقال: «أَوْجَبَ إِنْ خَتَمَ»، قيل: بِأَيِّ شَيْءٍ يَخْتِمُ؟ قال: «بآمين»، فقيل للرجل: اخْتِمْ يَا فُلَانُ بِآمِينَ، وَأَبْشِرْ». رواه أبو داود[6].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب جهر الإمام بالتأمين، رقم749(1/ 271)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، رقم409(1/ 306)، ومالك في الموطأ رقم195(1/ 87).

(2) أورد القرطبي اختلاف الفقهاء في (التأمين) فانظر تفسيره(1/ 12-13).

(3) أخرجه أحمد في مسنده رقم18848(31/ 136)، وأبو داود في سننه رقم933(1/ 351)، والدارمي في سننه رقم1247(1/ 315)،

(4) كلمة «أبي» ليست في الأصل واستدركتها من المصادر.

(5) أبو زهير النميري يحي بن نفير له صحبة يعد من الشاميين، انظر معرفة الصحابة لأبي نعيم(5/ 2898)، الاستيعاب لابن عبد البر(4/ 1663)، الإصابة لابن حجر(7/ 156).

(6) الحديث رواه أبو داود في سننه مع اختلاف يسير في اللفظ، كتاب الصلاة باب التأمين وراء الإمام رقم939، وقال: وهذا لَفْظُ مَحْمُودٌ.(1/ 353)؛ والطبراني في المعجم الكبير، رقم765(22/ 296).

وفي حديث الحاكم «لاَ يَجْتَمِعُ مَلأٌ يَدْعُو بَعْضُهُمْ وَيُؤَمِّنُ بَعْضُهُمْ إلاَّ أَجَابَهُمْ اللهُ تعالى»(1).

وعن حذيفة رفعه: «أن القوم يبعث عليهم العذاب حتما مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ في الكُتاب فيرفع عنهم العذاب أربعين سنة»(2).

قال العلامة ابن زكري: «ظهر لي أنّ في السورة إشارة إلىٰ أحمديته ﷺ لربه فإنّ الله سمّاه أحمد تفضيلاً له في الحمد علىٰ الإطلاق، إذ هو أحمد الحامدين لأنّه أعرف العارفين بل الحامدون كلهم نوابه لأنّه الذي عرفهم الحمد وأوصل إليهم العلم بمشيئته من الكمالات ونفس منتسبه من النعيم لعموم وساطته، فهو المنشئ علىٰ الإطلاق، والحامد في كل الأوقات والآفاق، فخصّ بإنزال سورة الحمد المفتتحة به عليه.

ففي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إجلاء لأحمديته، إبداء لعظيم معرفته، وإنّه المتلبس بالحمد الأكمل العام إجمالا إما تفصيلا فإن تكرر لتعذره بقوله: «لا أحصي» إلخ؛ ثمّ أشير بـ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ إلىٰ حاله في الإقبال علىٰ الله والانقطاع إليه، وقصر همته عليه؛ إذ هو الرب/ وغيره مربوب، فلا يستحق الحمد سواه، كما أفادته جملة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ [9/ب] والقصد ولا مَحْمَداً سوىٰ أولئك المربوبين إلا من حيث أمره المتمثل حامداً له.

وأشير بـ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إلىٰ رحمته، والرَّحمة به إذ ذاك علىٰ حسب أحمديته، فيرحمه بمزيد الإفضال عليه حتىٰ يصير عين الرحمة يرحمُ به عبده: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك رقم 5478 (3/ 390)، والطبرانى في المعجم الكبير رقم 3536 (4/ 21)، وقال الألباني: ضعيف. انظر، السلسلة الضعيفة(رقم5968).

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفاء(1/ 222). وقال عبد الرؤوف المناوي في الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي: «أخرجه الثعلبي في تفسيره وهو موضوع»(1/ 119).

رَحْمَةً﴾[1]، والكمل في الحمد حظ من هذا المعنىٰ بحسب مراتبهم في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ ولذا قال: في الحديث، في الأبدال«بِهِمْ تُمْطَرُونَ وَبِهِمْ تُرْزَقُونَ»[2].

وَوُسطَ اسما الرحمة، بين ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ و﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، يشهدنا علىٰ أنه مرحوم به في الدارين وعلىٰ عموم رحمته؛ [صلىٰ][3] الله عليه في الدنيا، وخصوصها في الآخرة بالمؤمنين؛ فالرحمان أعم، والرحيم أخص كما قررناه.

قيل: وذلك بالشفاعات العظيمة ثمّ هذه الأوصاف إجلاء لبعض البعض من أحمديته إذ هي مما تعلق به حمده تفصيلا ففيها إظهار لنقط من جار معارفه، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حمداً آخر وثناء بأنه المعبود علىٰ جهة الخطاب بعد التوغل في التعليق، تنبيهاً علىٰ أنّ المناجات والمواجهة والمسارة إنّما يليق من عارف منقطع، وأيضاً خوطب بالخطاب لأنّها أبلغ في الحمد من جميع ما مرّ؛ إذ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وإن كانت حمداً عاما لكنها حمد لفظي وإقرار لساني مع حضور قلبه.

و﴿نَعْبُدُ﴾، معناه نخضع غاية الخضوع بألسنتنا بما سبق، وغيره من إجمالات وتفاصيل، وبقلوبنا وجباهنا وآنافنا ورؤوسنا ووجوهنا وأيدينا وأرجلنا، وكل ذرة منّا، فهذا الحمد هو الذي يليق أن تخاطب به مِلِك الملوك ويلتزم وينوي العمل بمقتضاه، وهو الحمد العرفي في أخصّ أنواعه أعني الشُّكر العرفي في عموم الأحوال[4]، ولم يعم به علىٰ الكمال إلاّ هو ﷺ، ولذا قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[5] أو لما كان مما لا طاقة

---

(1) سورة الأنبياء من الآية 106.

(2) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (10/ 63)، وأورده السيوطي في الجامع الصغير، وقال الألباني: ضعيف انظر حديث رقم 2267 في ضعيف الجامع.

(3) خرم في الأصل واستدركته بما يتناسب مع السياق.

(4) انظر في ذلك نظم الدرر للبقاعي(6/ 148).

(5) تقدم تخريجه(ص98).

للعبد بمعرفته تفصيلا واستحضاره فضلا عن التلبيس به اتبع بحمد آخر، وهو الثناء علىٰ الله بأنّه المستعان به علىٰ ذلك، ثمّ صرح بطلب الهداية إليه فهو ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، فلا نقول «أل» فيه جنسية بل عهدية مشار بها إلىٰ ذلك الحمد العرفي الذي هو العبادة، وكل سائل يسأل بحسب حاله منه، فسيدنا رسول الله ﷺ يقول: «اجعلني الجامع لأخلاق النبيين والمرسلين كما أمرتني به في قولك: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[1]» فإذا هداه لذلك واستعمله فيه، صار أكمل قائم بالشكر العرفي، لجمعه ما افترق منه في غيره. والله أعلم.

انتهىٰ من كلام سيدي الطيب ابن كيران رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه. وهي -أي سورة الفاتحة- مكية عندا لجمهور لتفسير السبع المثاني بها في سورة الحجر بل آية الحجر في الحديث؛ والحجر مكية اتفاقاً، ولأنّ فرض الصلاة بمكة ولم تحفظ صلاة بغير الفاتحة بل روي أنّها أول سورة نزلت وإنّ جبريل نزل الغد من نزول إقرأ فأقراه إياها؛ وقيل: مدنية[2].

وثالثها، نزلت مرتين بهما تعظيما لها وآيها سبع ولا التفات لمن قال: ثمان أو ست لكن من عدّ البسملة آية جعل، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾ آخر آية، ومن لم يعدها جعل ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ إلخ آية[3].

---

(1) سورة الأنعام من الآية 91.

(2) انظر تفسير القرطبي(1/ 5-6-7)، والسيوطي في الدر المنثور(1/ 28).

(3) جاء في آخر هذا التقييد قوله: «منه أيضاً يرونهم، فيجب أن يستجير الإنسان منه بالاستعاذة بمن يرىٰ الشيطان ولا يراه الشيطان وهو الله.

ومنها: أنّ الاستعاذة قدمت لأنّها تُخلي ثمّ البسملة لأنها تُحلي ثمّ التلاوة لأنّها تُجلِّي؛ أو الاستعاذة تَودِيعُ خليقة، والبسملة سلوكُ طريقة، والتلاوة حلول بحضرة حقيقة؛ أو الاستعاذة انقياد للأمر واستسلام فهي إسلام. =

انتهىٰ بحمد لله وصلىٰ الله علىٰ نبيه وعبده.

منه أيضاً يرونهم، فيجب أن يستجير الإنسان منه بالاستعاذة بمن يرىٰ الشيطان ولا يراه الشيطان وهو الله».

= ومنها: أنّ الاستعاذة قدمت لأنّها تُخلي ثمّ البسملة لأنّها تُحلي ثمّ التلاوة لأنّها تُجلّي؛ أو الاستعاذة تَودِيعُ خليقة، والبسملة سلوكُ طريقة، والتلاوة حلول بحضرة حقيقة؛ أو الاستعاذة انقياد للأمر واستسلام فهي إسلام.

والبسملة، تعريف بالله وأسمائه وصفاته، فهي إيمان، والتلاوة مناجاة وإقبال وشهود وإحسان.



التقييد الثالث:

في قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1]

---

(1) سورة البقرة؛ آية 121.



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

نحمد الله الذي وسعنا كرمه، ونشكر الله الذي غمرتنا نعمه، ونصلي ونسلم على نبيه محمد الذي هو أشرف الخلق وأكرمه، وعلىٰ آله الذين لهم من الشرف بالقرب منه معظمه، وصحابته الذين بهم علا الدين وَارتفع علمه.

هذا وَإنَّ ما قيَّده فَخر السلاطين وبَحر العلُوم، ومَعدن حقائق الأنظار ودقائق الفهوم، مولانا سُليمان ابن مولانا محمد، لازالت مآثره تؤثر وتحمد، علىٰ آية: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وما في معناها، هو أمثل ما يحل إشكال[معارضتها][1] لما علم من أنَّ أفضلية الأمَّة المحمدية علىٰ سائر الأمم حسبما أفصحت به آية: ﴿ثُم أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[2]، وآية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[3]، سواء كان الخطاب فيها عامًّا للأمَّة أو خاصًّا بالصحابة لعموم المفضل عَليه، وهو أمَّة أخرجت للناس[4].

فإن قلت: من أين جاءه العموم وهو نكرةٌ في سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ علىٰ حدّ: «جَاءَنِي رَجُلٌ»، قلتُ: جاءه إمَّا من تقدير «كل»، أي (كُنتُم خَيرَ كُلّ أمَّة) علىٰ حدّ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾[5]، أي «كل نفس»، وإمَّا من قيام النكرة المفردة مقام المعرفة المجموعة كأنَّه قيل: كنتم خير الأمم المخرجة للنَّاس إذا فصلوا أمة أمة، فاختصر الكلام كما في التصريح وبيان المعارضة؛ أنَّ قوله لبني إسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ

---

(1) في «ح» معارضها .

(2) سورة فاطر؛ آية 32.

(3) سورة آل عمران؛ آية 110.

(4) حكىٰ ذلك الإمام القرطبي في تفسيره (2/ 73-74)، وابن كثير في تفسيره أيضاً(1/ 114).

(5) سورة التكوير؛ آية 14.

﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، يقتضي عموم المفضلِ عليهم فيها تفضيلهم علىٰ هذه الأمَّة.

والآيتان السابقتان، يقتضي عموم المفضل عليهِ فيهما تفضيل هذه الأمَّة عليهم وعلىٰ غيرهم، والفاضل لا يكون مفضولاً لمن فضله فوجب المصير إلىٰ تخصيص أحد العمومين دفعاً للتعارض، وكلا العمومين قابل في نفسه أن يخصَّ بغير المفضل الآخر، لكن الأدلة من خارج تدل علىٰ أنَّ التخصيص في عموم من فضل عليهم بنو إسرائيل، بأن يخص العالمون/ [4/أ] بغير هذه الأمَّة لإجماع المسلمين علىٰ أفضلية هذه الأمَّة علىٰ سائر الأمم عموما.

والآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي عدولاً خيارا[3]، ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[4].

ولما في حديث الصحيحين وغيرهما، من أنَّ أهل الكتابين أقل أجرا من هذه الأمَّة، وإن كانوا أكثر عملا إذ لهم قيراطٌ قيراطٌ، ولهذه الأمَّة قيراطان قيراطان، مع أنَّهم أقل عملا[5].

---

(1) سورة الجاثية؛ آية 15.

(2) سورة الدخان؛ آية 31.

(3) هذا تفسير أبي سعيد الخذري وقتادة وغيرهم، رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(3/ 143-144).

(4) سورة البقرة؛ آية 142.

(5) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر ، رضي الله عنهما أنَّ رسُول الله صلىٰ الله عليه عليه وسلم قال : «إِنَّمَا بَقَاؤُكُم فِيمَنْ سَلَفَ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَىٰ غُرُوبِ الشَّمْسِ أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّىٰ انْتَصَفَ النَّهَارُ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّىٰ صُلِّيَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّىٰ غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ هَؤُلاَءِ أَقَلُّ مِنَّا عَمَلاً وَأَكْثَرُ أَجْرًا قَالَ اللهُ هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لاَ قَالَ فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ». كتاب مواقيت الصلاة؛ باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب؛ رقم 7533 (1/ 114) من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه.

ولما روىٰ أبو نعيم وغيره عن ابن عباس رفعه: «أَنَّ الله لما قرب موسىٰ نجيا قال: يا رب هل أحد أكرم عليك مني قربتني نجيا وكلمتني تكليما؟ قال: محمد أكرم علي منك، قال: فإن كان محمد أكرم عليك مني فهل أمة محمد أكرم عليك من بني إسرائيل فلَقْت لهم البحر و أنجيتهم من فرعون وعمله، وأطعمتهم المنَّ والسلوىٰ؟ قال: نعم، أمة محمد أكرم علي من بني إسرائيل، قال: إلهي أرنِيهم، قال: إنَّك لن تراهم وإن شئت أسمعتك أصواتهم، قال: نعم إلهي، فنادىٰ ربنا يا أمة محمد أجيبوا ربكم، فأجابوا في أصلاب أبائهم وأرحام أمهاتهم إلىٰ يوم القيامة، فقالوا: لبيك أنت ربنا حقا ونحن عبيدك حقا، قال: صدقتم»[1] الحديث، وفي آخره أنه نزل في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾[2].

وفي حديثي أبي هريرة وأنس عند أبي نعيم وغيره مرفوعا: «أَنَّ موسىٰ عليه السلام لما علم أفضلية هذه الأمَّة علىٰ بني إسرائيل، قال: يا رب اجعلني نبي تلك الأمَّة، قال نبيها منها، قال: يا رب اجعلني من أمة ذلك النبي قال: استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينهُ في دار الجلال»[3] وأعطىٰ عند ذلك خصلتين فقيل له: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[4].

وطلبه أن يجعَلهُ من هذه الأمَّة علىٰ جهة التمني، كقول امرئ القيس: [الطويل].

---

(1) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلىٰ ابن مردويه عن ابن عباس(11/ 473-474).

(2) سورة القصص آية 46.

(3) أورده السيوطي في الدر المنثور (6/ 549). وفي الخصائص الكبرى(1/ 23) عن أبي نعيم وقال الألباني: إسناده ضعيف جدا، بل موضوع ولوائح الوضع عليه ظاهرة.

(4) سورة الأعراف آية 144.

ألا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيـلُ ألا انْجَـلِي بِصُبْحٍ وَمَا الإصباحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ [1]

ولذا قال العلامة بن زكري من قصيدة:

تَمَنّىٰ المُرسَـلُونَ أنْ يَكُونُـوا مِـنْ أُمّتـــهِ لِيـــزْدَادُوا اقْتِرَابـــا

لَقَـدْ فُزْنَـا بِتَخْصِـيصٍ عَظِـيم لأَنْ حُزْنَـــا لِمَلّتِـــهِ انْتِسَـــابا

فَكُونُـوا عَـارِفِينَ بِـما مُنِحـتُم وَ وَالُـــو الشّــكرَ لله احْتِسَـــابا

ولأنَّهم أعطوا فضل الكتب، وجعلوا أتباعا لأفضل الرسل وأعطوا ليلة القدر خير من ألف شهر[2]، وإنَّهم لا يجتمعون علىٰ ضلالة[3]، وأنَّ إجماعهم حجة واختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا وأنَّهم جعلوا آخر الأمم لئلا يطلع/ غيرهم علىٰ مساوئهم وإنَّهم أول من يدخل الجنَّة من الأمم[4]، إلىٰ غير ذلك من خصائصهم[5]. [4/ب]

وحاصل كلام مولانا الإمام أمران:

---

(1) من معلقة امرئ القيس، انظر شرح المعلقات العشر للزوزني(ص60).

(2) قال ابن العربي المعافري: «وَلَقَد أعْطِيت أُمَّةُ مُحمدٍ مِنْ الْفَضلِ مَا لَمْ تُعْطَهُ أُمَّةٌ فِي طولِ عُمُرِهَا، فَأَوَّلُهَا أَنْ كُتِبَ لَهَا خَمْسونَ صَلَاةً بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ، وَكُتِبَ لَهَا صَوْمُ سَنَةٍ بِشَهْرِ رَمَضَانَ.. ومن أَفْضَلِ مَا أُعْطُوا لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ؛ وَهَذَا فَضْلٌ [لَا يُوَازِيهِ فَضْلٌ]، وَمِنَّةٌ لَا يُقَابِلُهَا شُكْرٌ». أحكام القرآن(4/ 428).

(3) إشارة إلى حديث: «لَا تَجْتَمِع أمتِي عَلَىٰ ضَلَالَة». أخرجه الترمذي في أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة رقم2167(4/ 466)، والحاكم في مستدركه، رقم396(1/ 201).

(4) انظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان(2/ 615).

(5) ومن خصائص هذه الأمة: أنها الأكملُ في التشريع والأحسنُ في التنزيل، فدينها كامل شامل صالح قوله عزوجل:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾[المائدة، 4].

أحدهما: أنَّ تفضيل بني إسرائيل في الآي السابقة إنَّما هو باعتبار من سبقهم من الأمم[1]، أو عاصرهم ممن ليس منهم لا باعتبار من بعدهم فلا ترد هذه الأمَّة المحمدية؛ كما أنَّ تفضيل هذه الأمَّة هو أيضا بالنسبة إلىٰ من سبقها من الأُمم، ولما كانت آخر الأمم لزم من تفضيلها علىٰ من سبقها تفضيلا علىٰ سائر الأمم، إذ لا أمَّة بعدها حتىٰ تكون فاضلة أو مفضولة، وهذا الذي قاله في تلك الآي هو أمثل ما يقال وَأحق ما يدفع به الإشكال، وهو إمَّا تخصيص للفظ «العالمين»، أو تنبيه علىٰ أنَّه ليس في الحقيقة زائداً علىٰ ما يتبادر منه فلا حاجة إلىٰ اعتبار التخصيص فإن معنىٰ ﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، جعلت آباءكم وأسلافكم يفضلون أو فاضلين سائر العالمين[2]، ولا شك أنَّهم إنَّما يتصفون بذلك وقت تلبسهم بشريعتهم، وعندما كانت معتبرة قائما حكمها قبل النَّسخ، واسم الفاعل، وكذا[3] المضارع حقيقة في حال التلبس بالمعنىٰ وإن لم يكن هو حال التكلم علىٰ ما حققه التاج ابن السبكي[4]، وإذا ثبت لهم الفضل علىٰ العالمين في ذلك الوقت اختصّ لفظ العالمين بمن تحقق لهم وجود إذ ذاك دون الباقين في العدم، وهم هذه الأمَّة ليسوا من العالمين في ذلك الوقت بالفعل، بل بالقوة فقط، فلا يتناولهم لفظ العالمين بالقياس إلىٰ ذلك الوقت الذي هو وقت قيام شريعتهم قبل نسخها. وإذا علم هذا فمن آمن بعيسىٰ من بني إسرائيل استمر تفضيله، ومن كفر بطلت فضليته، ومن آمن بنبينا من النصارىٰ انتقل من تفضيل إلىٰ أعظم منه، ومن كذب به منهم بطلت فضليته، ومن آمن بنبينا من اليهود المكذبين بعيسىٰ، انتقل من عدم الفضل بالكلية إلىٰ

(1) وإلى هذا أشار الإمام أبو بكر القرطبي في تفسيره(22/ 414).

(2) أشار إلى نحو هذا المعنى الإمام ابن عطية في تفسيره حتى قال: «وفي الكلام اتساع..»، المحرر الوجيز(1/ 138).

(3) في «ح» «كذلك».

(4) ينظر كتاب الأشباه والنظائر لتاج الدين ابن السبكىٰ(2/ 233).

أفضل مما ثبت لأسلافه من الفضيلة، ومن كذب به بعد تكذيبه بعيسىٰ استمر علىٰ عدم الفضيلة بالكلية؛ ولهذا قدر المضاف في قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي فضلت آبائكم وأسلافكم، إذ الخطاب للكفار منهم ولا يجب مثل ذلك في قوله: ﴿ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[1]، لأنَّ النِّعم في الظاهر سابغة عليهم وعلىٰ آباءهم، فيمكن أن يذكروا ما هم فيه من النِّعم وقت النزول أو يعمَّ الخطاب الموجودين وآبائهم علىٰ التغليب، ويمكن أن لا يقدر المضاف/ في : ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾. ويكون التفضيل واقعا علىٰ المجموع من حيث هو مجموع فيصرف إلىٰ ما يليق به، ولا يقتضي الحكم علىٰ كل بعض كما تقرر في موضعه. [5/أ]

وقد قال قتادة: ذكر لنا أنَّ عمر بن الخطاب كان يقول: «قَدْ مَضَىٰ والله بَنُوا إسرائيل وَإنَّما يَعني بها تَسمعون غَيركُم»[2] فإنَّهم المعنيون بنحو ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقد أشار النيسابوري في تفسيره للآية إلىٰ ثلاثة أجوبة عن المعارضة:

وهو تخصيص لفظ العالمين بغير هذه الأمَّة، بأن يراد الكثير من النَّاس لا الجميع، أو تخصيص لفظ العالمين بعالم زمانهم، أو تخصيص التفضيل ببعض الوجوه دون بعض مع بقاء لفظ العالمين علىٰ الشُّمول للموجودين من بعد هم.

ونصُّ كلامه: «والمراد بالعالمين هاهنا الجمُّ الغفير من النَّاس كقوله: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾[3]، ويقال: رأيت عالما من النَّاس يراد الكثرة بقرينة

---

(1) ينظر كتاب الأشباه والنظائر لتاج الدين ابن السبكى(2/ 233).

(2) أورده ابن عادل الدمشقي في تفسير اللباب (1/ 181)، والرازي في مفاتيح الغيب(3/ 50)، والنيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان(1/ 279).

(3) سورة الأنبياء؛ آية 70.

العلم، فإنَّه لم ير كل النَّاس، ويمكن أن يكون المراد فضلتكم على عالمي زمانكم لأنَّ الشَّخص الذي سيوجد بعد ذلك لا يكون من العالمين. ويحتمل أن يكون لفظ العالَمِينَ عاما للموجودين ولمن سيوجد لكنه مطلق في الفضل، والمطلق كفى في صدقه صورة واحدة.

فالآية تدل على أنَّهم فضلوا على كل العالمين في أمر ما، وهذا لا يقتضي أن يكونوا أفضل من كل العالمين في كل الأمور، فلعل غيرهم يكون أفضل منهم في أكثر منها.

وقيل الخطاب: لمؤمني بني إسرائيل لأنَّ عصاتهم مسخوا قردة وخنازير». انتهى بلفظه [1].

ومما فضلوا به من بعض الوجوه أنَّ جميع الأنبياء وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً منهم، إلا عشرة على ما ورد عن ابن عباس [2]، وقيل غير ذلك، وبقي هنا بحثان:

أحدهما: أنَّ أفضلية أمَّة موسى بالنسبة لغير أمَّة المصطفى ﷺ، وأفضلية أمَّة المصطفى ﷺ على أمَّة موسى إنَّما هما من حيث الانتساب إلى رسوليهما عليهما الصلاة والسلام، لا من حيث العمل وكميته، فلا يمتنع أن يفضل بعض أفراد أمَّة موسى، أو عيسى عليهما السلام بعض أفراد هذه الأمَّة في العمل، فقد يعرض للمفوق ما يجعله مساويا أو فائقا، فإذا قيس من ليس له عمل صالح من هذه الأمَّة إلى التقي الذي له أعمال صالحة من أهل الكتابين، فمن مات على التدين بشريعتهم وقت اعتبارها فلا إشكال أنَّه يكون أفضل، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [3] وهو خطاب

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان(1/ 279).

(2) ذكره أبو حيان في البحر المحيط عن ابن عباس وعن وهب بن منبه(1/ 354).

(3) سورة الحجرات آية 13.

للنَّاس مطلقا بدليل﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾[1] إلخ؛ وأمَّا من له عمل صالح من هذه الأمَّة، وأمَّة موسىٰ وعيسىٰ/ بأن نفرض أنَّه وجد للمحمدي مئة حسنة فضوعفت بعشر عشر وصارت ألفا ووجد لواحد من أهل الكتابين ألف حسنة فضوعفت بأربع أربع فصارت أربعة آلاف، وهي أكثر من الألف وإنَّما لم نجعل التضعيف لهم بخمس خمس مع أن لهم قيراطا قيراطا ولهذه الأمَّة قيراطين قيراطين، حتىٰ يكون أجر الكتابي مثل نصف أجر المحمَّدي، لأنَّ الكتابي في الحديث فرض أكثر عملا من المحمَّدي، ومع ذلك لم يزد علىٰ القيراط الواحد فدَّل ذلك علىٰ أنَّ أجره أقل من نصف أجر المحمَّدي في الجملة والله أعلم.

[5/ب]

فالحاصل: أنَّ النَّسب الديني معتبرٌ ومتفاوتٌ في الأفراد بحسب تفاوت المنسوب إليه إلاَّ أن يغلب المفوق الفائق من غير حيثية النّسبة، وكذا النَّسب الطيني إلىٰ من له مزية دينية تعتبر شرعا بشرط التقوىٰ العملية، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2] ، أمَّا بدون التقوىٰ العملية فمقتضىٰ كلام بعضهم أنَّه لا تأثير لشرف النسب حينئذ أصلا، لأنَّه تابع للتقوىٰ، يقوىٰ بقوتها ويضعف بضعفها وينعدم بانعدامها[3].

---

(1) طرف من آية قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ سورة الحجرات آية: 13.

(2) سورة الحجرات آية 13.

(3) ذكر ابن زكري: «أن المدار في الشرف كله علىٰ القرب منه صلىٰ الله عليه وسلم، والقرب منه نوعان: أحدهما من حيث النسبة الطينية، والثاني من حيث النسبة الدينية، والأولىٰ لا تعتبر إلا بوجود الثانية، والثانية تعتبر استقلالا. وكل منهما يقوىٰ ويضعُف». كتاب الفوائد المتبعة في العوائد المبتدعة(ص276).

وقيل: يبقىٰ له أثر قوي كما يأتي في كلام ابن العربي الحاتمي[1].

وقيل: يبقىٰ له أثرها كما يأتي في كلام ابن زكري.

وقيل: لا أثر له أصلاً ولو مع التقوىٰ؛ لأنَّ ظاهر الآية وكثير من الأخبار أنَّ الكرامة عنده منوطة بها لا به فوجوده غير مؤثر في ذلك، والحق أنَّ له أثرا علىٰ حسب ما يقارنه من التقوىٰ العملية وأنَّه ترجىٰ بركته في الجملة.

وأمَّا قوله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: «اشْتَرِي نَفْسَكِ مِنَ اللهِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»[2] فالمراد أنَّه لا يغني عنها إغناءً محققا علىٰ تقدير عدم التقوىٰ، أمَّا معها كما هو الواقع فله؛ أي إغناءً كيف وقد وصلت بجاه الانتساب إليه إلىٰ أنَّها سيدة نساء أهل الجنة[3]، وأنَّه يقال لأهل الموقف: غضوا أبصاركم حتىٰ تمر فاطمة بنت محمد ﷺ[4].

---

(1) هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد ابن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية (بالأندلس) عام 560 هـ وانتقل إلىٰ إشبيلية واستقر في دمشق، وتوفىٰ بدمشق عام 638هـ من أشهر مؤلفاته: «الفتوحات المكية»، و«فصوص الحكم». انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات (4/ 124)؛ وسير أعلام النبلاء للذهبي (23/ 48)؛ ونفح الطيب (2/ 161).

(2) أخرجه البزار في مسنده بهذا اللفظ رقم 8130 (14/ 392)؛ وأخرجه البخاري من حديث طويل: «يا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي ، لاَ أُغْنِي عَنْك منَ اللهِ شَيْئًا» كتاب التفسير، باب وأنذر عشيرتك الأقربين، رقم 4771.

(3) إشارة إلىٰ حديث أخرجه البخاري من حديث طويل: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ». صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم 3426 (3/ 1326).

(4) إشارة إلىٰ حديث روي من طريق علي وأبي هريرة: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادىٰ مُناد من وراء حِجَاب: يَا أهل الجمع غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ عن فَاطِمَة بنت محمد صلىٰ الله عليه وسلم حَتَّىٰ تَمُرَّ»، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (1/ 12)، والحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: لا والله بل موضوع (3/ 153)، وقال الألباني: موضوع؛ انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم 2688.

وقال القرطبي في تفسيره ما نصّه: «والمؤمن التقيّ أفضل من الفاجر النسيب فإن كان تقيين فحينئذ يقدم النسيب منهما كما يقدم الشيخ على الشاب في الصلاة إذا استويا في التقوى» انتهى منه بلفظه[1].

وقال القِلشاني على الرسالة: «ولا شك أنَّ [للشرف][2] في النسب مزية تقتضي تقديم صاحبها على غيره»[3] انتهى، يعني في الرتبة المشار إليها في قول المختصر: «ثُم زَائِد/ فِقهٍ ثُمَّ حَديثٍ ثُمَّ عِبادَةٍ ثم بِسنٍ إسْلاَمٍ ثم بنسب»[4]. [6/أ]

وقول الزرقاني[5]: المراد بشرف النسب كون الشخص معروف النسب لا مجهوله خلاف ظاهر كلامهم، ويدل على أنَّ لشرف النسب أثراً في الجملة، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾[6].

وقد أخرج حماد بن سلمة عن ابن عباس قال: «يَرفَع الله للمؤمن ذُريّتهُ وإن كَانوا في العَمَل دونه ليقر عَينهُ ثُمَّ قَرأ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ إلى قوله: ﴿مِّن

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (19/ 420).

(2) في «ع» «للشريف».

(3) تحرير المقال في شرح الرسالة (مخطوط بالخزانة العامة رقم 152د).

(4) ينظر مختصر خليل (1/ 42).

(5) العلامة المحدث عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني: فقيه مالكي، ولد ومات بمصر (ت1099هـ). من كتبه: «شرح مختصر سيدي خليل». انظر ترجمته في: شجرة النور الزكية (ص317-318)، والفكر السامي (2/ 615).

(6) سورة الطور، الآية 19.

شَيْءٍ﴾ قال: ما نقصنا الآباء بما أعطينا الأبناء»[1]؛ وعكس ما في الآية، ما رواه ابن مرْدَوَيْه والضياء مرفوعا: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ الْجَنَّةَ سَأَلَ عَنْ أَبَوَيْهِ وَزَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَبْلُغُوا دَرَجَتَكَ وَعَمَلَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ لِي وَلَهُمْ، فَيُؤْمَرُ بالإلحاق»[2].

ويدل لذلك أيضا حديث البخاري وغيره عن أبي هريرة أنّه قيل: «يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَتْقَاهُمْ فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ خَلِيلِ اللهِ، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا» انتهى[3].

قال العلامة ابن زكري: «بين الشَّرف أولاً بالأعمال الصالحة، وثانيا بالنَّسبِ الصَّالح الذي تعود بركته، وثالثا بأصالة الغرائز الحميدة، وهذا بالنسبة لمن أسلم عن أَبٍ كَافر أو عن آباءٍ كُفار موصُوفين بتلك الغرائز، وأمَّا من أسلم في عهده ﷺ من أهل الكتاب الذين كانوا على دين صحيح فالسَّرَيَان من آبائهم المسلمين أحروي. فقوله: « خِيَارُهُمْ فِي

---

(1) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف، ضعف، رقم 11370 (7/ 18). وقال الألباني: صحيح الإسناد، انظر السلسلة الصحيحة، رقم2490(5/ 647).

(2) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن مردويه (13/ 689)؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير(6/ 5) رقم 12076، وقال الألباني: لما أورده هذا إسناد موضوع آفته ابن غزوان هذا وقال الذهبي: كان يضع الحديث. انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم 2602.

(3) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي باب قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ رقم3353، وفي وفي باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾الآية. رقم 3383(4/ 170-182). ومسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل يوسف عليه السلام رقم6311 (7/ 103).

الجَاهِلِيَّةِ » من التفضيل بالأصالة التي السريان معها أمْرٌ أغلبيٌّ، ومن ورث ليس كمن اكتسب والوارث هو من اتصف بمثل ما كان لآبائه وإلاَّ فلا عبرة به في هذا.

القسم الثالث الذي النسبة فيه إلى غير الصالحين من الجاهلين؛ وأمَّا الثاني: فالعقوق لا ينفي النَّسب، وإن كان بين البَارِّ والعَاقِّ كما بين السَّماء والأرض، فليس في القسم الثالث تفضيل بالآباء الجاهلين بل بالخصال الحميدة الأصلية أي بالاقتداء فيها كما قيل:

بَأبه اقتدي عدي في الكرم ... ومن يشابه أباه فما ظلم[1]

وقال الآخر:

إنا وإن كَرُمت أوائلنا ... لسنا على الأحساب نتكلُ

[6/ب] نبني كما كانت أوائلنا/ ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا[2]

انتهى كلام ابن زكري»[3].

ولابن الرومي في هذا المعنى: [الطويل]

وما الحَسَبُ المَوْرُوثُ لا درَّ درُّه ... بِمُحْتسبٍ إلا بآخرَ مُكتسبْ

إذا الغُصن لم يُثمر وإن كان شُعبةً ... من المثمرات اعتدَّه النَّاسُ للحطبْ[4]

---

(1) هذا البيت من بحر الرجز لرؤبة بن العجاج. انظر شرح الكافية الشافية(1/ 184).

(2) البيتان لأبي تمام، وهما في ديوان الحماسة (2/ 265). مع اختلاف في البيت الأول وهو كالتالي:

لسْنا وَإنْ أحسَابُنا كرُمَتْ ... يَوْماً عَلى الأحْسابِ نَتَّكِلُ

(3) الفوائد المتبعة في العوائد المبتدعة(ص321-322).

(4) ديوان ابن الرومي (1/ 88).

وبما ذكر يتبين أنَّ الاعتماد علىٰ النَّسب مجرداً عن التَّقوى والفخر به، خَوَرٌ وجَهلٌ ونودٌ. ومما يُنسب لمولانا عليّ كرم الله وجهه كما في القرطبي:

النَّاس في جِهة التّمثيل أَكْفاءُ ... أَبُوهمُ آدمُ والأمُّ حواءُ

نَفسٌ كَنفسٍ وأرواحٌ مشاكلةٌ ... وأعظُمٌ خُلقتْ فيهم وأعضاءُ

فإن يكن لهُم من نسلهم حسبٌ ... يُفاخرون به فالطينُ والماءُ

مَا الفضلُ إلاَّ لأَهلِ العِلم إنّهمُ ... علىٰ الهُدَىٰ لمن استَهْدىٰ أدِلَّاءُ

وقَدْرُ كلِّ امرئ ما كان يحسنُه ... وللرجال علىٰ الأفعال سيماءُ

وضدُّ كلِّ امرئ ما كَان يجهلُه ... والجاهِلون لأَهلِ العِلم أعداءُ[1]

وللشيخ أبي حفص الفاسي[2] في معناه:

قُلْ لمن يَعْلُوا علىٰ النَّا ... سِ بآباءِ سَراةِ

لَيْسَ مِن شَأْنِي فَخَارٌ ... بِعِظَامٍ نَاخِرَاتِ

مَا فَخَارُ المرْءِ إلاَّ ... بعُلومٍ زاخِرَاتِ

وسَجايا ومَزَايا ... وهِبَاتٍ وَافِراتِ

نِضَالٍ بنصالِ ... في مَجالِ الغَمَراتِ

وجِفَانٍ كالجَوابِي ... وَقُدورٍ رَاسِيَاتِ[3]

---

(1) أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن(19/ 412-413). ونسبه الجرجاني لمحمد بن الربيع الموصلي، أسرار البلاغة (ص 229).

(2) من شيوخ المؤلف تقدمت ترجمته (ص25).

(3) النبوغ المغربي في الآداب العربي لعبد الله كنون(ص668).

وقال ابن العربي في الفتوحات[1]: يعتقد في أهل البيت أنَّ الله تجاوز عن جميع سيئاتهم لا بعمل عملوه و لا بصالح قدموه، بل عناية من الله بهم، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[2].

وكتب الإمام القصار[3] علىٰ هذا الكلام ما نصه: «قول القائل يعتقد أنَّ الله لا يعاقبهم إن أراد تغليب الرجاء في حق من علم الله تعالىٰ أنَّه منهم علىٰ الخوف، فحقٌّ، وإن أراد الاعتقاد الجازم المطابق بأنَّهم لا يعاقبون فقد ابتدع وخالف أهل السنة؛ فإن قيل: وردت به ظواهر، قيل: ورد أكثر منها وأوضح في حق فاعلي طاعات، حتىٰ قال المبتدعة المرجئة: لا يعاقب مؤمن وأبىٰ أهل السنة، وأعدىٰ الأعادي لأهل البيت من يوهمهم ذلك بل يذكر لهم نحو: يضاعف لهم العذاب ضعفين، وإنَّ كثيراً من تلك الظواهر قد لا تشملهم، فمن اعتقد ذلك منهم أو من غيرهم فيهم، فهو مبتدع، بل مذهب أهل السنة، أنَّهم في المشيئة»هـ.

[7/أ] وكتب علىٰ هذا الكلام/ العلامة العارف أبو زيد الفاسي[4] ما نصّه: «قف علىٰ قوله: في حق من علم الله أنَّه منهم فإنَّه شبيه علىٰ أنَّه لا يقطع به في معين، ولا يقطع به أحد لنفسه، ولو الأمر كون شرطه الوفاة علىٰ الإسلام وهو غيب، وهكذا ينبغي أن يكون

(1) الفتوحات المكية لمحيي الدين بن العربي(1/ 298).

(2) سورة الأحزاب، آية 33.

(3) أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسي القصار الغرناطي مفتي فاس، أخذ عن اليسيتني وعبد الله الزقاق، وعنه أخذ عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي، والشهاب المقري وغيرهم، له مؤلفات مفيدة.(ت1012هـ). شجرة النور الزكية(ص295).

(4) هو العلاّمة أبو زيد عبد الرحمن ابن الشيخ عبد القادر الفاسي الفِهري ولد بمدينة فاس وبها نشأ، في حجر أسرة اشتهرت بتضلُّعها ورُسوخها في علوم شتَّىٰ (ت 1096 هـ/ 1685م). انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس(1/ 357-358)، وشجرة النور الزكية(315-316).

الاعتقاد في كل فضيلة وعد عليها في العقبىٰ، فإنَّ شرط [ذلك] الإيمان عند الله وهو غيب غير مقطوع به لأحد إلاَّ من ميزه النص علىٰ أنَّ من تحقق قبضة الحق لا يسكن لوعد».

وبه تفهم قول سيدي عبد السلام[1]،«اللَّهُمَّ أَلحِقْنِي بِنَسَبِه»[2]، فإنَّ الطيني مشروط بالديني وهو غيب، وكذَا ما ورد في قبول الطاعات والدعاء والرخوات فإنَّما هو من علم الله تعالىٰ، منه خاتمة الإيمان ونفذت بذلك إرادته ومشيئته، وأمَّا أحد في خاصته فلا يصح منه الجزم والقطع بذلك لنفسه ولا لغيره.

وقد قال الإمام أبو الحسن[3]: «وقد أبهمت[علينا الأمر][4]لنرجو ونخاف وذلك سرُّ العبودية، وبذلك تنقطع الآمال، إلا من الله ويتحقق الرجاء والاعتماد عليه لا علىٰ الأسباب فاعرفه »هـ.

قال العلامة بن زكري: «فتبين من نصوص هؤلاء الأئمة أنَّ محمل أحاديث التبشير علىٰ غلبة الرجاء في حق من علم الله أنَّه منهم». وأمَّا آية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾[5]، فقيل: الإرادة، بمعنىٰ الأمر.

---

(1) هو أبو محمد عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر الادريس الحسنى الزاهد الناسك، ولد في جبل العلم بتطوان، وقتل فيه شهيدا، اشتهر بـ «الصلاة المشيشية» شرحها كثيرون منهم الشيخ الطيب بن كيران، (ت622هـ)، الأعلام(4/ 9).

(2) شرح الصلاة المشيشية للشيخ الطيب بن كيران، انظر رسالة نحوية في «لو الشرطية» بوصالح فايزة(ص135).

(3) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي، الزاهد، الصوفي إليه تنتسب الطائفة الشاذلية، سكن الإسكندرية، ولد 571هـ بقبيلة الأخماس الغمارية، تفقه وتصوف في تونس، وسكن مدينة (شاذلة) ونسب إليها، (ت656هـ). انظر ترجمته في: شذرات الذهب(5/ 278)، الأعلام(4/ 305).

(4) هكذا في الأصل وفي «ح» (الأمر علينا).

(5) سورة الأحزاب آية 33.

وقيل: المراد بأهل البيت فيها خصوص فاطمة وبعلها وابنيها.

وقيل: أزواج النبيﷺ.

وقيل: هما معاً؛ وتمسك من قال: أنَّه لا عبرة بشرف النَّسب دون تقوىٰ أصلاً، بحديث أبي هريرة مرفوعا: «أنَّ الله تعالىٰ يقول يوم القيامة: إِنِّي جَعَلْتُ لكم نَسَبًا، وَجَعَلْتُمْ لأنفسكم نَسَبًا، قلت: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وأبيتم إلا أن تقولوا: فُلانِ بن فُلانٍ، وأَنَا الْيَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي، وَأَضَعُ أَنسَابَكُمْ أَيْنَ الْمُتَّقُونَ»[1]، وليس فيه تصريح بأنَّ الموضوع النَّسب إلىٰ الصالحين فيحتمل أن يكون الموضوع النَّسب إلىٰ أهل المال والوجاهة في الدنيا؛ وبحديث الترمذي عن ابن عمر أنَّ المصطفىٰﷺ خطب بمَكَّةَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا فَالنَّاسُ رَجُلاَنِ رَجُلٌ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَىٰ اللهِ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَىٰ اللهِ فَالنَّاسُ من بَنِي آدَمَ وَخَلَقَ/ [7/ب] اللهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ»[2]، وليس أيضا بصريح، فإنَّ قوله: «برٌّ تقيٌّ كريمٌ علىٰ الله» ليس فيه حصر، علة كرمه في يده وتقاهُ، فيجوز أن يزداد كرما بانتسابه إلىٰ الصالحين .

وروىٰ الطبري عن أبي [نضرة][3] عمَّن شَهد خطبة النبيﷺوسط أَيَّام التَّشريق وهو علىٰ بعير فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ ربكم وَاحِدٌ و إِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ

---

(1)أخرجه الحاكم في مستدركه، رقم3725(2/ 503)، والطبراني في المعجم الكبير، رقم164(11/ 103)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه طلحة بن عمرو وهو متروك. (8/ 160).

(2) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الحجرات، رقم 3270(5/ 389)، قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر، وقال الألباني: صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 2700 .

(3) في الأصل«ندرة»، وهو خطأ، والتصحيح من كتب التخريج .

عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلاَ لأَسْوَدَ عَلَىٰ أَحْمَرَ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَىٰ ألا هل بَلَّغْتُ، قَالُوا : نعم، قَالَ : لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»[1].

وهذا يحتمل أن يكون المعنىٰ فيه إلا مع التَّقوىٰ أي فمعها يكون بالنِّسبة إلىٰ أهل الفضل في الدِّين أثرا والله أعلم.

[الفصل الثاني][2] في المبحث الثاني: أنَّ تخريجهم آية: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[3].

ونحوها علىٰ عالمي زمانهم، ليس علىٰ إطلاقه، فإنَّ من عالمي زمانهم بني إسماعيل، فلذا قيس من كان من بني إسماعيل في زمن بني إسرائيل مؤمنا غير داخل في ملة موسىٰ مثلا ولكنَّه علىٰ هدي إسماعيل و إبراهيم عليهما السلام إلىٰ من يساويه في التقوىٰ من بني إسرائيل.

فالإسماعيلي أفضل علىٰ الصحيح من الأقوال السَّابقة لأنَّه أمس نسبا بالمصطفىٰ صلىٰ الله عليه وسلم، وذلك معتبر مع التَّقوىٰ كما مرَّ ويدل له حديث الطبراني عن ابن عمر رفعه: «إنَّ الله اختارَ خَلقهُ فَاخْتَارَ مِنهُم بَني آدمَ ثُمَّ اخْتارَ بَني آدم فَاختارَ مِنهُم العَربَ، ثمَّ اختَار العربَ فاختَار منهم قُريشاً، ثُمَّ اخْتارَ قُريشاً فَاختَارَ مِنهم بَني هَاشم

---

(1) أخرجه الطبري في آداب النفوس كما عند القرطبي في تفسيره(16/ 342) تفسير أية 13 من سورة الحجرات، وأحمد في مسنده(38/ 474)رقم23489، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (3/ 266).

(2) سقطت من نسخة «ع» .

(3) سورة البقرة، آية 121.

ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي هَاشم فَاخْتَارَنِي فَلَمْ أَزل خِياراً مِنْ خِيارٍ»[1] فهذا يدل على أنَّ العرب أفضل من حيث النسبة إلى إسماعيل، نعم من كفر منهم وعبد الأوثان لا فضيلة له، ولا يداني أدنى مؤمنٍ من بني إسرائيل، ولا من غيرهم، ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[2]

الأمر الثاني: فما في كلام مولانا المؤيد، أنَّ من دخل في دين رسول فهو من أمَّته وإن لم يكن ذلك الرسول مبعوثا إلى هذا الداخل، كمن دخل من العرب في اليهودية، أو النصرانية، كأهل اليمن، وطيء، وغسان، وأهل نجران، وغيرهم.

وكان أول دخول اليهودية اليمن زمان تُبّع الأَصْغَر[3] كما لابن إسحاق[4]؛ ولذا قال

---

(1) عزاه السيوطي في الدر المنثور(7/ 605) إلى الطبراني وليس في المطبوع منه، وأخرجه الحاكم في المستدرك رقم6996 (4/ 73) عن ابن عمر، وقال أبو حاتم:«حديث منكر». انظر العلل لابن أبي حاتم(2/ 367-368).

(2) سورة الحشر آية 20.

(3) هو تُبَّع بن حسان بن تبان: من ملوك حمير في اليمن. قيل: اسمه مرثد. وهو تبع الأصغر، آخر التابعة. ملك بعد عبد كلال. وعقد الحلف بين اليمن وربيعة. وسار إلى الشام فلقيه قوم من حمير، من بني عمرو بن عامر، فشكوا إليه ما نزل بهم من اليهود في يثرب (المدينة) وذكروا له سوء مجاورتهم لهم ونقضهم العهد الذي بينهم، فسار إلى يثرب ونزل في سفح (أحد) وبعث إلى اليهود فقتل منهم ثلاثمائة رجل، وذللها لهم. وكان ملكه 78 سنة. انظر ترجمته في: تاريخ الأمم والملوك للطبري(1/ 430)، وتاريخ ابن الوردي(1/ 57) والأعلام(2/ 83).

(4) أخرج القصة ابن إسحاق بسنده وعنه رواها الطبري أيضاً: «أن تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم إلى دينه وقال إنه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا إلى النار قال نعم قال وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم فلما قالوا ذلك لتبع قال أنصفتم فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج...وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن» السيرة النبوية(1/ 29-30)، وتاريخ الأمم والملوك(1/ 427-428).

المصطفى صلى الله عليه وسلم لمعاذ لمَّا بعثه/ إلى اليمن: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْما أهل كِتَاب»[1]. [8/أ]

قال العلامة ابن زكري: «واستنبط منه شيخ الإسلام أنَّ كل من دان بدين أهل الكتاب فهو منهم»[2] انتهى.

قلت: والظاهر أنَّ من دخل في دين موسى ممن لم يبعث إليهم كبعض العرب فلهُ البقاء عليه بعد نسخه بشرع عيسى عليه السَّلام، لأنَّ النَّسخَ إنَّما هو في حقِّ من بعث إليه عيسى، ولم يبعث إلى العرب كما بيناه في شرح حديث القراريط[3].

وأمَّا من دخل من أصناف بني آدم في دين المصطفى عليه السّلام فلا شبهة في أنَّهم من أمَّته لأنَّه مبعوثٌ إلى النَّاس جميعا، بل إلى الثَّقلين بإجماع، [وإلى الملائكة على أحد

---

(1) طرف من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، رقم19 تتمته: «فادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنِّي رَسُولُ الله فَإِن هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ»صحيح مسلم،(1/ 50)، وغيره.

(2) الفوائد المتبعة في العوائد المبتدعة لابن زكري(ص267).

(3) شرح حديث القراريط للمؤلف مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم(153ج) ضمن مجموع من (29 – 35).
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر: أنّه سمع النبي صلى الله عليه وسلم: «إنّما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أعطي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أعطي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين. قال أهل التوراة ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر أجرا؟ قال هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا لا فقال فذلك فضلي أوتيه من أشاء». كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، رقم7029(6/ 2716).

قولين حكى على كل منهما الإجماع][1]، والله تعالى أعلم وبه التوفيق والهداية إلى سواء الطريق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. انتهى.

(1) سقطت من «ح».

التقييد الرابع:

في قوله تعالى: ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1]

(1) سورة البقرة من الآية 259.



الحمد لله، ومما أفادني به بديهة سلطان العلماء وسيّد الخلفاء مولانا سليمان زاده الله عزاً ومجداً وشكراً على التوفيق لا ينقطع أبداً معنى قوله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بأنّ المُنكِرَ والجاحدَ يعلم أنّك تحيي الموتى، لا أنّي سألتك ذلك ليطمئن قلبي بل لأن تريني كيف تحيي الموتى ليعلم مكذبيَّ المنكرون للبعث ما يضطرهم إلى العلم اليقيني بصحته، وجلب العلامة فريد عصره وقدوة حفاظ أهل دهره، سيدي الطيب بن عبد المجيد ابن كيران أقوالاً في ذلك وتوجيهات ونصَّ كلامه رضي الله عنه:

اعلم أنّ العلماء اختلفوا في معنى هذه الطمأنينة على أقوال كثيرة[1]، وقفت منها على ما ينيف على العشرين قولاً، والذي سفر لفكر مولانا الإمام وأماط له عن محاسنه اللثّام منصوص عليه، وممن ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري في الكلام على فضائل الخليل عليه السلام من كتاب الأنبياء، ناقلاً له عن عكرمة

واعتمده ابن الجوزي وبنى عليه شرح حديث: «نحن أحق من إبراهيم، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾[2]»[3].

ونصّ الحافظ: وأخرج ابن أبي حاتم من طريق الحكيم بن أبان عن عكرمة قال: المراد﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، بأنّهم يعلمون أنّك تحيي الموتى، ثمّ قال: وقال ابن الجوزي: نحن أحق من إبراهيم﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾/ [144/أ]

(1) انظر، تفسير القرطبي(4/ 313)، وتفسير ابن كثير(1/ 689)، و الدر المنثور(3/ 219/ 222).

(2) سورة البقرة، آية159.

(3) أخرجه البخاري في التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ رقم 4537(2/ 146). ومسلم أيضا في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل رقم151(4/ 1838).

علىٰ رواية إسقاط لفظ بالشَّك إنّما صار عليه السلام من إبراهيم لما عانىٰ من تكذيب قوله لهم وردهم عليه وتعجبهم من أمر البعث، فقال: أنا أحق أن أسأل ما سأل إبراهيم لعظيم ما جرىٰ لي مع قومي المكذّبين بإحياء الموتىٰ ليعاينوه لمعرفتي بتفضيل الله لي ولكن لا أسأل في ذلك»[1] انتهىٰ.

فهذا هو المعنىٰ الذي سنح لسيدنا المنصور بالله المستضيء بنور توفيقه وهداه سلطان العلماء المشار إليهم بالبنان، أمير المؤمنين ذي المكارم مولانا سليمان، زاده الله سمواً وسبقاً في مضمار التحقيق والإتقان، إلا أنّه بسطه وشرحه وكشف عن محاسن وجهه وأوضحه.

وحاصله أنّ المعنىٰ: ولكن سألتك أن تريني كيف تحيي الموتىٰ ليعاين مكذبي المنكرون للبعث ما يضطرهم إلىٰ العلم اليقيني بصحته، فإن أنكرت ألسنتهم بعد اطمئنان قلبي، وعلمت أنّ قلوبهم موقنة وأنّهم مخذولون مكابرون إذ جحدوا ما استيقنته أنفسهم ظلماً وعلواً واسترحت، مما يتلجلج في صدري أنّهم لو عاينوا الإحياء لأذعنوا، وهذا معنىٰ حسن جدا ينزاح معه الإشكال ويذهب بسببه كل خيال ويتجاوب به أطراف الكلام؛ فإنّه لمّا قال: للذي حاجّه في ربّهِ، ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾[2]، فقال المخذول: أنا أحيي وأميت فأحضر رجلين فقتل أحدهما وأبقىٰ الآخر، وقال: هذا أحييته وهذا أمته[3]؛ أراد عليه السَّلام أن يريه عيانا معنىٰ الإحياء الذي احتج به عليه،

---

(1) فتح الباري(6/ 413). وقال القرطبي في تفسيره: «وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم : «نحن أحق بالشك من إبراهيم» فمعناه أنه لو كان شاكا لكنا نحن أحق به، ونحن لا نشك فإبراهيم عليه السلام أحرىٰ ألا يشك ، فالحديث مبني علىٰ نفي الشك عن إبراهيم.. » (3/ 298).

(2) سورة البقرة من الآية157.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (2/ 499-500).

وأنّه ليس بمعنىٰ إبقاء الحياة بل بمعنىٰ إحداثها بعد سلبها ليظهر المعْتَدِّينَ به المعتمدين بتمويهه وتلبيس عجزه عن معارضته فيغادره مفتضحاً لدينهم.

ثمّ نقول يَرد علىٰ هذا الوجه الوسيم سؤالان[1]:

أحدهما: أنّه لو أريد هذا المعنىٰ، لقيل رب «أرِهِ» بضمير الغائب المفرد العائد إلىٰ الذي حاجه أو «أَرِهِمْ» بضمير الجمع الغائب العائد إلىٰ الذي حاجّ وأشياعه، وأمّا الخليل عليه السلام فلا حاجة له في الإراءة، لأنَّ عيان بصره لا يزيد علىٰ عيان بصيرته، كما قيل: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، وإذ لم يؤت بضمير الغيب فلا أقل من أن يقال: رب أرنا/ [145/ب] بالضمير الشامل له ولهم.

والسؤال الثاني: أنّ هذا التفسير لا يُناسبُ قوله: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ إذ لولا سؤاله أنّ الإراءة لمزيد استبصار منه في الإيمان بإحياء الموتىٰ وتقويته، لم يقل ذلك علىٰ سبيل الإنكار أو التقرير بها بعد النفي.

والجواب عن الأول أنّه إنّما نسب الإراءة إلىٰ نفسه؛ لأنَّ ثمرتها المقصودة له بالذات ترجع إليه، لأنّه أراد اختبار حال مكذبيه بها ليتعرف أن تكذيبهم هل كان لمعارضة شبهة فيزول بزوالها أو أنّهم مخذولون لا ينصفون بالآيات ولاَ يَرْعَوُون، فالمعنىٰ: رَبِّ أَظْهِرْ لي حَالَهُمْ بهذه الإِرَاءَةِ التي تطلعني علىٰ باطن أمرهم وتنصرني عليهم ليطمئن قلبي بأنّهم تواصلوا إلىٰ استيقان الحق وعلموا بالضرورة أنّك قادر علىٰ إحياء الموتىٰ سواء أثّر هذا الاستيقان فيهم إذعانا أم لا فإنّ قلبي يطمئن من جهتهم علىٰ كل حال فلمّا كانت الإراءة المطلوبة ليست لهم بالقصد الذاتي لأنَّ الرسل لم تبعث بالدعوة إلىٰ التصديق بالمحسوسات، بل بالدعوة إلىٰ الإيمان بالغيب المعلوم بالبراهين القاطعات، نسبها إليه

---

(1) انظر البحر المحيط لأبي حيان(2/ 285).

دونهم ودون ما يشمله وإياهم، وأمّا كونهم يشاهدون الإحياء ويعاينونه فمعلوم من سياق الكلام.

والجواب عن الثاني، أنّه لما طلب باللفظ المجمل في قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾[1]، إذ يحتمل بالنَّظر إلى ذات اللَّفظ أن يكون سأل ما يستبصر به في حقّ نفسه، أو ما يطلع به على حال غيره، واعتمد في ارتكاب ذلك الإجمال على أنّ الله تعالى عالم بما قصده من وجهين الاحتمال، وكأن الله تعالى أراد أنْ يقصَّ ما جرى له من هذا السُّؤال على من بعدهم من الأُمم، قدره تعالى بالإيمان بقوله له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ ليرتب عليه جوابه المفيد أنّه على غاية من الإيمان بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ فإنّها لنقضِ النفي السَّابق، ونقضُ النفي آكد من الإثبات ابتداءً، فكأنّه قال: آمنت حقّ الإيمان بأنّك قادرٌ على إحياء الموتى، ولكن سألت ليطمئن قلبي بحالهم ويستريح من جهتهم ليتعين حالهم في أحد أمرين الإيمان أو المكابدة بعد اليقين، وبإجابته بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾/ انتفى احتمال أنّه [146/أ] سؤال استبصار في حق نفسه، إذ لا يحتاج إلى ذلك من ثَبتَ له حقّ الإيمان بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ فلم يبق لقوله: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ إلاّ أن تكون الطمائنينة إطلاعاً على ما انبهم عليه من حال غيره[2]؛ ومن حمل على الاطمئنان في إيمانه لكان منافياً لقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ لأنّ التقدير

---

(1) سورة البقرة من الآية259.

(2) قال ابن المنير في تعليقه على كلام الزمخشري: «أراد بقوله : ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ أن ينطق إبراهيم بقوله: (بلى آمنت)، ليدفع عنه ذلك الاحتمال اللفظي في العبارة الأولى: ليكون إيمانه مخلصاً نص عليه بعبارة يفهمها كل من يسمعها فهما لا يلحقه فيه شك. فإن قلت: قد تبين لي وجه الربط بين الكلام على التقدير المبين، فما موقع قول إبراهيم ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وذلك يشعر ظاهراً بأنه كان عند السؤال فاقداً للطمأنينة؟ قلت: معناه ولكن ليزول عن قلبي الفكر في كيفية الحياة، لأني إذا شاهدتها سكن قلبي عن الجولان في كيفياتها المتخيلة، وتعينت عندي بالتصوير المشاهد وجاءت الآية مطابقة لسؤاله، لأنه شاهد صورة حياة الموتى، تقديره: الذي يحيي ويميت، فهذا أحسن ما يجرى لي في تفسير هذه الآية وربك الفتاح العليم» انظر تفسير الكشاف(1/ 308).

بلىٰ آمنت؛ والإيمان بالشيء لا يكون إلاّ مع اطمئنان القلب به، أي عدم اضطرابه بتجويز النقيض بوجه ما؛ إذ الإيمان علم يقيني، والعلمُ اليقيني لا يتفاوت عند المحققين كما في جمع الجوامع للتاج السبكي[1]، وما ورد من زيادة الإيمان ونقصانه، فإنّما هو باعتبار أمور خارجة عن حقيقته عند هؤلاء المحققين وهو المختار الذي يجب التعويل عليه.

وبهذا التقدير يظهر لك وجه حذف المتعلق الذي قدرناه في قوله: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، حيث لم يقل مثلا (ليطمئن قلبي بمعرفة حال من كذبني في البعث)، وهو أنّ هذا المعنىٰ صار متعيناً بعد قوله: ﴿بَلَىٰ﴾، فلا حاجة إلىٰ الإفصاح به حينئذٍ، ولا يذهب الوهمُ إلىٰ أنّ المعنىٰ ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بمزيد الإيمان بالبعث بناءً علىٰ ما قررنا أنّه التَّحقيق، مِن أنّ الإيمان وكل علم يقيني لا يتفاوت في نفسه، أي من حيث الجزم، وإنّما التفاوت بأمور خارجية، ككثرة المتعلقات وقلتها وقلة تخلل الغفلات وكثرتها.

ووجه آخر في نسبة الإراءة إلىٰ نفسه في قوله: «أرني» أبداه مولانا المؤيد بنور التَّوفيق، الملهم نفائس التَّحقيق والتَّدقيق، هو أن يكون سأل الإراءة لهم، لكن عدل عن ضميرهم إلىٰ ضمير نفسه مبالغةً في الطلب وتقوية له، وإظهاراً للرغبة في حصول المطلوب، بإبرازه في معرض ما هو مطلوب له لنفسه لا لهم، وذلك أنّ ما يطلبه لنفسه أقرب إلىٰ الاستجابة له فيه، لكونه خليل الرَّحمان الذي عهد منه إجابة الدعوات، ويلي هذا القسم ما يظهر فيه أنّه مطلوب لنفسه مما يطلبه لغيره، وإن كان تعالىٰ يعلم ما في الصدور فيعلم أنّه لغيره، ولكن نقول ليس المراد حقيقة ما أظهره حتىٰ يرد أنّه تعالىٰ عالم بما في الصدور، وإنّما المراد/ إظهار كمال الرغبة في حُصول كمال المطلوب، وهو تعالىٰ يعلم من باطنه كمال [147/ب] الرغبة المذكورة، فأبرزها بما ارتكبه من المجاز الذي هو مطروق في الكلام وهو هنا مجاز في النسبة.

---

(1) ينظر جمع الجوامع لابن السبكي(ص111).

فتحصل أنّ مراتب المطلوب ثلاث: ما يطلبه لنفسه، وما يطلبه لغيره بمبالغة وما يطلبه لغيره بدونها، والواقع هنا هو المرتبة الوسطى عبر فيها بما هو موضوع للعليا إظهاراً للمبالغة في الطلب.

ويقرب منه سؤال عيسى عليه السلام مسعفاً لطالبي نزول المائدة بقوله: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[1] إلخ، إلاّ أنّ عيسى عليه السلام أدرج المسؤول لهم معه في الضمير بخلاف الخليل عليه السلام، فإنّه أفرد نفسه بالذكر دونهم حتى كأنّه هو المسْؤول لأجله وحده لتأكيد الطلب كما مرّ.

ووجه آخر، في نسبة الإراءة المطلوبة إليه، وهو أنّ طريق الآداب في هذا السؤال، ألاّ يسأل وقوع الإراءة لهم صريحاً، لأنّهم ليسوا أهلاً أن يقصدوا بها أصالة، بل على وجه التبع لمن جعل إماماً لهم وسفيراً في أمورهم، وواسطة بينهم وبين ربهم كما حصل على الصحيح سماع الكلام القديم للسبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات فسمعوه على سبيل التبع له، فلا يلزم من ذلك أنّ الله كلمهم وإن سمعوا كلامه، فإنّ الخطاب كان للكليم، وهم يسمعون كما يسمع الإنسان كلام من يخاطبُ غيره؛ وعلى كل فباقي الآية على ما سبق[2].

ووجه آخر، في معنى قوله: ﴿أَوَلَمْ تُومِن﴾ بأنَّ من أضللته وختمتَ على قلبه لا تنفع فيهم آية يشاهدونها، فلعل من تسأل لهم إراءة إحياء الموتى لا يذعنون بعد معاينته، ولا يؤمنون كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُومِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُومِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ

(1) سورة المائدة من الآية116.

(2) ينظر الدر المنثور(6/ 600).

أَللَّهُ﴾[1] وكما قال: ﴿إِنَّ ألذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُومِنُونَ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ اْلْعَذَابَ أْلاَلِيمَ﴾[2]وقال: ﴿وَمَا تُغْنِے اِ۬لاَيَٰتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُومِنُونَ﴾[3] فقال الخليل عليه السلام: ﴿بَلىٰ﴾ أي آمنت بأنّ مشاهدة الآيات لا تغني فيمن طبع الله تعالىٰ علىٰ قلبه/ ولكن سألتك إراءتهم ليطمئن [148/أ] قلبي أنّهم لا يعلمون أنك قادر علىٰ إحياء الموتىٰ، وأنّهم يكابدون ويعاندون لخذلانك لهم.

ووجه آخر في قوله: ﴿أَوَلَمْ تُومِن﴾ أيضاً وهو أنه لمّا نسب الإراءة المطلوبة إلىٰ نفسه، وهي مقصودة لهم علىٰ ما سبق، جرىٰ الجواب علىٰ ذلك الأسلوب من النسبة إلىٰ ضمير الخليل لما همّ المرادون به، فالمعنىٰ (أو لم يؤمنوا) علىٰ جهة الاستبطاء لإيمانهم، بعد أن جاءتهم الآيات والنذر المغنية عما تطلب لهُم من معاينة الإحياء، أو توبيخاً لهم علىٰ عدم الإيمان؛ ونظيره في أنّ المنسوب إليه لفظاً غير مقصود البتة، وإنّما المقصود غيره، قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدُ اوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى أْلذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنَ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[4] فإنّ الموحىٰ إليهم معصومون من الإشراك وحبوط الأعمال، وإنّما خوطبُوا بذلك تعريضاً بمن أشركوا أنّهم قد حبطت أعمالهم[5].

إلىٰ أنّ النكتة في العدول إلىٰ خطاب من ليس هو المنسوب إليه في الحقيقة في هذه الآية، التعريض كما ذكرنا، والنكتة فيما نحن بصدده في العدول عن ضميرهم طباق أول

---

(1) سورة الأنعام من الآية110-111.

(2) سورة يونس آية96-97.

(3) سورة يونس من الآية101.

(4) سورة الزمر من الآية62.

(5) تفسير البيضاوي(5/ 77).

الكلام إجراء له علىٰ وتيرة واحدة، ولا شك أنّ نكتة العدول عن التصريح بالمقصود إلىٰ غيره لا تنحصر في التعريض؛ ألا ترىٰ إلىٰ أنّ قوله تعالىٰ حكاية: ﴿وَمَالِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، فإنّ المراد: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم بدليل﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]، ولكن عدل عن ضميرهم أولاً إظهاراً للنصفة وإمحاض النصح[2]؛ وأنّ هذا الواعظ إنّما يريد لهم مايحب لنفسه، ويقرب منه خطاب من ليس بمقصود بالخطاب، قوله تعالىٰ لعيسىٰ والحواريين: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾[3] فأدرج عيسىٰ عليه السلام في هذا الخطاب وهو معصوم، ولكن حسن الصياغة وإحكام الربط أدىٰ إلىٰ هذا الأسلوب؛ وإذا كان القصد (أو لم تؤمنوا) علىٰ ما قررناه في هذا الوجه.

فوجه ارتباط قوله ﴿بَلَى﴾ به، هو أنّه لما كان حاصل المعنىٰ (أو لم يؤمنوا) بأني قادر علىٰ إحياء الموتىٰ بعد وضوح الأدلة علىٰ ذلك، حتىٰ احتجت أن تسألني المعاينة لهم، بادر إلىٰ إثبات إيمانه هُو/ بذلك، شبيها علىٰ أنّه مما لا يصلحُ أن يتوقف فيه عاقل، وأنهم [149/ب] علىٰ غاية من الضلال في إبطائهم عنه، وفي هذا غاية الإجلال والتعظيم بالمبادرة إلىٰ الاعتراف بما يجب علىٰ كل أحد. المبادرة إلىٰ الاعتراف به، وإظهار التبرؤ ممن يتخلفُ عن ذلك؛ ونظيره أن يبلغ إماماً عدلاً أنّ بعض السفهاء ينسبُه إلىٰ الجور والحيف، فيقول لمن حضره: ألم اعدل؟ ألست تابعاً للحق؟ فبادر الحاضرون إلىٰ تنزيهه بقولهم: بلىٰ أنت الإمام العدل الهادي إلىٰ الرشد، السادّ أبواب الجور والظلم، وهم يعلمون أنّ التوبيخ ليس لهُم، وإنّما هو في الحقيقة لمن نسبه إلىٰ ما لا يليق؛ لكن المبالغة في التعظيم ومراعاة الآداب، أوجبت لهم المبادرة إلىٰ الإعلان بما يجب الاعتراف به عليهم وعلىٰ غيرهم.

---

(1) سورة يس من آية21.

(2) مستفاد من تفسير البيضاوي(4/ 430).

(3) سورة المائدة من الآية117.

ووجه آخر، في قوله: ﴿بَلَىٰ﴾ وهو أنّه لمّا رأى أنه المخاطب لفظاً وإن علم أنَّ المراد غيره قصداً، ولا أقل من أن يتصور نفسه في صُورة الخطاب أن لو كان خطاباً عاماً أدركته هيبة صورة الخطاب، فبادر إلى الجواب وإلى الاعتذار عن سؤاله ما سأله فقال: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ على ما قررناه من أنّه أراد ليطمئن قلبي من جهتهم فأنيل المطلوب وأسعف بالمرغوب[1]، فقال تعالى له: ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ﴾[2] إلخ.

والله تعالى أعلم بأسرار كتابه وهو المسؤول أن يوفقنا إلى اقتفاء مواجب خطابه بجاه من أنزل عليه الكتاب﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾[3] صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين/. [150/أ]

---

(1) قال القرطبي: «أراد أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين؛ فقوله: ﴿أَرِنِي كَيۡفَ﴾ طلب مشاهدةِ الكيفيّة»، فهو سأل ليطمئن قلبه بحصول الفرق بين المعلوم برهانا والمعلوم عيانا. انظر، تفسير القرطبي(4/ 312).

(2) سورة البقرة من الآية259.

(3) سورة النحل من الآية89.



التقييد الخامس:

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾[1]

(1) سورة النساء، آية 156.



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من لا نبي بعده.

الحمد لله، من الفوائد الجليلة العظيمة، التي أفادها سيدنا الإمام ذو الفطرة السليمة، والفكرة القويمة، والعلوم الفخيمة، والفهوم الوسيمة، والبديهة المستقيمة، والغريمة التي للفيوض مستديمة، سلطان العلماء المظفر بالآمال والأماني القويمة، مولانا سليمان نجل/ السلاطين الحائزين من المجد صميمة. جريا على عادته في تحقيق مباحثه الحديثة [124/ب] والقديمة، ما قيده بخط يده الكريمة، على آية: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾، مما أتقنه وتولى تقويمه، بعد أن وقف على ما مَقْنَعَ فيه من كلام المفسرين فأجاد ترتيبه وتتميمه، جزاه الله مثوبة جسيمة، كما حبا علومه ومنحه دينه.

فلنورد ما قيده متبعا بشرح يروق الناظر ويزيد تفهيمه، حسبما أمرني بذلك عزيمه، فبادرت إلى امتثال أمره وآثرت تقويمه، وقد طالعت حاشية الشيخ الجمال المصري[1]، فلم أجده حوم على غرضنا أدنى تحويمة. ومن الله استمد المعونة الشميلة العميمة.

قال مولانا الإمام أعلا الله مجادته، الله أعلم بمراده تعالى ربنا: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾: أي في عيسى من بني إسرائيل، اليهود الذين كذبوا والنصارى الذين صدقوه وفرقهم في زمن محمد ﷺ، ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ﴾ أي لفي شك من أمر عيسى ولم يحقق أحد من المتخلفين[2] فيه ما هو الحق المطابق للواقع، فكيف يحاجونك بما لا يعلمون صحته؟ إلاّ فرقة واحدة وهي المعتقدة للحق الصادقة من فرق النصارى.

---

(1) هو محمد بن أبي بكر بن علي المكي الزَّبيدي جمال الدين المعروف بالجمال المصري ولد بالذروة من صعيد مصر ونشأ بها وعلت منزلته في دولة الناصر بن الأشرف مات في ليلة الجمعة 820 هـ، ودفن بمقبرة إسماعيل الجبرتي. انظر ترجمته في: ذيل الدرر الكاملة لابن حجر (ص260)؛ والضوء اللامع للسخاوي (7/ 181-182).

(2) هكذا في الأصل وفي «و»، و في «ع» «المختلفين».

وأقول: حاصله أنَّ قوله: ﴿وَإِن ٱلذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾، لا يختص بالمتخلفين[1] الموجودين حين واقعة الرفع والقتل والصلب، كما توهمه عبارة الكشاف[2] وغيره، بل هو شامل للمتخلفين[3] فيه في كل وقت وخصوصا المعاصرين لنبينا ﷺ ممن كان يخالفه فيه، ويحاجه بالباطل كنصارىٰ نجران.

فيدخل في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن ٱلذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ فرق أهل الكتابين من اليهود والنَّصارىٰ علىٰ تباين كلماتهم، وأحق من/ [125/أ] يدخل فيه أهل زمن المصطفىٰ ﷺ المارون له بالباطل، والدليل علىٰ ذلك من أربعة أوجهٍ:

أحدها: موافقة قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلذِے فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ فإنَّه لم يقل: الذي فيه امتروا بصيغة الماضي، بل قال: ﴿يَمۡتَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ بصيغة المضارع، أي يشكون علىٰ أنَّهُ من المرية، أو يتمارَوْن ويتنازعون، علىٰ أنَّه من المراء وقد جاوزهُما البيضاوي[4]، وابن جُزي[5] وغيرهما.

والمضارع موضوع لأحد الزمنين الحال و الاستقبال لكن الاستقبال هنا منتف قطعاً، لأنَّ المعنىٰ ليس علىٰ أنَّ الشّك أو الجدال سيحدث[6] بينهم في المستقبل، فتعين أن يكون واقعاً في الحال، وهو حال النزول، والذي بمنزلة حال التكلم المعتبر في ذلك[7]

---

(1) هكذا في الأصل وفي «و»، و في «ع» «المختلفين».

(2) تفسير الكشاف (1/ 175).

(3) هكذا في الأصل وفي «و»، و في «ع» «المختلفين».

(4) تفسير البيضاوي(4/ 15).

(5) التسهيل لعلوم التنزيل (2/ 7).

(6) كلمة «سيحدث» سقطت من «و».

(7) في «و»«ذلك في».

لسان العرب، فإنَّ القرآن وارد علىٰ نعتهم ناسج علىٰ منوالهم، بل لو تجرد عن القرينة لترجح فيه الحال أيضاً.

ففي التسهيل: «ويترجح الحال عند التجرد»(1)، ومن تم قيل: إنَّه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال، وإذا كان شكهم أو جدالهم واقعاً في حال النزول، كان قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ أحق ما يصدق عليه المختلفون في الحال، ولا يقال: يمكن أن يكون المضارع في قوله: ﴿يَمْتَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ لحكاية حال ماضية كما في قوله:

فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهَشٍ فَخَرَّتْ ... صَرِيعاً لليدين و للجِرَانِ(2)

لأنَّ نقول: هو حينئذ مجاز والأصل الحقيقة، نعم يمكن حمل ﴿يَمْتَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ علىٰ الاستمرار، التجردي وهو حينئذ أنسب بالعموم الذي حملنا عليه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ واقعه في الاستشهاد له.

ثانيها: أنَّ المتعلق المقدر في قوله: ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ وهو الخبر في الأصل اسم فاعل، إذ التقدير لكائنون في شك منهُ، واسم الفاعل حقيقة في الحال ويُستعمل أيضاً للثبوت والدوام/ الصادق بالحال كما بينا؛ فيكون شكهم واقعا في حال النزول لا محالة، [125/ب]

---

(1) «لما كان للماضي في الوضع صيغة تخصه كفعَل، وللمستقبل صيغة تخصه كافعَلْ ولم يكن للحال صيغة تخصه، بل اشترك مع المستقبل في المضارع، جعلت دلالته علىٰ الحال راجحة عند تجريده من القرائن، ليكون جابراً لما فاته من الاختصاص بصيغة، وإذا كان التجرد من قرائن الحال وقرائن الاستقبال مرجحاً للحال، فوجدان قرينة من قرائنه تؤكد الترجيح، فيصير الحال متعيناً». انظر: شرح التسهيل لابن مالك (1/ 21).

(2) البيت من قول: (تأبط شرا)، وهو في ديوانه (ص225)؛ وأورده أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني الأغاني (10/ 140).

وهو وقت اختلافهم أيضاً، ولو بطريق النقل[1] ممن قبلهم، إذ ليس المعنىٰ علىٰ أنَّهم كانوا كانوا قاطعين ثم شكوا في الحال حتىٰ يكون المعنىٰ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ فيما مضىٰ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ الآن؛ بل المعنىٰ علىٰ أنَّ اختلافهم نشأ من جهلهم وعدم تحققهم بأمره، ولا يجوز أن يقدّر المتعلق هنا ماضيا كما جاز ذلك في نحو، «زيدٌ في الدَّار»، أي استقر فيها، وقد أشار إليه في الخلاصة في قوله:

وأَخْبَرُوا بِظَرْفٍ أَوْ بِحَرْفِ جَرْ نَاوِيْنَ مَعْنَىٰ كَائِنٍ أَوِ اسْتَقَرْ[2]

لأنَّ لام الابتداء هنا مانعة من ذلك، إذ لا تدخل علىٰ ماض متصرف[عار][3] كما أشار إليه في الخلاصة في قوله:

وَلاَ يَلِي ذِي الَّلامَ مَا قَدْ نُفِيَا وَلاَ مِنَ الأَفْعَالِ مَا كَرَضِيَا[4]

وأمَّا تقديره مضارعا (أو لَيَكُونَنَّ في شَكٍّ مِّنْهُ) ففيه قَلَقٌ في المعنىٰ مع أنَّ اللاَّم تخصصه بالحال كما في التسهيل[5]، وحاليته هي مطلوبنا ليكون صادقا علىٰ من في الشَّك وقت النزول.

ثالثها: أنَّ قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ﴾ صيغة عموم وضعاً علىٰ الصحيح عند الجمهور، وأنَّ الموصولات موضوعة للعموم واستعمالها في الخصوص مجاز، لكن خصّ العموم هنا بغير الفرقة المحقة، لأنَّ الخبر وهو قوله: ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ مانع من دخولها

---

(1) في «و» و«ع»: «التلقي».

(2) ألفية ابن مالك (ص7).

(3) استدركتها من «و».

(4) ألفية ابن مالك(ص10).

(5) وأما لام الابتداء فمخلصةٌ للحال عند أكثرهم، بل جائز أن يراد الاستقبال بالمقرون بها. انظر: شرح التسهيل لابن مالك (1/ 22).

إذ لاشك عندها، فيكون ﴿ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ﴾ من العامّ المخصوص بقرينة، أو الذي أريد به الخصُوص، والفرق بينهما مستوفىٰ في فنّ الأصول فلا نطيل به[1].

وعلىٰ كل يبقىٰ شاملاً لما عدا ما قامت القرينة علىٰ خروجه، ويكون حجة في الباقي عند الأكثرين كما تقرر في الأصول.

وإذا عم ﴿ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ كل فرقة من المختلفين المبطلين، لزم من ذلك عموم الأزمنة، والأحوال والأمكنة، كما تقرر في الأصول/ أيضا[2]، فيكون شاملا [126/أ] لزمان المصطفىٰ ﷺ وما قبله وما بعده، والفعل الواقع صلة قد لا يقصد به زمان معين نحو: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[3] فإنَّه لا يختص بالمؤمنين في الماضي.

رابعها: أنَّ نصوص القرآن طافحة بالردِّ في شأن عيسىٰ عليه السَّلام علىٰ فرق أهل الكتاب المعاصرين للمصطفىٰ ومناظرتهم ودعوتهم للحقِّ وخطابهم بالتَّوبيخ والتَّجهيل والتَّضليل، ونهيهم عن تقليد أوائلهم الضَّالين المضلِّين كقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[4] إلىٰ قوله: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾[5]، وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى

---

(1) قال أبو الوليد الباجي: «ذهب كثير من أصحابنا، وأصحاب الشافعي وأبي حنيفة، إلىٰ أنّ اللّفظ العام إذا خصّ بدليل عقلي أو شرعي أو استثناء متصل به أو منفصل عنه فإنه يصير مجازا، وبه قالت المعتزلة وعيسىٰ بن أبان». انظر إحكام الفصول(1/ 399).

(2) ينظر جمع الجوامع لابن السبكي(ص44).

(3) سورة البقرة آية 256.

(4) سورة النساء آية 170.

(5) سورة النساء آية 171.

وَرَبَّكُمْ﴾[1]، إلى قوله: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[2].

وقوله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾[3].

فلا وجه حينئذ لقصر آية: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ على الأوائل منهم، مع أنَّ المعاصرين للمصطفى أحق بالدخول فيه[وبالتوبة بما فيه][4]من المبالغات الآتي بيانها، فإنهم الذين بين لهم الرسول الحق ويرجى تأثرهم[5] به ورجوعهم ورجوعهم إليه، والله أعلم.

ثمّ على ما قررنا يجب أن يكون قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ شاملاً لليهود والنَّصارى، وبذلك صرح الكلبي في تفسير هذه الآية[6]، كما نقله الثعلبي[7]، ولذا قال البيضاوي: «ولمَّا وقعت تلك الواقعة اختلف النّاس»[8] إلخ، فجعل ﴿الَّذِينَ﴾ العائد إليهم ضمير اختلفُوا واقعا على النَّاس ليشمل فرق اليّهود/ والنّصارى، مع أنَّ هذا [126/ب]

---

(1) سورة المائدة آية 74.

(2) سورة المائدة آية 79.

(3) سورة آل عمران آية 60.

(4) استدركتها من «و».

(5) في «و» «توبتهم».

(6) انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي(3/ 410).

(7) هو الإمام الحافظ العلامة، شيخ التفسير، أبو إسحاق، أحمد بن محمد ابن إبراهيم النيسابوري، له اشتغال اشتغال بالتاريخ، له: «تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، قال السمعاني: يقال له: الثعلبي والثعالبي، وهو لقب له لا نسب(ت427هـ). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء(17/ 435/ 437)، وشذرات الذهب(3/ 231)، والأعلام(1/ 212).

(8) تفسير البيضاوي(2/ 277).

الاختلاف والله أعلم هو المذكور في سورة مريم في قوله: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾[1] وقد قال الْكَلْبِيُّ [2]: «[هم][3]اليهود والنَّصارى»[4].

وفي الدرّ المنثور عن ابن مجاهد، ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾[5]قال: «هم أهل الكتاب»[6].

وقال ابن جزي: «الأحزاب: اليهود والنَّصارىٰ لأنّهم اختلفوا في أمر عيسىٰ اختلافا شديداً فكذبه اليهود وعبده النصارىٰ والحق خلاف أقوالهم [كلها] [7]»، وقال في قوله: «﴿ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ الضمير لليهود والنَّصارىٰ»[8].

وقال البيضاوي:« ﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ اليهود والنَّصارىٰ، أو فرق النَّصارىٰ»[9]انتهىٰ.

---

(1) سورة مريم من الآية36.

(2) وهو العلامة الإخباري ، أبو النضر مُحَمَّدُ بْنُ السَّائِبِ بن بشر الْكَلْبِيُّ المفسّر، وكان أيضا رأسا في الأنساب إلا أنه شيعي متروك الحديث. يروي عنه ولده هشام وطائفة(ت146هـ). انظر ترجمته في: المجروحين لابن حبان(2/ 253)؛ ووفيات الأعيان(4/ 309)، سير أعلام النبلاء(6/ 249).

(3) استدركتها من «و».

(4) تفسير الطبري(20/ 638).

(5) سورة مريم من الآية 36.

(6) الدر المنثور(10/ 72).

(7) استدركتها من «و».

(8) قال ابن جزي: «﴿يَمۡتَرُونَ﴾أي يختلفون فهو من المراء، أو يشكون فهو من المرية، والضمير لليهود والنصارىٰ» انظر التسهيل لعلوم التنزيل(1/ 7).

(9) قال البيضاوي: ﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾اليهود والنصارىٰ أو فرق النصارىٰ، نَسْطُورية قالوا: إنه ابن الله ويَعْقُوبية قالوا: هو الله هبط إلىٰ الأرض ثم صعد إلىٰ السماء ومَلْكَانية قالوا: هو عبد الله ونبيه». انظر في ذلك تفسير البيضاوي(4/ 16).

وعبارة النيسابوري في قوله: ﴿وَإِن ٱلذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ قيل: «إنَّ المختلفين[1] هم اليهود، وقيل: النَّصارىٰ»[2] انتهىٰ.

والتخصيص بأحد الطائفتين مبني علىٰ أنَّ الموصول موضوع للخصوص، وأنَّ استعماله في العموم مجاز وهو مقابل للصحيح الذي عليه الجمهور، من أنَّه موضوع للعموم؛ وقد أشار إلىٰ الخلاف في ذلك ابن السبكي في جمع الجوامع[3]، ثم إن جزم من جزم من الفرق المبطلة لا ينافي الحكم عليه بالشَّكّ وإتباع الظَّنّ، لأنَّ المراد بهما ما يقابل العلم اليقيني؛ كما للبيضاوي إذ قال: «والشَّكُّ كما يطلق علىٰ ما لا يترجح أحد طرفيه، يطلق علىٰ مطلق التردد، وهو[4] ما قابل العلم ولذلك أكد بقوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾[5]» [6]انتهىٰ.

أي فمقابلته هنا بالعلم دليل علىٰ أنَّ المراد به خلاف العلم فيصدق بالظَّن وبالجزم الذي لا يطابق بل وبالمطابق، إذا قبل التشكيك وهو التقليد لأنّ العلم اعتقاد جازم مطابق ثابت، أي مستند إلىٰ دليل قطعي فيخرج عن الاعتقاد، الشّك والوهم، إذ لا اعتقاد فيهما، أمَّا الشّك فلاستواء طرفيه وأمَّا/ الوهم فملاحظة الطرف المرجوح، وإذا لم [127/أ] يكن في الشَّك اعتقاد فأحرىٰ الوهم وأيضاً في الطرف الراجح اعتقاد فلا يكون في المرجوح اعتقاد أيضاً لئلا يلزم اعتقاد النقيض، وخرج بقيد الجازم الظَّن، وهو الاعتقاد الراجح، وبالمطابق الجهل المركب، وبالثابت التقليد المجرد، وما ذكره البيضاوي، من أنّ

(1) في «و» «المختلفون».

(2) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان(2/ 527).

(3) انظر في ذلك جمع الجوامع(ص47).

(4) في «و» «وعلىٰ».

(5) سورة النساء من الآية 36.

(6) انظر في ذلك تفسير البيضاوي(2/ 277-278).

المراد بالشَّكّ، المقابل لليقين أولىٰ[1]، فما في الكشاف إذ قال: «فإن قلت: قد وصفوا بالشَّكّ وهو أن لا يترجح أحد الجانبين، ثم وصفوا بالظّن وهو أن يترجح أحدهما، فكيف يكونون شاكّين ظانّين؟ قلت: أريد أنَّهم شاكّون ما لهم من علم قطّ و لكن لاحت لهم أمارة فظنوا بذلك»[2] انتهىٰ.

وذلك أنَّ حال المبطلين لا ينحصر في الشَّك، أو الظَّن حتىٰ يتم ذلك الجواب بل قد يكون جزءا عن جهل مركب، أو عن تقليد يقبل التشكيك.

فالحاصل علىٰ ما للبيضاوي أنَّه أثبت لهم في قوله: ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ خلاف العلم اليقيني[3]، فيصرف بالشّك والظّن والجزم لشبهة فاسدة، وهو الجهل المركب، والتقليد المحض؛ وأما الوهم جمعه رجحان مقابله، فلا يكون صاحبه [قائلاً][4] به مع رجحان نقيضه عنده، ويحتاج علىٰ هذا إلىٰ التوسع في الظّن بإطلاقه أيضاً علىٰ ما يقابل اليقين وهو إطلاق شائع، ويؤول معنىٰ الآية إلىٰ قولنا: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ في شأن عيسىٰ لفي غير علم منه، يعني غير الطائفة المحقّة ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ لكن إتباع ما ليس بعلم فقد بولغ في نفي العلم عنهم مطابقة والتزاما، ليفيد أنَّ العلم اليقيني فيه هو ما أنبأ اللهُ به رسُولهُ، وقد قابل بين العلم وبين ما عندهم، ليفيد أنَّه ليس بعلم وسماه

---

(1) انظر في ذلك تفسير البيضاوي(2/ 277-278).

(2) قال أحمد بن المنير في تعليقه علىٰ الكشاف: «وليس في هذا الجواب شفاء للغليل. والظاهر واللهُ أعلم أنهم كانوا أغلب أحوالهم الشك في أمره والتردد فجاءت العبارة الأولىٰ علىٰ ما يغلب من حالهم ثم كانوا لا يخلون من ظن في بعض الأحوال وعنده يقفون لا يرفعون إلىٰ العلم فيه البتة وكيف يعلم الشيء علىٰ خلاف ما هو به فجاءت العبارة الثانية علىٰ حالهم النادرة في الظن نافية عنهم ما يترقىٰ عن الظن البتة، واللهُ أعلم». انظر حاشية تفسير الكشاف(1/ 587).

(3) تفسير البيضاوي(2/ 278).

(4) استدركتها من «و».

[127/ب] كذبا في قوله: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ إلى قوله/ :﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1] وذلك جار على ما ذكره أئمة أصول الدين [وأصول الفقه][2] من[أنّ][3] العلم لا يعارضه ما دونه من المراتب، بل يطرح ما دونه في مقابلة ويكون ما دونه كذبا، لأنَّ العِلمَ الْيَقِينِيّ لا يجامع الكذب ولا يصح تخلف متعلقه عنه؛ والوهم والشَّك والظّن والجهل المركب والتقليد يصح كذبها وتخلف متعلقها عنها، بل يجب ذلك في الجهل المركب، فأشير في آية النساء أيضاً[4] بنفي العلم عنهم وإثبات ما هو الحقّ من رفعه إليه سالما، ونفى دعواهم قتله وصلبه إلى بطلان ما يحاجه به فيه أهل الكتابين.

فلذلك قال مولانا [الإمام][5]: فكيف يحاجونك بما لم يعلمون صحتَهُ؛ وهو ملائم كما سبق من أنَّ الكلام متوجه إلى المتخلفين[6] فيه، المبطلين مطلقا، فهو منسحب على مَنْ مَنْ في زَمن المصطفى مِنهُم.

نعم كانت فرقة منهم عالمة بالحق فيه فلم تقصد في الآية بالحكم بالشَّك، فكان في بقائها على اعتقاد الحقّ وموافقتها القرآن حجة على المخالفين، كالنجاشي ومن وافقه في زمن المصطفى، فإنَّه لَّما هاجر من هاجر من المسلمين إلى أرض الحبشة، وبعثت قريش في ردهم عَمرو بن العاص ومعه عَبد الله بْن أَبي رَبيعة أو عُمارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ، قال عَمْرو

---

(1) سورة آل عمران آية 59-60.

(2) استدركتها من«و».

(3) استدركتها من «و».

(4) سورة النساء آية 156.

(5) استدركتها من«ع» و «و».

(6) في «و» و«ع»: «المختلفين».

للنجاشي: «إنّهم يُخالفونك في ابن مريم وأمّه فَقال النّجاشي: لجعفر بن أبي طالب ما تَقولون فِيهما؟ قال: نَقول كَما قَال الله ورَسولُه، هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، فَأخذَ النّجَاشي عُودًا مِن الأَرض وقَال: مَا عَدَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ فقال: وَإِنْ تنَاخَرْتُمْ وَاللهَّ»[1]؛ فهذا يُبيّن أنَّ اختلافهم كان قائماً في زمن المصطفىٰ، ويخصص عموم قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ﴾/ بغير الطّائفة المحقّة منهم كما استثناها مولانا الإمام، ولم تقلد هذه [128/أ] الطائفة فيما قالت، بل سمع ذلك أولها من عيسىٰ عليه السّلام وعاينوا رفعه.

قال البيضاوي:«وقال من سمع منه أنَّ الله يرفعني إلىٰ السماء رفع إلىٰ السماء»[2]؛ وعند القرطبي والثّعلبي، «أنّها قالت: رفعه الله إلىٰ السماء ونحن ننظر[إليه][3]»[4].

ولذا قال مولانا الإمام، عقب ما تقدم: وهذه لم يختلف قولها مع قول محمد، وقول القرآن، فلم تقصد بالذكر، وليست في شك، والحق ما أنزل إليك وهو ما تعتقده الفرقة الناجية التي بقيت علىٰ الحق ومن تبعها عليه حتىٰ أتىٰ محمد بالحق والنُّور، أنّهم ما قتلوه يقينا، -أي من ظن ذلك- بل رفعه الله إليه.

وأقول: قال في الدرّ المنثور: «أخرج عَبد بن حُميد والنسائي، وَابن أبي حَاتم ، وَابن مَرْدَوْيه عن ابن عباس قال : لَمَّا أَرَادَ اللهُّ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ، خَرَجَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ وَفِي البَيْتِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً من الحواريين، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً، فقال: إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ سَيَكْفُرُ بِي

---

(1) انظر في ذلك، الروض الأنف في شرح غريب السير لإمام السهيلي(2/ 90-91).

(2) تفسير البيضاوي(2/ 277).

(3) استدركتها من «و».

(4) تفسير القرطبي(6/ 9)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن(3/ 410).

اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِي؛ ثم قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَىٰ عَلَيه شَبَهِي فَيُقْتَلَ مَكَانِي، وَيَكُونَ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟ قَالَ: فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ؛ ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ الشَّابُّ، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشّاب فَقال: أنا، فَقَال: أَنْت ذاك فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَىٰ، وَرُفِعَ عِيسَىٰ مِنْ رَوْزَنَةٍ فِي الْبَيْتِ -أي كُوَّةٌ -إِلَىٰ السَّمَاءِ، قال: وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ فَأَخَذُوا المشبه فَقتلُوه ثُمّ صَلَبُوه فكَفر به بَعْضُهم اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بعد أن آمن به وَافْتَرَقُوا ثَلاثَ فِرَقٍ فَقالتْ طائفةٌ : كَانَ اللهُ فِينا ما شاء ثُمّ صَعد إلىٰ السَّماء فهؤلاء الْيَعْقُوبِيَّةُ[1]، وقالتْ فِرقةٌ: كَان ابنُ الله فينا ما شاء ثُمَّ رَفعهُ الله إليه وهَؤُلاءِ النَّسْطُورِيَّةُ[2]، وقَالتْ: كان فينا عبد الله ورَسُوله وهَؤلَاء المسلمُون، فَتظاهرت الكافرتَان علىٰ المسلمَة فَقتلُوهَا فَلم يَزل الإسلام طامساً حتَّىٰ بَعث الله محمَّداً ﷺ فَأنزل الله: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَة مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[3] يَعْني الطَّائفَة الَّتِي آمنتْ في زمن دين عيسىٰ وكفرت طائفة، أي الّتِي كفرت في زمان دين عيسىٰ، ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[4] بإظهار محمد دينهم علىٰ دين عدوهم الكافرين» انتهىٰ[5].

---

(1) اليعقوبية: وهم أصحاب يعقوب البردغادي وكان راهباً بالقسطنطينية، قالوا بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو. انظر، البداية والنهاية لابن كثير(2/ 109)، الملل والنحل للشهرستاني(1/ 224).

(2) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة. انظر البداية والنهاية لابن كثير(2/ 181)، الملل والنحل للشهرستاني(1/ 223).

(3) سورة الصف من الآية14.

(4) سورة الصف من الآية14.

(5) أورده السيوطي في الدر المنثور(5/ 98-99). وأخرجه النسائي في سننه رقم11527(10/ 299)، وابن أبي حاتم في تفسيره(4/ 1110).

وهو صريحٌ في بقاء طائفة على الحقّ حتى أيدها المصطفى، والقرآن كما ذكره مولانا الإمام؛ ثمَّ قال أبقاه الله: وذلك أي ما أشير إليه [في الآية][1] من اختلافهم وشكهم- أي بيانه- إنَّ فرق النَّصارى اختلفت فيه في نفسها ومع اليهود، فقالت اليهود: هو كاذب وقد قتلناه وصلبناه، ولكن شككهم [في ذلك][2] أنَّهم لم يجدوا صاحبهم المنافق الذي ألقى شبهه عليه أو المسلم الذي فقدوه من العدد على القول، بأنَّ شبهه ألقى على مسلم من أصحابه لأنَّهم علموا بالعدد الذي في البيت الذي كان فيه عيسى، فلذلك قالوا: إنَّ قتلنا المسيح عيسى، فأين صاحبنا وإن قتلنا صاحبنا، فأين عيسى أو البدن بدن صاحبنا والوجه وجه عيسى، فلذلك كانوا في شك من فعلهم.

وأقول: هذا كله مَسطورٌ في التفاسير منقولٌ في الآثار كما سننقل بعض ذلك، ومقتضاه أنَّ الشّك في حقّ اليّهود على حقيقته، وإن لم يكن في حقّ النّصارى كذلك [فإن اليهود][3] وإن جزموا ابتداءً أنَّ المقتول والمصلوب عيسى/ رابهم فَقدُ واحد، أو كون [129/أ] جسد المقتول جسد صاحبهم لا جسد عيسى فإن تابوا فيكون جزمهم في قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾[4] جزماً في اللفظ فقط من غير أن تساعدهم بواطنهم في أنّه هو، فيكون كلامهم كذبا من جهتين؛ من جهة عدم مطابقة مضمونه للواقع، ومن جهة تضمنه الأخبار، بأنّهم جازمون في أنفسهم أنّهم قتلوه ومعتقدون لذلك فإنَّ كل مخبر يُخبر، فهو مخبر بمضمونه، وبأنّه عالم بمضمونه بالنظر إلى مقتضى خبره لأنَّ الإخبار بالشيء فرع معرفته بحسب الظاهر متضمن لدعوى المتكلم العلم به فقد يقصد به الأمران؛ إفادة مضمونه وكون المتكلم عالما به نحو: ﴿وَإِذَا

---

(1) استدركتها من «و».

(2) استدركتها من «و».

(3) استدركتها من «و».

(4) سورة النساء من الآية156.

خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[1] فهو إخبار بقولهم ذلك وقت خلوهم، وأنَّ الله عالم به؛ وقد يقصد الثاني فقط، وهو كون المتكلم عالما نحو، ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[2] فإنَّه ليس إخباراً لهم بأنّهم ظنّوا ذلك لأنّهم عالمون بظنّهم، بل هو إخبار لهم، بأنَّ الله عالم بظنّهم مطلع علىٰ بواطنهم كقولك: لمن حفظ القرآن، حفظت القرآن! فإنّك إنّما قصدت إخباره بأنّك عالم بحفظه القرآن، لا إخباره بأنّه حفظه، لأنّه عالم بذلك من نفسه؛ ولذا قال في التلخيص: «لاشكّ أنَّ قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إمَّا الحكم أو كونه عالما به. ويسمىٰ الأول فائدة الخبر، والثاني لازمها؛ ومعنىٰ اللزوم أنّه كلما أفاد الحكم أفاد أنّه عالم به، أو كلما استفاد المخاطب الحكم من الخبر استفاد منه أنَّ المتكلم عالم به، أو كلما أفاد المتكلم الحكم/ أو استفاده المخاطب من الخبر كان المخبر عالما به، أي معتقداً له بحسب[مقتضىٰ][3] خبره كما حققهُ السيد لا متصوراً له فقط خلافا لصاحب المطول[4] فإذا كان شاكّاً فقد كذب في الإخبار باللّازم أعني كونه عالما بالحكم، ثمّ إذا كان الحكم غير مطابق للواقع كما هنا فقد كذب أيضاً في الملزوم الذي هو فائدة الخبر بناء علىٰ المشهور، إن صدق الخبر مطابقته للواقع وكذبه عدمها؛ وأمَّا علىٰ قول النّظّام: «إنَّ الصدق مطابقة الخبر للاعتقاد، فالشاك كاذبا إذا جزم لفظا، ولو تبين مطابقة خبره للواقع، لأنّه لم يطابق الاعتقاد؛ إذ لا اعتقاد حتىٰ يطابقه كما في المطول»[5].

---

(1) سورة البقرة من الآية13.

(2) سورة الفتح من الآية12.

(3) استدركتها من «و».

(4) انظر كتاب مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني(ص27-28).

(5) أورده في تيسير التحرير محمد أمين المعروف بأمير بادشاه (3/ 29)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري(2/ 526).

وقد كذَّب الله تعالىٰ هؤلاء في الأمرين معا، فكذبهم في فائدة الخبر وهي قولهم، إنَّهم قتلوه، في نفس الأمر بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ أي في الواقع، ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ﴾[1] وهذا التكذيب لهم ولمن اعتقد من النّصارىٰ ما زعموا كما في ابن جزي[2] وكذبهم في لازمها وهي كونهم معتقدين لذلك جازمين به بقولهم ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ﴾ وبالغ في تكذيبهم في هذا الثاني لمبالغتهم في ذلك في تحقيق ذلك لأنفسهم بما يفيد كمال اعتقادهم له إذ أكَّدُوا بـ«أن» وبـ«البَدلْ» وبـ«الصفتين» في قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾[3] أي بزعمهم وزعم من زعم رسالته، أو قالوه تهكما نظيره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾[4]، ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾[5] فإنَّ ذلك الإبدال والتوصيف إنَّما ينساق لنفي الشبه وتحقيق أنَّه المقتول نفسه بلا ريب يلحق في ذلك و لا تردد، فقد أُكدُّوا بأربعة أمور مقويات بأكثر بـ«أن» أثبت لهم الشّك وأكّد ثبوته بـ«أن» و بـ«اللّام»/ [130/أ] وجعل محيطا بهم وهم مطروفون فيه، حيث قيل: ﴿لَفِي شَكّٖ﴾ ولم يقل: لشاكون[6]، وبالجملة الاسمية وصرح بنفي العلم عنهم، وجيء فيه أيضاً بالجملة الاسمية الدالة علىٰ الدوام والثبوت، و بـ«من» الدالة علىٰ التّنصيص علىٰ الاستغراق لينفي عنهم كل فرد من العلم المتعلق به نصاً، وأثبت لهم إتباع الظّنّ وكرر نفي قتله عنهم، وأكّد باليقين علىٰ معنىٰ أنَّ

---

(1) سورة النساء من الآية156.

(2) التسهيل لعلوم التنزيل(1/ 163).

(3) سورة النساء من الآية156.

(4) سورة الحجر، آية6.

(5) سورة الشعراء، آية26.

(6) في «و»، «للشاكون».

انتفاء قتله عنهم هو المتيقن لا قتله كما أوهموه بناء على «إن» يقيناً قيد للنفي أي انتفى يقينا مثلهم إياه.

وقيل: ضمير ﴿قَتَلُوه﴾ للظّنّ أو للعلم؛ يقال: قتلت الشيء علما ونحرته علما إذا تبالغ في علمك[1] [فيه][2].

قال الشاعر:

كَذَاكَ يُخْبِرُ عنها العَالمونَ بِها ... وقد قَتَلْتُ بِعلمي ذلكم يَقَنا[3]

وقد نقل في الدرّ المنثور عن ابن عباس ومجاهد: أنَّ المعنى «﴿مَا قَتَلُوه﴾ ظنهم يقينا»[4]. وهذا هو الذي تشير [إليه][5] عبارة مولانا الإمام السّابقة.

فإن قلت: اليهود مختلفون فيه، وكل فرقة جزمت بما قالت على ما عند الجلال من أنَّ بعضهم قال الوجه، وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به، وقال آخرون: هو هو[6].

قلنا: كلا الفريقين متردد في الجملة لأنَّ ما استندوا إليه لا يوجب قطعاً بل ولا ظنّاً، وإنَّما هو تعارض أمارتين، وهو يوجب الشّكّ المتساوي، وإن ترجح أحد الطرفين لعارض أمكن أن يتبدل الرجحان على أنَّ بعضهم صرح بالتردد.

---

(1) قال الزمخشري عقب هذا القول: «وفيه تهكم، لأنه إذا نفى عنهم العلم نفياً كليا بحرف الاستغراق. ثم قيل: وما علموه علم يقين وإحاطة لم يكن إلا تهكما بهم» انظر تفسير الكشاف(1/ 588).

(2) استدركتها من «و».

(3) هذا البيت أورده تاج القراء برهان الدين الكرماني في تفسيره غرائب التفسير وعجائب التأويل (1/ 311) ولم ينسبه إلى أحد، وذكره بنحوه البيضاوي في تفسيره (2/ 108).

(4) أورده السيوطي في الدر المنثور(5/ 100-101).

(5) استدركتها من «و».

(6) ينظر تفسير الجلالين(ص103).

ففي البيضاوي: «ولمّا وقعت تلك الواقعة اختلف النّاس، فقال بعض اليهود: كان كاذبا فقتلناه، وتردد آخرون، وقال بعضهم: إن كان هذا عيسىٰ فأين صاحبنا، وقال[بعضهم][1]: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا»[2]انتهىٰ.

و يؤخذ/ من مجموع كلام البيضاوي والجلال، أنّ اليهود اختلفت علىٰ أربع فرق: [130/ب] فرقة قالت: المقتول والمصلوب هو عيسىٰ، وفرقة قالت: ليس [به][3] وفرقة ترددت مستندة لفقد واحد من عيسىٰ وصاحبهم، وفرقة ترددت لكون الوجه وجه عيسىٰ والجسد جسد صاحبهم.

والأوليان لا تخلوان من الشّك الذي صرحت به الأخريان، وإنّ القائلين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى﴾ إلخ، فرقة منهم وهي الأولىٰ لا جميعهم.

فيكون قوله وقولهم﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى﴾حكماً علىٰ الجملة، لا علىٰ كل فرد أو صنف، كقولك: بنو فلان قتلوا فلان، وإنّما قتله بعضهم.

وقال أبو حيان في البحر:«وقيل ادخلوا عليه واحداً ليقتله فألقىٰ الله الشبه عليه فصلب ونقص من العدد واحداً وكانوا علموا عدد الحواريين فقالوا: إن كان المقتول والمصلوب صاحبنا [فأين عيسىٰ، وإن كان عيسىٰ فأين صاحبنا][4]»[5]انتهىٰ.

وهذا أيضاً يفيد الشّك الحقيقي كما تقدم.

---

(1) استدركتها من «و».

(2) تفسير البيضاوي(2/ 277).

(3) استدركتها من «و» و«ع».

(4) استدركتها من «و».

(5) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(3/ 376).

وقد ذكر النيسابوري وغيره اختلافاً كثيراً في المشبه من هو، وقيل: إنّه ليس هناك مشبه،[وإنما معنى قولهم (شبه لهم)، ليس على عوامهم كما يأتي][1] وسبق عن ابن عباس أنّه الحواري الشاب، زاد ابن كثير عنه، واسمه جرجس وفتحت رَوْزَنَة من سقف البيت فصعد جبريل بعيسى بعد ما أُلقيَتْ عليه سنة نوم، وبقي أصحابه فدخلوا عليهم فصورهم الله كلهم بصورة عيسى فقال: لهم سحرتمونا لتُبرزن إلينا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً، فقال جرحس: أنا فأخذوه فصلبوه[2].

وقال النيسابوري: «قال أكثر المتكلمين: إنّ اليهود لمّا قصدوا قتله رفعه الله تعالى إلى سماء فخاف رؤساء اليهود وقوع الفتنة فيما بين عوامهم، فأخذوا إنسانا فقتلوه وصلبوه ولبسوا على النّاس أنه/ هو المسيح والنّاس ما كانوا يعرفون المسيح إلاّ بالاسم لأنّه كان قليل المخالطة مع النّاس»[3].

وفي الثعلبي والنيسابوري وغيرهما، قال ابن عباس: «اسْتَقْبَلَ رَهْطاً مِنَ الْيَهُودِ فقالوا: جاء السَّاحِرُ بْنُ السَّاحِرَةِ ؛ وَالْفَاعِلُ بْنُ الْفَاعِلَةِ فقذفوه وأمّه، فدعَا عَليهم، اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِي وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقتني ولم آتهم من تلقاء نفسي، فَالْعن مَنْ سَبّني وسَبَّ أُمّي فَمسخَ أُولَئك الرّهط قِردة وخَنازير، فخَاف يهوذا رأس اليهود من دعوته فأجمعوا قتله فقال لهم يا معشر اليهود: إنّ الله يبغضكم فغضبوا وثاروا ليقتلوه فبعث الله جبريل فأدخله خوخة في سقفها روْزَنةٌ ، فرفعه إلى السّماء من الروزنة، فأمر يهوذا صاحباً له يقال له: طَيْطَيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فدخل فلم يجده، وألقى الله عليه شبهه فخرج فظنوه إياه فقتلوه وصلبوه، وقال مقاتل: وكلوا به رجلا

---

(1) استدركتها من «و».

(2) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري(2/ 526)، وتفسير ابن كثير(2/ 249).

(3) نفسه.

يحرسه فصعد عيسىٰ في الجبل فأخذ الملك بضبعيه ورفعه إلىٰ السّماء وألقىٰ الله شبهه علىٰ الرقيب فقتلوه وصلبوه، وهو يقول لست عيسىٰ أنا فلان فلم يصدقوه[1].

وقال قتادة: «ذكر لنا أنّه قال: لأصحابه أيكم يقذف شبهي فيقتل فقال رجل: أنا؟ فقتل الرجل ورفع عيسىٰ فكسي الريش وألبس النّور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فصار مع الملائكة حول العرش فكان إنسياً ملكياً سماوياً أرضياً»[2].

وقيل: إنّ المشبه رجل يقال له: أيسوع، زاد النيسابوري وغيره، وقيل: كان رجل يدعىٰ/ أنّه من أصحاب عيسىٰ وكان منافقاً فذهب إلىٰ اليهود لهم عليه فلمّا دخل معهم [131/ب] لأخذه ألقىٰ الله عليه شبهه فقتل وصلب، وقال أنا الذي دللتكم عليه فلم يصدقوه ثم شكوا فيه لمّا لم يروا صاحبهم[3].

ومن الغريب[4] ما ذكره القرطبي والثعلبي عن الكلبي: أنّه لمّا قالت اليهود نحن قتلناه وصلبناه، قالت طائفة من النّصارىٰ بل نحن قتلناه وصلبناه، وقالت طائفة: بل رفعه الله إلىٰ السماء ونحن ننظر، فهذا اختلافهم الذي في الآية[5].

قال سيدنا الإمام خلّد الله مجده: وأمّا النّصارىٰ المارقون عن الحقّ فقالتْ فِرقةٌ: هو إله والإله لا يقتل، وقالتْ فرقةٌ: بل قتل وصلب فلذلك زاد بغضها لليهود، وقالت فرقةٌ: هو ابن الله، وقالت فرقةٌ: هو إله ثالث، وهي التي تقول بالتثليث.

---

(1) ينظر تفسير مقاتل بن سليمان(1/ 172)؛ والكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبىٰ (3/ 409-410). و تفسير غرائب القرآن للنيسابوري (2/ 526-527).

(2) رواه الإمام الطبري بهذا اللفظ: «وذكر لنا أن نبي الله عيسىٰ ابن مريم قال لأصحابه: أيكم يُقْذف عليه شبهي، فإنه مقتول؟ فقال رجل من أصحابه: أنا، يا نبي الله! فقتل ذلك الرجل، ومنع الله نبيه ورفعه إليه» في تفسيره(9/ 370).

(3) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (2/ 526).

(4) كلمة«الغريب» ليست في«و».

(5) تفسير القرطبي(6/ 9)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبىٰ(3/ 409-410).

وأقول هذه الأقوال مشهورة عن فرق النّصارىٰ المبطلة.

قال في الدر المنثور: «وأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم عن قتادة في قولـه: ﴿ٱلَّذِے فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ قال اجتمع بنوا إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر، أخرج من كـل قـوم عالمهم، فامتاروا في عيسىٰ فقال بعضهم: هو إله هبط إلىٰ الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلىٰ السماء وهم اليعقوبية.

فقالت الثالثة: كذبت ثم قال اثنان منهم[للثالث][1] قل فيه: قال: هـو ثالـث ثلاثـة، الله إله، وعيسىٰ إله وأمّه إله وهم الإسرائيلية، وهم ملوك النّصارىٰ.

فقال الرابع: كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهـم المسـلمون فكـان لكل/ رجل منهم أتباع علىٰ ما قـال: فـاقتلوا[2] فظهـر علىٰ المسلمين فـذلك قولـه: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3] وهـم الأحـزاب في قولـه: ﴿فَاخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾[4] فقال المرء المسلم أنشدكم الله، هـل تعلمـون أنّ عيسىٰ، كان يطعم الطعام، والله لا يطعم الطعام؟ قالوا: اللهم نعم،[قال: فهل تعلمـون أن عيسىٰ ينام وأن الله لا ينام؟ قالوا: اللهم نعم][5] فخصمهم المسلمون واقتتل القـومُ؛ فذكر لنا أنّ اليعقوبية ظهرت يومئذ وأصيب المسلمون فـأنزل الله في ذلـك في القـرآن: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[6]»[7] انتهىٰ.

---

(1) استدركتها من «و».

(2) في«و» «اقتتلوا».

(3) آل عمران من الآية 21.

(4) سورة مريم من الآية36.

(5) استدركتها من «و».

(6) سورة مريم من الآية36.

(7) الدر المنثور(10/ 71-72). والأثر المشار إليه أخرجه عبد الرزاق في التفسير رقم 1765 (2/ 358)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم(14191).

وذكر غيره في فرقهم الملكانية[1]، منسوبون إلىٰ مَلكا[2]، ثم مقتضىٰ كلام القرطبي والنيسابوري في سورة النساء: أنّهم من القائلين بالنبوة لأنّهما ذكرا أنّ النَّسْطُورية، قالوا: صلب عيسىٰ من جهة نَاسُوتِه، أي ذاته التي هي من جنس النّاس لا من جهة لاهوته أي صفة الوهبية، فإنّها صعدت[3]؛ وقالت الملكانية: وقع الصلب والقتل علىٰ المسيح بكماله ناسوته ولاهوته[4].

وذكر النيسابوري والبيضاوي في سورة مريم: أنّ الملكانية قائلون: أنّه عبد الله ورسوله، مخلوق يطعم وينام[5].

وفي الثعلبي، في سورة مريم: قائلون: «إنّ الله ثالث ثلاثة»[6]، وفي المائدة: «أنّ الملكانية قالوا: إنّ الله هو المسيح ابن مريم»[7].

فلعله وجدت المقالات الأربع.

---

(1) قال الشّهرستانيّ: وهم أَتْبَاع مَلْكَان الذي ظهر ببلاد الروم ومقتضىٰ ذلك أنهم منسوبون إلىٰ ملكان صاحب مذهبهم ورأيت في بعض المصنفات أنهم منسوبون إلىٰ مركان قيصر أحد قياصرة الروم من حيث إنه كان يقوم بنصرة مذهبهم فقيل لهم مركانية ثم عرب ملكانية. انظر الملل والنحل(1/ 221-222).

(2) قال القَلْقَشَندي: «الملكانية هم أتباع ملكان الذي ظهر ببلاد الروم، فهو ملكا أو ملكان» صبح الأعشىٰ(13/ 279).

(3) تفسير القرطبي(6/ 9)، وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري(2/ 257).

(4) انظر تفسير القرطبي(6/ 9)؛ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (2/ 527).

(5) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (2/ 527). تفسير البيضاوي(4/ 16)؛

(6) تفسير الكشف والبيان(6/ 215).

(7) نفسه، (4/ 95).

وفي ابن جزي: «قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ردّ عليهم -أي على اليهود- وتكذيب لهم وللنّصارى أيضاً في قولهم: إنّه صلب حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك. والعجب كل العجب من تناقضهم في قولهم إنه إله أو ابن الله ثم يقولون/ إنه صلب»[1]؛ [132/ب] وهو صريح في أنّ النّصارى يقولون أنّه صلب ولو كانوا يقولون أنّه إله أو ابن الله وكذا من يقول ثالث ثلاثة، أو عبد الله ورسوله، كما أفاده أول كلامه وقد تقدم عن ابن عباس وقتادة، أنّ القائلين: إنّه الله، قالوا: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء[2].

وصرح الزمخشري، بأنّ القائلين بذلك قالوا: إنّه الله، لا يصح قتله[3]؛ وتقدم أيضاً عن ابن عباس وقتادة، أنّ القائلين: بأنّه ابن الله، قالوا: كان ابن الله فينا ما شاء ثم رفعه الله إليه، فيجمع بأن يكون بعض كلتا [الفريقين][4] القائلتين: إنّه الله أو ابن الله، قال: إنّه صلب، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوا كبيرا[5].

وكلام القرطبي وغيره صريحٌ في أنّ القائلين بالنُّبوة من يرى أنّه قتل وصلب، ثم قيل: من جهة النّاسوت فقط، وقيل: من الجهتين، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[6] ﴿وَمَنْ يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، إلى ﴿عَظِيمٌ﴾[7]؛ فعلى هذا قال بالقتل والصَّلب، وبعدهما من قال: إنّه الله أو ابنه أو ثالث ثلاثة، أو عبد الله

---

(1) التسهيل في علوم التنزيل(1/ 217).

(2) انظر الدر المنثور لإمام السيوطي(5/ 98-99).

(3) تفسير الكشاف(1/ 587).

(4) في «و»«الفرقتين».

(5) تفسير الكشاف(1/ 587).

(6) سورة الرعد من الآية 34.

(7) سورة المائدة آية 43.

ورسوله[1]؛ فإذا ضربت الأربعة في اثنين، كانت ثمان طوائف، والمفرقة بين النَّاسوت واللَّاهوت تاسعة، ثمّ تفرعت عن تلك المقالات التسع مذاهب كثيرة، ذكر كثير منها المتكلمون والمؤرخون حتىٰ لم تنضبط مقالاتهم وضلالتهم وجهالتهم للحصر بزمام، وسنذكر تتمة لهذا بعد إن شاء الله.

ثم قال مولانا الإمام زاده الله علوا: وقد وجدهم قسطنطين الملك[2] علىٰ فرق تزيد علىٰ الثَّلاثين وكلها ضلال إلاّ القليل المعتقدين ما في القرآن، الذين/ بقوا علىٰ الحقّ حتىٰ [133/أ] أتىٰ محمد ﷺ ففروا منهُ بدينهم، أي أسلم من أسلم منهم، كالنجاشي وأتباعهُ؛ وقد جمعهم قُسْطَنطِين المذكور علىٰ ما هم عليه، إلاّ أو جهلهم وسماها، الأمانة الكبرىٰ[3]، وهي في الحقيقة، الخيانة الكبرىٰ.

وأقول هذا ذكره ابن كثير وغيره، قال[4]: «ذكر المؤرخون، أنَّ قُسْطَنْطِينَ جمع محفلاً كبيراً فيه ألفان ومائة وسبعون أسقفاً، فاختلفوا في عيسىٰ اختلافاً متبايناً جداً، كل شرذمة علىٰ قول، وأكبر طائفة اجتمعت منهم علىٰ قول واحد كان فيها ثلاثمائة وثمانية من أهل المحفل، فمال إليهم الملك، وطرد غيرهم فوضعوا له كتاباً، الأمانة الكبرىٰ، وهي في الحقيقة الخيانة العظيمة، ووضعوا له كتاب القوانين، وشرعوا له أشياء وابتدعوا

(1) ذكر القرطبي هذا الاختلاف، انظر تفسير القرطبي(6/ 9-10).

(2) هو الإمبراطور الروماني قسطنطين كان وثنياً يعبد الشمس، ثم تعاطف مع النصارىٰ ورفع الاضطهاد عنهم، بَدل لهم دين المسيح وحرفه، وزاد فيه ونقص منه، ووضعت له القوانين والأمانة الكبيرة -التي هي الخيانة الحقيرة- وهو الذي دعا إلىٰ مجمع نيقية سنة 325م، الذي كان له أعظم الأثر علىٰ النصرانية والنصارىٰ حيث نصر قول المؤلهين للمسيح علىٰ الموحدين، توفي سنة 337م. انظر: معجم الحضارات السامية ص686، تفسير ابن كثير(2/ 48)، البداية والبهاية(1/ 188وما بعدها).

(3) الأمانة الكبرىٰ هي الركن الركين في العقيدة النصرانية . البداية والبهاية(1/ 188).

(4) في «و»، «قالوا».

وخرجوا عن دين المسيح وغيره، فابتنى لهم الكنائس الكبار في مملكته، بالشام والجزيرة والروم فبلغت كنائسه نحو اثني عشر ألفا، وبنت أمه على الموضع الذي صلب فيه المسيح بزعمهم ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[1]»[2].

وليكن هذا آخر الغرض هنا من مسايرة هذا التقييد هدانا الله بمنّه إلى النّهج السَّديد، بجاه سيدنا محمد أشرف العبيد عليه أفضل الصلوات و أزكى التسليم على التّأييد، وعلى أله أولي الخط المجيد وصحبه ذوي الجد والتشمير في الإرشاد والتمهيد، والحمد لله رب العالمين وهو حسبي الله ونعم الوكيل/ . [133/ب]

(1) سورة النساء من الآية 156-157.

(2) تفسير ابن كثير بتصرف من المؤلف(5/ 231).

التقييد السادس

رِسَالَةٌ فِي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1]

(1) سورة النحل آية 98



الحمد لله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾

فيه مسائل:

إحداها:

أنَّ الاستعاذة للقراءة مشروعةٌ، وقد أجمعوا على ذلك ومطلوبة أيضا وعليه الأكثرون[1].

وحكى المسيبي[2] عن أصحابه من قراء المدينة: أن عملهم على تركها رأسا[3].

قيل: وهو يؤذن بحمل الأمر في الآية على الإباحة[4].

قلت: ووجهه رفع توهم من يتوهم أنَّ القرآن لما كان أعظم الكلام و أفضل الذّكر لم يحسن أن يقدم عليه ما هو دونه في الفضيلة، فأباح تعالى تقديم الاستعاذة والتمهيد بها لقراءته، لأنَّها وإن كانت مفضولة فلا محذور في جعلها وسيلة للمقصد الأفضل، لأنَّ مدلولها الخاص له نفعٌ في القراءة و تقوية على ما هو المقصود منها.

---

(1) حكى ذلك الإمام القرطبي في الجامع (1/ 135-136).

(2) هو أبو محمد إسحاق بن محمد بن عبد الرحمان المُسَيّبي- بضم الميم، وفتح السين المهملة، والياء المشددة آخر الحروف، وفي آخرها الباء الموحدة- المدني المقرئ المشهور سكن بغداد،توفي (206هـ). انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار(1/ 312)، الأنساب للسمعاني (4/ 17).

(3) أورده أبو عمر الداني في التيسير في القراءات السبع (1/ 14)، وابن الجزري في النشر في القراءات العشر باب اختلافهم في الاستعاذة.

(4) قال الطبري في تفسيره: «وليس قوله :﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ بالأمر اللازم، وإنما هو إعلام وندب، وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن من قرأ القرآن، ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم، قبل قراءته أو بعدها، أنه لم يضيع فرضا واجبا».(14 / 357)، الجامع لأحكام القرآن(1/ 135).

فإن قيل: ليس لها دعاء مباحٌ إباحةً مستويةَ الطرفين، لـورود الترغيـب الكثـير في مطلق الدعاء.

قلت: لم يجعل هؤلاء الإباحة راجعـة إلى نفـس الاسـتعاذة بـل إلى إيقاعهـا في هـذا الموضع الخاص.

[1/أ] كما قال الفقهاء: يجوز صوم يوم الجمعة منفردا والصوم نفسه لا يكون مباحا لأنَّـه/ قربة، لكنَّ إيقاعُه في يوم الجمعة على الخصوص هو المباح[1].

وأمَّا نفعها في القراءة فلا يتوقف عليها لجواز حصُوله بالاعتصام بـالله باطنـا عنـد الشروع و انحياش القلب إليه و التحصّن به من كل ما يضير.

ثم على مطلوبيتها؛ فالجمهور على أنَّ الطلـب نـدبٌ، لأنَّ اسـتعمال غالـب الأدعيـةِ والأذكارِ مندوبٌ غير واجب[2].

فحمل الأمر بالاستعاذة على الغالب في جنسه، وذهب عطـاء بـن أبي ربـاح وداودُ وأصحابُه إلى وجوبها لكل قراءة و لو في الصلاة، بناء على أنَّ الأمـر للوجـوب حقيقـة وللتكرار مطلقا أو إن عُلق بمتكرر[3].

ولابن سيرين: تجب القراءة مرة في العمر بناء على أنَّ الأمـر للوجـوب مـع المـرة أو للماهية[4].

---

(1) فقد ذهب أبو الوليد الباجي إلى أنّ مذهبُ مالكٍ في صيام يوم الجمعة يجوز لمن أراد صيامه لأنه يومٌ من الأسبوع فجاز إفراده بالصوم كغيره من الأيام، ومنع الشافعي صيامه لمن لم يَصِلْهُ بصيامٍ قبلهُ أو بعده للحديث..» انظر المنتقى لأبي الوليد الباجي(2/ 76)؛ والتاج والإكليل لمختصر خليل لأبي عبد الله المواق(3/ 376).

(2)- الجامع لأحكام القرآن(1/ 135)، وتفسير ابن كثير(1/ 113).

(3)-الجامع لأحكام القرآن(1/ 135)، مفاتيح الغيب (1/ 67).

(4)- مفاتيح الغيب (1/ 67).

ويقع الامتثال بالمرة مع أنَّ لفظ الآية قضية شرطية متصلة موجبة مهملة من السور، و المهملة في قوة الجزئية لأنَّ ذلك القدر هو المحقق منها كما تقرر في المنطق.

وبعضهم قال: بوجوبها في حقّ المصطفى صلى الله عليه وسلم دون أمَّته، نظراً لظاهر الخطابِ[1]، وهو قولٌ واهٍ، لأنَّ الأظهر أنَّ الخطاب عامٌّ لكل قارئٍ، لا لخصوص النبي صلى الله عليه وسلم. و لو سُلِّم أنه له خاصة فالقصد/ منه التشريع [1/ب] للأمَّة لأنَّهم أحوج منه إلى الاستعاذة[2].

ثمَّ الأمر عند مالك مقيدٌ بغير صلاة الفرض، فَيُكره التعوذ فيها ويجوز في النافلة[3].

وروى أشهب[4] أحبية تركه في النفل أيضاً[5].

وروى ابن حبيب[6]: يتعوذ في أولى النافلة فقط، واستحبه في كل ركعة منها[7].

---

(1)- أورده ابن عطية في المحرر الوجيز(1/ 58)، تفسير ابن كثير(1/ 113).

(2)- انظر البحر المحيط (6/ 593).

(3)- ينظر في ذلك البيان والتحصيل لابن رشد(1/ 496)، وابن العربي في أحكام القرآن(3/ 158).

(4)- هو أبو عمر أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري الجعدي ، كان فقيه الديار المصرية في القرن الثاني للهجرة، وكان صاحب الإمام مالك رحمه الله(ت204هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان(1/ 78)، و سير الأعلام(9/ 501)، والأعلام(1/ 333).

(5)- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(1/ 136).

(6)- هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب السُّلمي القرطبي الالبيري الأندلسي المالكي له تصانيف كثيرة منها: كتاب الواضحة، الجامع، غريب الحديث، فضائل الصحابة، تفسير الموطأ. (ت238هـ). انظر ترجمته في: طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي(ص21)، وسير أعلام النبلاء(12/ 102-103-104)، ونفح الطيب(2/ 6-7)، والأعلام(4/ 157-158).

(7)- أورده القرافي في الذخيرة (2/ 181).

وللشافعي القولان[1] ورجحا وهو فيها قبل الفاتحة وعن مالك بعدها[2]، ولعله ليجمعَ بين كونه بعد الفاتحة و القراءة، وقبلها باعتبار السورة وإذا تعوذ في الصلاة ففي جواز الجهر بِهِ وكراهته روايتا ابن حبيب وأشهب عن مالك.

وللقراء في الجهر به مطلقا مذهبان، اختار الشاطبي الجهرَ أي في القراءة الجهرية فقط إظهارا لشعيرة القراءة، كالجهر بالتلبية وتكبير العيد، إظهاراً لشعيرة النُّسُكين وسنة العيد.

وَلَفظُه :

إذا ما أَرَدْتَ الدّهْرَ تَقْرأُ فاسْتَعِذْ   جِهارًا مِنَ الشَّيْطانِ باللهِ مُسْجَلَا
علىٰ ما أَتَىٰ في النَّحْلِ يُسْرًا وَإِنْ تَزِدْ   لِرَبِكَ تنْزِيهًا فَلَسْتَ مُجَهّلَا
وَقَدْ ذَكرُوا لَفْظَ الرَّسُولِ فلَمْ يَزِدْ   ولوْ صَح هذا النَّقْلُ لم يُبْقِ مُجْمَلَا
وَفيهِ مقالٌ فِي الأَصُولِ فُرُوعُهُ   فلا تَعْدُ مِنها باسِقاً وَمُظَلِلَا
وإِخفاؤُهُ فَصْلٌ أباهُ وُعاتُنا   وكمْ من فَتَىٰ كالمَهْدوِي فيهِ أعمَلا[3]

وقوله: «فَصْلٌ»، أي بين ما هو قرآن و غيره، و«فاؤه» إشارة لحمزة[4] وألف «أباه»

---

(1)- انظر المجموع للنووي(3/ 322-323)، وتفسير ابن كثير(1/ 22).

(2)- ذكره ابن العربي في أحكام القرآن(3/ 159)، والقرطبي في الجامع(1/ 138).

(3)- منظومة حرز الأماني ووجه التهاني لأبي محمد الشاطبي(ص8).

(4)- هو حمزة بن حبيب الإمام الجد أبو عمارة الكوفي التيمي المعروف بالزيات، أحد القراء السبعة، وعنه أخذ أبو الحسن الكسائي القراءة، وأخذ هو عن الأعمش، وإنما قيل له «الزيات» لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة، فعرف به، (ت156هـ) بحلوان وله ست وسبعون سنة، رحمه الله تعالى، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان(2/ 216)، سير أعلام النبلاء(7/ 90-91).

لنافع[1] واختار أبو شامة[2] أنَّ القارئ إذا قرأ في الصلاة أو لنفسه خاليا فالإخفاء، وإذا قرأ على المقرئ أو على من يسمع فالجهر لئلا يفوت السَّامع شيء، إذ لو أخفاه ثم جهر بالتلاوة لم يُصغ السّامع إلا بعد فوات جزء من المتلوّ، فإذا جهر بالتعوذ كان منبهًا للسَّامع فيصغي لجميع المتلو[3].

المسألة الثانية :

إنّ محلّ التعوذ قبل القراءة عند الأكثرين، والآية من إقامة المسبب مقام السبب لأنّ القراءة مسببة عن إرادتها فأقيمت مقام الإرادة التي هي سببها، فالتقدير: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ، كما أشار إليه الشَّاطبي في كلامه السَّابق.

ونظيره:﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ﴾[4] ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾[5] وحديث: «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ»[6].

أي إذا أردتم القيام، وأردنا إهلاكها، وإذا أراد أحدكم أن يأتي الجمعة؛ وقيل محله بعد القراءة لظاهر الآية، ونسب[7] إلى حمزة، وأبي حاتم، وأبي هريرة، وابن سيرين،

---

(1)- هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي إمام المدينة ومقرئها أبي رويم ويقال أبو الحسن(ت169هـ).

(2)- هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، أبو القاسم، شهاب الدين،المعروف بأبي شامة: مقرئ، مؤرخ، محدث (ت665 هـ). انظر ترجمته في: شذرات الذهب(5/ 318)، ومعرفة القراء الكبار(2/ 673)، والأعلام(3/ 299).

(3)- انظر شرح الشاطبية لأبي شامة(1/ 94)؛ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري(1/ 253-290).

(4)- سورة المائدة آية 7.

(5)- سورة الأعراف آية 3.

(6)- أخرجه أبو داود كتاب الطهارة في الغسل للجمعة رقم 336(1/ 35)؛ والطبري في المعجم الأوسط ح108 (1/ 40).

(7)- ذكره ابن العربي في الجامع لأحكام القرآن(1/ 135) وغيره.

والنخعي، وداود، وعن قولة لمالك[1]، وأنكره في النشر، وقال: لا يصح عن واحد من هؤلاء[2].

وحكى الإمام الرازي قولاً: أنها تسبق و تتأخر[3].

[3/ب] **الثالثة:/**

أنَّ التعوذَ، مشروعٌ لقراءة القرآن لا لمجرد التلفظ بما هو قرآن.

قال في القاموس: «القُرْآنُ: التَّنْزِيلُ. قَرَأَهُ و به كَنَصَرَهُ ومَنَعَهُ قَرْءاً وقِراءَةً وقُرْآناً فهو قارِئٌ من قَرَأَةٍ وقُرّاءٍ وقارِئِينَ: تَلاَهُ كاقْتَرَأَهُ »انتهى[4].

وظاهره أنَّ القراءة والتلاوة بمعنى.

وقال شيخنا العلامة خاتمة المحققين أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي[5] رحمه الله في كتابه المحاذي ما نصهُ: «فالقراءة قال الراغب: ضَمُّ حروف

---

(1)- فَقد حَكاهُ عنهُ الْقَاضي أَبو بَكرِ بنُ العرَبِيِّ فِي أحكام القرآن وردهِ له، فانظره(3/ 158).

(2)- انظر ردَّ ابن الجزري على هذه الروايات وتوجيهها له؛ ثم ختم بقوله: إن المعنى الذي شرعت الاستعاذة له يقتضي أن تكون قبل القراءة لأنها طهارة الفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطييب له، وتهيؤ لتلاوة كلام الله تعالى. النشر في القراءات العشر(1/ 255).

(3)- مفاتيح الغيب للرازي(1/ 59)، وأورده أيضا ابن الجزري في النشر (1/ 255).

(4)- القاموس المحيط للفيروزآبادي(1/ 38).

(5)- هو محمد بن عبد السلام بن محمد فتحا بن عبد السلام بن العربي بن يوسف الفاسي، الأستاذ المحقق المجود الفهامة، المنفرد بتحقيق الأحكام القرآنية، ولد بفاس عام 1130هـ وبها تلقى العلم عن جماعة من أكابر فقهائها، منهم الشيخ أبي حفص عمر الفاسي، وأبي عبد الله محمد بن الحسين الجندوز المصمودي، والشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن إدريس المنجرة الحسني، وغيرهم. وله رحمه الله مصنفات كثيرة منها: «محاذي حرز الأماني في القراءات(مخطوط)»، و«القول الوجيز في قمع الزاري على حملة كتاب الله العزيز». وتوفي رحمه الله بمرض الاستسقاء يوم الأربعاء 12 رجب عام 1214هـ ودفن بجوار جده أبي المحاسن الفاسي، داخل القبة عند رأس ضريحه، انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني(2/ 318)، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني(2/ 848).

التنزيل وكلماته بعضها إلى بعض، ثم قال: وأمَّا التلاوة فهي كما قال الراغب: «إتباع القرآن تارة بالقراءة وتارة بالارتسام لما فيه من أمر ونهي، أو ترغيب أو ترهيب أو ما يتوهم فيه ذلك، قال: وهي أخصّ من القراءة »[1]»انتهى.

قال: فإذا كانت القراءة ما ذكر، فمن قرأ المعوذتين مثلا أو غيرهما من القرآن مسترقيا بهما أو مستحفظا غير قارئٍ، ومن قرأ آيةً أو أكثر مستشهِداً بها على حكم من أحكام الشريعة، أو لبيان لغة أو إعراب أو غير ذلك، كوعظ أو ترقيق أو تزهيد أو ترغيب أو ترهيب أو تشويق، كما يفعله الخطباء والوعاظ، غير قارئ أيضا، ومن فتح على إمامه من مأموم أو غيره، أو على قارئ تارةً، أو توقف فيفتَح عليه ليرده إلى الصواب، أو ليهديه غير قارئٍ،/ ومن استفتىَ شيخه في إلقاء جزء من القرآن، أو في [4/أ] كيفية قراءة آية، أو في بيان خلافها أو بيان إعرابها، أو تصريف بها أو بيان اشتقاق، أو استطعمه كما يفعله المتعلمون عند تلقي ما يكتبونه في ألواحهم، فليس واحد من المستفتي و المفتي و لا من المستطعم والمطعم بقارئٍ، فالتلميذ السائل غير قارئٍ، والمعلم المجيب غير قارئٍ كذلك.

والحاصل، أن حقيقة القارئ، هو المشتغل بتعلم جزء منه ليستحصله، أو من أدمن دِراسةَ جزء منه ليستحصله، أو درسهُ للتعبد، أو درسهُ بين يدي شيخه، ليتعلم كيفية أدائِه، أو ألقاه الشّيخ عليه لذلك، فهؤلاء لابد لهم من التعوذ .

وأما غيرهم فالذي شاهدناه، من أشياخنا وغيرهم تركُ التعوذ، وهو البيّن.

فإن قطع واحد منهم قراءته بكلام أجنبي، طلب بإعادتها إذا رجع للقراءة بلا كلام، وإن قطع بكلام غير أجنبي فلا يعيد، قال في النشر: «وقيل: إنه يستعيذ فانظره»[2] انتهى كلام شيخنا.

---

(1)-المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني(1/ 167).

(2)-باب اختلافهم في الاستعاذة؛ النشر في القراءات العشر(1/ 298)

وانظر تفريعه، كون ما عده غير قراءة، علىٰ تعريف الراغب لها، فإنَّ تعريف الراغب لا يعطي كون ذكر القراءة لتلك الأغراض غير قراءة، حينئذ فالشّيخ لم يعين ضابط،/ [4/ب] لما يطلب فيه التعوذ، [وما لا][1] وإنما ذكر مواضعَ لا يطلب فيها التعوذ، ومواضع يطلب فيها.

فقد يقال: ما الفرق مثلا، بين ذكر الآية، لاستفتاء الشّيخ في كيفية قراءتها، أو بيان اختلاف وجوه القراءة فيها، و بين درس جزء بين يدي الشّيخ، ليتعلم كيفية أدائه، حتىٰ طلب التعوذ في هذا دون ما قبله؟

فنقول: الضابط في ذلك، قصد التعبد وعدمه، فمتىٰ قصد التعبد لله تعالىٰ، بإجراء لفظ القرآن علىٰ اللّسان طُلب بالتعوذ، سواء قصد التعبد بمجرده، أو مع استحصال وحفظ، أو مع تعلم كيفية الأداء أو تعليمها، فإنَّ حال مريد الحفظ، أو تعلم الأداء أو تعليمه، لا يخلوا من قصد إلىٰ التعبد باللفظ المنزل، بخلاف حال المسترقي به، أو المستحفِظِ، أو المستشهد علىٰ حكم أو الواعظ به، أو الفاتح علىٰ القارئ، أو المتعرف لاختلاف القراء، أو المطعم أو المستطعم، فإنَّه ليس معه قصد إلىٰ التعبد باللفظ المنزل، لأنّ غرضهم الأصلي شيء آخر؛ فمقابلة الشيخ بين الدرس للتعبد، و بين الدرس للاستحصَال أو تعلم الأداء أو تعليمه، إنما هي لتجرد التعبد تارة، وعدم تجرده تارة.

[5 /أ] فإن الثلاثة المذكورة، مصحوبة بقصد التعبد، لكنه لم يتجردْ فيها./ ولذا طلب التعوذ فيها كما طلب إذا تجرد قصد التعبد بالتلاوة.

وبهذا تعلم أنَّ القراءةَ في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، بمعنىٰ التلاوة، لأنَّ القراءة و إن كانت أعمّ من التلاوة[2]، لتعلقها بالمفرد كقرأ فلانٌ اِسمه ولا يقال تلاه،

---

(1)- غير واضح في الأصل.

(2)-المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني(1/ 167).

إلا أنَّ المفرد لا يظهر فيه قصد التعبد، فلا تطلب الاستعاذة له ولو نوىٰ كونه قرآنا، وأيضا المفرد يخرج بقوله القرآن؛ لأنَّ لفظ القرآن، يطلق علىٰ الكلِّ، وعلىٰ كل من الأبعاض التي لها نوع اختصاص به، كما قال الْكَمَال بن أبي شرِيف[1] قال: «وهذا القيد للاحتراز عن نحو، قل و افعل من الأبعاض التي لا تسمىٰ قرآنا في العرف لعدم الاختصاص» انتهىٰ.

هذا ولم يروىٰ عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: أنه كان يتعوذ للقراءة في الخطبة مع أنه كان يقرأ فيها.

ففي الصحيح عَنِ ابْنَةِ حَارِثَ بْنِ النُّعْمَانِ : «مَا حَفِظْتُ ﴿قٓ﴾ إِلاَّ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ»[2].

وفي حديث كان لا يدع قراءة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[3].

قال الأُبِّي[4]: قال النووي: «لم يختلف في مشروعية القراءة في الخطبة، و الصحيح عندنا وجوبها و أقلها آية»[5]. انتهىٰ

---

(1)- هو أبو المعالي كمال الدين محمد بن علىٰ بن أبىٰ شريف المقدسي، عالم بالأصول، من فقهاء الشافعية. درّس وأفتىٰ ببلده وبمصر، من أهل بيت المقدس مولدا ووفاة (ت906هـ)، له تصانيف منها: «الدرر اللوامع بتحرير جمع الجوامع». انظر ترجمته في: شذرات الذهب(10/ 44)؛ والأعلام(7/ 53).

(2)-أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة رقم 873(2/ 595). وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب علىٰ قوس، رقم1100(1/ 288) وغيرهما.

(3)- سورة الأحزاب آية 70.

(4)- هو محمد بن خلفة بن عمر الأُبِّي الوشتاني المالكي من أهل تونس نسبة إلىٰ (آبهْ) ولي قضاء الجزيرة سنة 808هـ، له: «إكمال إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم»، وشرح المدونة وغير ذلك(ت827هـ). انظر ترجمته في: شجرة النور الزكية(ص244)؛ والأعلام(6/ 115).

(5)-انظر شرح صحيح مسلم لإمام النووي كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم 873(3/ 427).

قلت: وقد قيل في مذهبنا باشتراط قراءة شيء من القرآن في الخطبة(1).

الرابعة:

أنَّ المطلوب يتأدّى بما يسمى استعاذة لغة، والأنسب بلفظ الآية أَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم، و الشائع أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَان الرَّجِيْم.

[5/ب] أخرج غير واحد، عن ابن مسعود قلت: قبل القراءة: أعوذ/ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال لي: «قل يَا بن أم عبد: أعوذ بِاللهِّ مِن الشَّيْطَان الرَّجِيم هَكَذَا أَقْرَأَنِي جِبْرِيل عَن اللَّوْح عن القلم»(2).

وذلك أنَّ طلب الإعاذة الذي هو معنىٰ الاستعاذة، حاصل من «أعوذ» مع زيادة الدلالة علىٰ مباشرة العبد العوذ بنفسه وعلىٰ إلصاقه نفسه بجانب مولاه، وفراره بنفسه إليه؛ إذ معنىٰ «أعوذُ»أعتصمُ وأستجير، وأتحصَّن بالله وألتجئ إليه، وهو خبر لفظ قصد به إنشاء اللجاء إلىٰ الله تعالىٰ، ولم يقل اللَّهم أعذني لنظير مَا ذكرناه في اختيار أعوذ علىٰ أستعيذ، ولم يقل عُذتُ بلفظ الماضي، لأنَّ المضارعَ للحال فهو أنسب بما قصد من الإنشاء و أدْخل في الامتثال، ولم يقل: نَعوذ بنون المشاركة أو العظمة، لأنَّ العائِذ مشغول بشهود فاقته، واحتياجه إلىٰ الخلاص من يد عدوه، عن شهود غير من يخلصه و يحفظه، فضلا عن شهود افتقارهم أيضا، و شهود فاقته، واِحتياجُه إلىٰ المخلص، منافٍ لإثباته لنفسه نوعاً من العظمة.

---

(1)-قال القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: «وفي قراءته صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية يعني قوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ﴾ وسورة(ق) دليل علىٰ صحة استحباب مالك قراءة شيء من القرآن في الخطبة، وخصّ هذه الآية ، وسورة (ق)، لما تضمنته من المواعظ، والزجر والتحذير» انتهىٰ (2/ 512).

(2)- ذكره القرطبي في الجامع(1/ 136).

وقدم «أعوذُ» علىٰ ما بعده، لأنَّ المقام مقام تحصن وتمنّع فجلُّ القصد متوجه إليه، فكان أهم بالنظر إلىٰ المقام؛ وإن كان اِسم الله أهم في نفسه، كما قيل في تقديم الفعل في: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[1].

وأمَّا الاختصاص فليس بمقصود في المقام، إذْ ليس هناك من يدعي أنَّه ينبغي الاستعاذة بغير الله، حتىٰ يُرد عليه بالحصر، وإن كانت العرب في الجاهلية، ربما استعاذوا برؤساء الجن، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[2].

[6/أ] ولو سلم قصد الاختصاص، فهو حاصل/ بتعليق العوذ، بالاسم الخاص -أعني اسم الجلالة- الدَّال علىٰ الذَّات العلية، دلالة جامعة لمعان الأسماء الحسنىٰ كلها، ما علم منها وما لم يعلم، ولذلك خصَّ هذا الاسم بالذكر دون غيره.

فدلَّ ذلك علىٰ أنَّ المعوذ به، هو من له ما لا يتناهىٰ من صفات الكمال، وليس إلا الله وحده، وهذا معنىٰ الحصر.

فالحاصل أنَّه لم يقل، أعوذُ بالسميع أو العليم أو الرحمان أو الرحيم مثلا، بل جيء بالاسم الجامع، حتىٰ كأنَّه قيل: أعوذُ بالسميع العليم القادر القوي المعين القهَّار الجبَّار النَّافع الضَّار الرَّحمان الرَّحيم إلىٰ غير ذلك من صفات الجلال و الجمال، وكلا القسمين مناسب للمقام لأنَّ قهر العدو، وصرفَه عن العبد من آثار الجلال بالنسبة إلىٰ المدفوع، ومن آثار الجمال بالنسبة إلىٰ المدفوع عنه لأنَّه إكرام له، وإحسانٌ إليه.

والباء للتعدية والإلصاق، لأنَّ العائِذ يلصِق نفسَه بالله، ويفرّ إليه ليحفظه من عدوه الذي بيده ناصيته؛ وقدم اسم الجلالة علىٰ المستعاذِ منه مناسبة لقصد المستعيذ.

---

(1)- سورة العلق آية 1.

(2)- سورة الجن آية 6.

إِذْ قصد أن يفر إلىٰ مولاه وينحاش إلىٰ بارئه ويتعلق بجانبه ليدفع عنه شرّ عدوه، فصار الفرار إلىٰ الله سبباً، ودفع كيد العدو مسبَّباً عنه، والسبب سابق علىٰ المسبَّب، فجاء اللفظ علىٰ طِبْق هذا الترتيب ومن ابتدائية؛ لأنَّ التحفظ ممتد من المستعان به إلىٰ جانب العائِذ.

و ﴿ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾، كل متمرد عاتٍ من الجنِّ و الإنس و الدّواب، من شَطَنَ أي بعُد لأنَّه بعيد عن الخير والصلاح، أو من شَاطَ، بمعنىٰ هلك أو عجل أو/ احترق، أو [6/ب] بطل[1].

و ﴿ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ هالك عجل إلىٰ الشرِّ، والمخالفة محترق في الدنيا بالشّهب وفي الآخرة بنار جهنم ذو باطل؛ فعلىٰ الأول النون أصلية، فينصرف وإن سمي به، وعلىٰ الثاني زائدة فلا ينصرف إن سمي به؛ وأمَّا قبل التسمية فينصرف خلافا للجوهري[2] لأنه وإن كان صفة ذات زيادتين فأنثاه بالتاء شيطانة[3].

وقد قال في الخلاصة:

وَزَائِدَا فَعْلاَنَ فِي وَصْف سَلِمْ ... مِنْ أَنْ يُرَىٰ بِتَاء تَأْنِيْثٍ خُتِمْ[4]

واسُتدل لأصالة النّون بقولهم: تَشيطنَ دون تَشيط؛ وأجيب بأن تشيطنَ مشتق من الشَّيطان في فعله و الإستغراقية، فالاستعاذة من جميع شياطين الإنسِ و الجنِّ أو عهدية علىٰ أنَّ المراد خصوص إبليس[5].

---

(1)- ينظر غريب القرآن لابن قتيبة (ص23)؛ ومفردات القرآن للراغب(ص454-455).

(2)- يقصد به صاحب الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل الجوهري(5/ 2144-2145).

(3)- ينظر معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (3/ 184-185).

(4)- ألفية ابن مالك (ص35).

(5)- الشَّطَنُ بفتحتين الحبل وقال الخليل هو الحبل الطويل وجمعه أشْطانٌ و الشَّيْطانُ معروف وكل عاتٍ متمرد من الإنس والجن والدواب شيطان والعرب تسمي الحية شيطانا وقوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ (سورة الصافات آية 65)، قال الفراء فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه شبَّه طلعها في =

و﴿الرَّجِيمِ﴾ فعيل، بمعنىٰ فاعل، أي راجم، لأنَّه يرجم النَّاس بحجارةِ و سوسته واحتقاره لهم؛ ألا ترىٰ إلىٰ قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[1] ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾[2] ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[3].

أو بمعنىٰ مفعول، أي مرجوم لأنَّه، يُرجَم بالشهب، أو باللعنة من الله، وعلىٰ ألسنة الخلق إلىٰ يوم الدين.

وذكر الشيطان الرجيم لإفادة علة التعوذ، أي أعوذ منه، لشيطنته ورجمه، فهو من تعليق الحكم علىٰ الوصف المناسب، ليفيد عِلِّيَّةَ الوصف للحكم.

الخامسة:

إن كان المرادُ إبليس، بخصوصه، فخص بالاستعاذة منه لأمور منها:

أنَّه أوَّل من عصىٰ، فهو قدوة العصاة، ومعاصيهم في صحيفته، وهو الحامل لهم عليها؛ فالاستعاذة منه تتضمن الاستعاذة من كل عاصٍ ومعصيتهِ، وتتضمن بغضهم.

كما قيل:

أُحِبُّ الصَّالحِينَ ولَسْتُ مِنْهُم لَعَلِّي أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَة

= قبحه برؤوس الشياطين لأنها موصوفة بالقبح، والثاني أن العرب تُسمي بعض الحيات شيطانا وهو ذو عرف قبيح والوجه الثالث قيل: إنه نبت قبيح يُسمىٰ رءوس الشياطين، والشيطان نونه أصليه وقيل إنها زائدة فإن جعلته فَيْعَالاً من قولهم تَشَيْطَنَ الرجل صَرَفتهُ وإن جعلته من تَشَيَّطَ لم تصرفه لأنه فعلان. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي (ص191).

(1)- سورة ص آية 75.

(2)- سورة الإسراء آية 61.

(3)- سورة الحجر آية 33.

وَأُبْغِـضُ مَـنْ بِضَـاعتُه المعـاصِي وَإِنْ كُنّـا سَـواء فِي البِضَـاعَةِ[1]

ومنها: أن معصيته شر معصية في الوجود، لأنَّه عصىٰ الأمر الوارد عليه مباشرة، وأصرَّ علىٰ المخالفة، واحتج لنفسه، وخطّأ الحكمة الإلهية.

[7/أ] وأمَّا آدم فعصىٰ متأولا/ ولم يصر بل أناب واستغفر، وذريتُه إنَّما يتوجه إليهم الأمر بالوسائط.

وشأن المؤمن أن يبعد نفسَه من المعاند المصر علىٰ الباطل، ومما يدل علىٰ إصراره، ما ورد أنَّ الله قال له علىٰ لسان نبي: إن كنت تريد أن يتوب الله عليك فاذهب إلىٰ قبر آدم فاسجد له، فقال: لَمْ أَسْجُدْ لَهُ حَيًّا فَكَيْفَ أَسْجُدُ لَهُ مَيِّتًا [2].

ومنها: أنَّه أَلصقُ عدو بالإنسان لجثومه علىٰ قلبه، وجرْيِهِ منه مجرىٰ الدَّم ، فلا عَدوَّ أعسرُ للإنسان للخلاص منه، وينظر إلىٰ هذا المعنىٰ قول الشاعر: [الطويل]

وِمِن مِحَن الدنيا على المـرء أنْ يَـرَى عَـدوّا لـه مَـا مِـنْ صَـداقتِه بُـدٌّ [3]

ومنها: أنَّه أضر عدو لتسلطه علىٰ أشرف عضو أعني القلب فلاحق منه بالاستعاذة منه.

ومنها: أنَّه ظلومٌ تكثر ملابسة الإنسان له، فلو لم يَسْتَعِذْ منه كان ركونا إليه وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾ الآية[4].

---

(1)- ديوان الإمام الشافعي(ص15).

(2)- أورده السيوطي في الدر المنثور(1/ 274).

(3)-كذا رواية البيت في الأصل وهو لأبي الطيب المتنبي ونسبه له ابن مفلح في الآداب الشرعية(3/ 451) الشرعية(3/ 451) وفيه:

ومنْ نكَدِ الدُّنيا علىٰ الحرِّ أن يَرَىٰ عـدوّاً لـهُ مـا مِـن صداقتِـهِ بـدُّ

(4)- طرف من آية، قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾سورة هود آية 113.

ومنها: أَنَّه كافرٌ أقرب شيء إلى الإنسان، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾[1]؛ وقتاله بالاستعاذة منه، وسائر الأذكار.

ومنها: أَنَّه معرض عن ذكر الله، ولم يرد إلاَّ الحياة الدنيا لقوله: ﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣﴾﴾[2]؛ وقد قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٨﴾﴾[3] / [7/ب]

والاستعاذة منه إعراض وزيادة.

ومنها: أَنَّه مستكبرٌ، والاستكبار يثير الاستعاذة، قال تعالى: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[4]

ومنها: أَنَّه حاسدٌ، وهو أول من حسد، ومن حسَدِه لآدم وذريته، أن أبى السجودَ له وأخرجه من الجنة.

وقد قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[5] إلى قوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[6].

ومنها: أَنَّه متخلقٌ بكل ذميمة من الكفر فما دونه، فمن لم يستعذ منه كان مصاحبا له فيسرق منه تلك الرذائل أو بعضها.

إِذَا كُنْت فِي قَوْم فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ   وَلَا تَصْحَبْ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِيء

---

(1)-سورة التوبة آية 124.

(2)-سورة الأعراف آية 13.

(3)- سورة النجم آية 28.

(4)- سورة غافر آية 55.

(5)-سورة الفلق آية 1.

(6)-سورة الفلق آية 5.

عَنْ المُرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ خليله فَكُـلُّ قَـرِينٍ بِالمُقَـارَنِ يَقْتَـدِي[1]

ولهذا قال الشيخ أبو الحسن: «وباعد بيننا وبين العناد والإصرار والشبيه بإبليس رأس الغواة».

السادسة:

إنَّ الاستعاذة شعار القراءة قدمت عليها لأمور:

أحدها: تطهير اللسان والقلب من ملابسة الشيطان فيصلحا لمس حروف القرآن ومعانيه، ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾[2].

[8/أ] ثانيها: أنها جعلت عنوان القراءة، ومقدمة لها، تنبيهاً/ للسَّامعين علىٰ أنَّ ما يعقبها قرآنٌ، فتهيؤا لما يجب عليهم من استماعه؛ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾[3] الآية؛ وهذا الوجه يقتضي إجهارها كلما قرئت.

ثالثها: أن يحترز بها عن الوسوسة المانعة من التدبر، وعن الرياء والسمعة والتصنع التي تحبط الأعمال والطاعات، التي القرآن أَصلُها و أساسها، وهي متشعبة منه وعن التشبه بالشيطان في عصيانه، الأمر المتوجه إليه بخطاب الله؛ والقرآن خطاب الله، يأمر التالي وينهاه، وعن ما يلقي الشيطان في متشابهات القرءان وغيرها من التأويلات الزائغة والتحريف والقول فيه بغير علم، وعن التخليط والخطأ والغَلَط في التلاوة؛ لأنَّه وإن حفظ القرآن من تبديله وتغييره فله تسلط علىٰ قارئه، بتغليطه، وإنسائه وتشكيكه ونحو ذلك.

---

(1)- نسبه المقري في نفح الطيب(5/ 191)، للحَكيم عَدِيّ بْن زَيْدٍ،و ينظر أيضاً، نهاية الأرب في فنون الأدب(3/ 58).

(2)-سورة الواقعة آية 82.

(3)-﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ سورة الأعراف آية 204.

رابعها: أنَّ القرآن، بستان العارفين، فأينما حلوا منه حلو بنزهة؛ كما قاله، محمد بن واسع[1]، حسبما نقله في الحلية[2].

والنزهةُ في البستان لا تكمل إلا بغية العدو المنقص.

خامسها: أنَّ القارئ، محتاج إلى الفيض الإلهي لاستفادة علوم القرآن وتأثر القلب بها حتى تكون القراءة/ نافعة لصاحبها مترتبا عليها مقصودها؛ وذلك لا يُنال إلا [8/ب] برجوع العبد إلى كرم مولاه وتبريه من حوله وقوته وصرف مولاه العوائق والموانع عنه، والاستعاذة متضمنة لذالك.

وعلى قدر تحقق العبد من نفسه بالعجز والضعف والفاقة لربه، يردُ عليه فتحهُ ومددهُ.

قال في الحكم: «تَحَقَّقْ بأوصافِكَ يُمدّك بأوصافه، تَحَقَّقْ بعجزكَ يُمدّك بقُدرته، تَحَقَّقْ بفقرك يمدك بغناه، تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته، ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾[3]. وقال: وُرود الفَاقَات أَعيادُ المريدين، ربما وجد العارف في الفاقات ما لا يجده في الذكر والصلاة»[4].

---

(1)- هو محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس أبو بكر الأزدي البصري عابد البصرة أحد الأئمة العباد، روى عن أنس بن مالك وعبد الله بن الصامت وابن سيرين وغيرهم. وعنه هشام بن حسان وأزهر بن سنان والثوري ونوح بن قيس وغيرهم. (ت123هـ). انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام للذهبي (8/ 259-260)، وتهذيب التهذيب(9/ 441-442).

(2)- حلية الأولياء لأبي نعيم(2/ 347).

(3)- سورة التوبة آية 60.

(4)- متن الحكم العطائية(ص63-64).

السابعة:

مِن خواص الاستعاذة، أنها دلت على تهويل أمر الشيطان وتوهينه، وعلى تفخيم أمرها.

وأما التهويل، فقال مالك بن دينار: «إنَّ عَدُوّاً يَرَاكَ وَلاَ تَرَاهُ لَشَدِيْدُ المُؤْنَةِ إلاَّ مَنْ عَصَمَ اللهُ»[1].

وقد أقسم الشَّيطان ليغوينَّ بني آدم أجمعين وليقعدنَّ لهم الصراط المستقيم[2]، وقال تعالى له: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾الآية[3].

وأما التوهين من ثلاثة أوجه:

- من حيث أنَّه مقهورٌ في قبضة خالقه كسائر الخلق، لا سلطان له إلاّ على من مكنه الله منه ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ﴾[4]، ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾الآية[5]،/ فكيده، وإن قوي يضعف بالرجوع إلى مالكه، كما يرجع في دفع شرّ الكلب العَقور إلى صاحبه. [9/أ]

وفي الحكم: إذا علمت أنَّ الشّيطان لا يغفل عنك، فلا تغفل أنت عمَّن ناصيتك بيده[6].

---

(1)- أورده النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (3/ 233)، والبقاعي في نظم الدرر(3/ 22).

(2)- إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝﴾[سورة الأعراف آية 15] وقوله:﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[سورة ص آية 81].

(3)- سورة الإسراء آية 64.

(4)- سورة الحجر آية 42.

(5)- سورة إبراهيم آية 24.

(6)- الحكم العطائية(ص81).

ومن حيث أنَّ الله جعله منديلاً تمسح فيه أوزار هذه الدار أدباً مع الله لـئلا يصـرح بنسبتها إليه تعالى، وإبقاء علىٰ العبد حتىٰ لا يستعظم المعصية فيقطعه ذلك عـن التوبـة؛ وقد قال موسىٰ عليه السلام:﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[1]، وفتـاه: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[2]؛ ويوسـف : ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[3] وهـذا مما مما اعتاده العام والخاص.

– ومن حيث أن عداوته تحمل علىٰ الاستعاذة بـالله منـه، فيتـولىٰ الله عبـده ويقربـه ويطرده عنه، فصار من وهن أمره يحوش عدوه إلىٰ رضىٰ ربه، علىٰ رغم أنفه.

قال في الحكم: جعله لك عدوا ليحوشك به إليه، فحاله في حصوله عكس مطلوبـه له[4].

قيل:

يـا واشِـياً حَسُـنَتْ فينَـا إِسَـاءَتُهُ   نَجَّى حِذَارُكَ إِنْسَـانِي مِـنَ الغَـرَق [5]

وقيل:

أَحْسَنتَ لي مِنْ حَيثُ لَا تَدْرِي وَإِن   كُنتَ المسـيءَ فَأَنْـتَ أَعـدلُ جائِرِ [6]

---

(1)– سورة القصص آية 14.

(2)– سورة الكهف آية 62.

(3)– سورة يوسف آية100.

(4)– الحكم العطائية(ص81).

(5)– أورده النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب(7/ 97).

(6)– ديوان ابن الفارض(ص80).

- وأمَّا تفخيم أمرها فلأنها مع قلة حروفها، سلاح يقاتل به المؤمن أعدىٰ الأعادي وذريته وخيله ورجله علىٰ كثرة عَدَدهم وعُدَدهم[1]، فينصره الله بها عليهم؛ ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2] ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[3].

الثامنة :

أنَّها جهاد للعدو الباطن، كما أنَّ قتال الكفار بالسيف والسلاح جهاد ظاهر، وهما عدوان، ظاهر يجاهد ظاهرا كما قال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[4] الآية/ [9/ب] الآية/ وباطن يجاهد باطن، كما قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾[5] الآية.

ومراد الله تعالىٰ في الثاني أقوىٰ، لأنَّك إن حاربتَ العدو الظاهر أوشكَ أن تُمَدَّ بالملائكة علىٰ ما يليق بك[6].

وأمَّا إن استعذت من الباطن فإنه لا يَبقىٰ له عليك سلطان ودخلت في زمرة المخلصين الذين استثناهم الشيطان من إغوائه رغما.

وأيضاً محاربة العدو الباطن أولىٰ لأنَّ ضرره في الدين، وضررُ الظاهر إن وجد ففي الدنيا.

---

(1)- إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ الإسراء، آية 64.

(2)- سورة المجادلة آية 21.

(3)- سورة المجادلة آية 19.

(4)- سورة التوبة آية 29.

(5)- سورة فاطر آية 6.

(6)- انظر تفسير ابن كثير(1/ 114).

وأيضا، إن غَلَبَنا الظاهر بلا إدْبارٍ كنا مأجورين، وإن غلبنا الباطن ولا يكون إلاَّ مع إدبارٍ كنَّا مأزورين.

وأيضاً من قتله الظاهر كان شهيداً، ومن قتله الباطن كان طريداً.

تعلم شفاءَ النفس فهم عدوها؛ فبالغ بلطف في التحيل والمكر؛ وذلك بالمواظبة على الاستعاذة بالله.

التاسعة:

أنَّ الاستعاذة تطرد إبليس عن القلب.

وقلب المؤمن أشرف البقاع، للحديث القدسي: «لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبد المؤمن»[1].

فهو بستان الإيمان والمعرفة، كما أنَّ الجنَّة بستان العارفين، وقد طرده الله تعالى من بستان العارفين، فَطَرْدُكَ له عن بستان المعرفة أحق وأولى.

وأيضا طَرَدهُ الله بعصيانه له و هو لا يضره، فطردك له بالاستعاذة لكونه يضرك أولى.

وأيضاً خرج بسببه من الجنة من أقسم أنه ناصح له، فكيف صنعُه مع من أقسم ليضلنه، فاستعذ بالله منه.

---

(1)- لا أصل له عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو مذكور في الإسرائيليات، وقال الزركشي: هو حديث باطل من وضع الملاحدة وبه صرح الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة (ص373)، وغيرهم انظر السلسلة الضعيفة رقم5103(11/ 179).

وأيضاً لما كان يراك هو وقبيله من حيث لا تراه كان وجه الخلاص منهم الاستعاذة منهم بمن يراهم ولا يرونه وهو الله.

العاشرة:

أنَّ الاستعاذة من قبيل الدعاء والذكر، فما ورد في مطلقها من الفضائل يجري فيها وورد في خصوصياتها من الفضائل ما هو مشهور في الكتب فلا نطيل به[1]؛ كحديث البخاري عن سُليمان بن صُرَدٍ، اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عند النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم وأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدِ احمَرَّ وجْهُهُ، فقال صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا هذا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» فَقَالُوا [لِلرَّجُلِ] أَلاَ تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ»[2].

واستعاذ نوح عليه السلام بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾[3] فخلع الله عليه خلعتين، السلام والبركات كما في بقية الآية.

وقال يوسف: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾[4]؛ فصرف الله عنه السوء والفحشاء.

وقال أيضاً: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾[5] ﴿وَرَفَعَ

(1)- انظر تفسير القرطبي(1/ 135)، وتفسير ابن كثير(1/ 20) وغيرهم.

(2)- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب باب الحَذَرِ من الغضَبِ رقم6115(1/ 3081)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم 2205(4/ 1729)، من حديث سليمان بن صرد.

(3)- سورة هود آية 47.

(4)- سورة يوسف آية 23.

(5)- سورة يوسف آية 79.

أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ﴾[1].

واستعاذ موسى عليه السلام في قوله: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2] فبرأه الله وأحيا له القتيل.

واستعاذت امرأة عمران لمريم وذريتها. ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾[3] وقالت مريم: ﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾[4] فبرأها الله على لسان ابنها وجعله سريا ذا مزايا عظيمة.

وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[5] الآية. ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ الآيتين[6] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[7] السورتين، والله تعالى أعلم.

اِنتهى ونجز والحمد لله رب العالمين.

---

(1)-سورة يوسف آية 100.

(2)- سورة البقرة آية 66.

(3)- سورة آل عمران آية 37.

(4)- سورة مريم آية 17.

(5)- سورة المؤمنون آية 98.

(6)-سورة الأعراف آية 200.

(7)- سورة الفلق آية 1.



التقييد السابع

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[1]

(1) سورة الزخرف الآية 60.



الحمد لله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾، ذكر المفسرون[1] والنّحويون في معنى «مِن» وجهين:

أحدهما: البدل، أي ولو نشاء [لجعلنا][2] بَدَلَكم ملائكة، كقوله: ﴿إِنْ يَّشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَاتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[3] والمراد تهديدهم على الردّ وقوة الجدل، لقوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[4].[5]

والثاني: الابتداء، أي ولو نشاء لجعلنا ملائكة ناشئين منكم متولدين بينكم، ولم نجعلكم خلقا مخترعا بلا أصل أبوين، فإنّ قدرتنا صالحة لذلك، كما صلحت لتوليد عيسى بلا أبٍّ؛ والخطاب على الوجهين للبشر عموماً.

وظهر لسيدنا السلطان المؤيد والعالم النحرير الأوحد، مولانا سليمان ابن مولانا محمد وجه ثالث، كتبه بخطه الشريف وتلقيناه منه بالمشافهة، وهو أن تكون «مِن» للبدل، ولكنّ الخطابَ خاصّ بالرسل، كأنّه قيل: ولو نشاء لجعلنا بدلكم أيها الرسل ملائكة يخلفونكم في دعوة البشر إلى الله، وتبليغهم عنه شرائعه وأحكامه، كما اقترحه الكفار غير مرة، فقال قوم نوح: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾[6]، وقال كفار قريش: ﴿لَوْلَآ

---

(1) ذكر الخلاف في ذلك الإمام القرطبي في تفسيره(16/ 105)، و أبي حيان في البحر المحيط (9/ 385-386).

(2) سقطت من الأصل واستدركتها من «ز».

(3) سورة إبراهيم آية 22.

(4) سورة الزخرف آية 58.

(5) انظر الدر المنثور(13/ 222).

(6) سورة المؤمنون آية 24.

أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾[1] ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾[2] ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[3] ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾[4]، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ الآية[5]. وهي ثلاثة ذكرها النيسابوري وغيره:

[16/أ] أحدها:/ أنّ الكفار لمّا سمعوا أنّ النّصارى يعبدون عيسى [قالوا][6]: إذا جاز أن يكون عيسىٰ ابن الله، جاز أن تكون الملائكة بنات الله، وأن تُعبد معه، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾[7]، أي ضربه الكفار ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أي المؤمنون منه، أي من المثل أو من ضربه ﴿يَصِدُّونَ﴾، أي يجزعون ويصيحون وقالوا-أي الكفار-: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾[8] يعنون عيسىٰ. انتهىٰ كلام النيسابوري في هذا الوجه[9].

فبيّن الله لهم حال عيسىٰ وأنّ النّصارىٰ مخطئون فيه خارجون عن حدّ الصّواب، فكيف تقتدون بهم وتقيسون مذهبكم علىٰ مذهبهم فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾[10] بالنّبوة والرّسالة، ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ علىٰ كمال قدرتنا، وعموم توقفها علىٰ الأسباب العادية؛ ثُمَّ قيل للرّسل ليسمع هؤلاء: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ

---

(1) سورة الفرقان آية 7.

(2) سورة التغابن من الآية 6.

(3) سورة المؤمنون من الآية 24.

(4) سورة الإسراء من الآية 94.

(5) سورة الإسراء من الآية 95.

(6) سقطت من الأصل واستدركتها من «ع».

(7) سورة الزخرف آية 57.

(8) سورة الزخرف آية 58.

(9) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري(6/ 97).

(10) سورة الزخرف آية 59.

لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ يا أيّها الرسل، أي بدلكم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾ يخلفونكم في الدّعوة، وهم ليسوا من أمٍّ ولا أبٍ، كما جعلنا عيسىٰ الذي هو من أمٍّ بلا أبٍ رسولاً مُنعماً عليه دَاعياً، فليس مخالفة عادة التّوالد في الشّخص بموجب كونه إلهاً مستحقاً للعبادة، ولا بموجب أن يكون فوق رتبة العبودية وما يليق بها.

ثانيها: أنّه لما نزل: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[1] قال ابن الزِّبِعْرَىٰ[2] للمصطفىٰ قد خصمتك فإنّ النّصارىٰ يعبدون عيسىٰ وأمّه، وعزير يُعبد، والملائكة يُعبدون، وإن كان هؤلاء في النّار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، فسكت صلىٰ الله عليه وسلم وفرح القوم وضجوا، فأنزل الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ الآية[3]، وأنزل هذه الآية[4].

والمعنىٰ، ولما ضرب ابْنُ الزِّبِعْرَىٰ عيسىٰ ابن مريم مثلا، قصداً للنقض والمعارضة ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾/ -قريش من هذا المثل- ﴿يَصِدُّونَ﴾ بالكسر والضم[5]، أي ترتفع لهم [16/ب]

---

(1) سورة الأنبياء من الآية 97.

(2) هو عبد الله بن الزِبعْرَي - بكسر الزاي وفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح الراء وبعدها ألفٌ مقصورة - بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي الشاعر، كان من أشد الناس علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ أصحابه بنفسه ولسانه، أسلم عام الفتح، وقتل يوم أجنادين فى خلافة أبى بكر شهيدا. انظر ترجمته في: الإصابة(4/ 87-88)، والاستيعاب لابن عبد البر(3/ 901-902).

(3) سورة الأنبياء من الآية 100.

(4) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، رقم12739(12/ 153)؛ والواحدي في أسبَاب النزول(ص206)، والحاكم في المستدرك رقم3449، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي(2/ 416) من حديث عبد الله ابن عباس. والزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف(2/ 370).

(5) قال القرطبي: «قرأ نافعٌ وابن عامر والكسائي ﴿يَصُدُّون﴾-بضم الصاد- ومعناه يُعْرِضون؛ قاله النَّخعيُّ، وكسر الباقون. قال الكسائي: هما لغتان؛ مثل يَعْرِشُون ويَعْرُشون يَنِمُّون ويَنُمُّون، ومعناه =

جلبة وصياح فرحاً وسروراً بما رأوا من سكوت المصطفى، فإنّ العادة جارية أنّ أحد الخصمين إذا انقطع أظهر الآخر الفرح، وقالوا: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا﴾ أي الأصنام خير أم عيسى، فإذا كان عيسى من حصب جهنم، كان أمر آلهتنا أهون.

وقيل: من قرأ بالضم من (الصدود)، أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق، انتهى كلام النيسابوري في هذا الوجه الثاني[1].

•

وعليه فقد أقروا بتفضيل عيسى على آلهتهم، فيكون معتقدهُم في عيسى كمعتقد النّصارى أو أقوى لأنّهم فضلوه، على ما يعتقدون استحقاقه العبادة من أصنامهم، فيكون عندهم أحق بأن يعبد، فبين الله تعالى الحق فيه بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ إلخ، ثمّ خاطب الرسل ليسمعوا بقوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ أيها الرسل ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾ يخلفونكم في الدعوة وهم أغرب من عيسى، إذ [وجدوا][2] بغير أب ولا أم، ولهم قوة في الخوارق أكثر من عيسى، ولا يأكلون ولا يشربون، ومع ذلك يدعون البشر إلى التوحيد ويعترفون بالعبودية للربّ المجيد؛ فخروج الشّخص عن عادة التوالد لا يوجب له استحقاق العبودية كما مرَّ.

= يَضِجُّون. قال الجوهري: وصَدَّ يَصُدُّ صديداً؛ أي ضَجّ. وقيل: إنه بالضم من الصدود وهو الإعراض، وبالكسر من الضجيج؛ قال قطرب، قال أبو عبيد: لو كانت من الصدود عن الحق لكانت: إذا قومك عنه يصدون. الفراء: هما سواء؛ منه وعنه. ابن المسيب: يصدون يضجون. الضحاك يَعجُّون. ابن عباس: يضحكون. أبو عبيدة: من ضم فمعناه يعدلون؛ فيكون المعنى: من أجل الميل يعدلون. ولا يعدى ﴿يَصدُّون﴾بمن، ومن كسر فمعناه يضجون؛ فـ (من) متصلة بـ (يَصِدُّون) والمعنى: يَضجون منه». تفسير القرطبي(19/ 66-67). وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة(2/ 205)، والنشر لأبي عمرو الداني(ص197).

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري(6/ 97).

(2) سقطت من الأصل واستدركتها من «ز» و «ع».

ثالثها: أنّه صلى الله عليه وسلم لما حكى أنَّ النَّصارى عبدوا المسيح، وأنَّ مَثَله عند الله كمَثَل آدم[1]، قال كفار مكة: «إنَّ محمداً يريد أن نتخذه إلها كما اتخذ النَّصارى المسيح إلها، وضجروا وضجوا، وقالوا: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعنون محمداً، وغرضهم أنَّ آلهتهم خير لأنّها، مما عبده آباؤهم وأطبقوا عليها فأبطل كلامهم بقوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ﴾ أي لم يضربوا هذا المثل لأجلك إلاّ للجدال/ والعنت دون البحث عن الحق، بل هم قوم [17/أ] عادتهم الخصومة والرد ثم قرر أمر عيسى بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾[2]» انتهى كلام النيسابوري في هذا الوجه[3].

وعليه فقرر لهم أمر عيسى وأنّه لا يزيد على كونه عبداً منعماً عليه بالنبوة والرسالة؛ فمحمد أيضاً لا يطلب زيادة على ذلك فلا تشنعوا أنّه يريد أن تعبدوه وتتخذوه إلها كعيسى، فإنَّه جاء بأن لا إله إلاّ الله وأنَّ عيسى لا يستحق عبادة، وإنَّما هو عبد خارج في إيجاده عن عادة التوالد، أرسله الله ولو شاء لأرسل من هو أغرب منه ملائكة، فلذلك خوطب الرسل ليسمعوا، فقيل: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا﴾ الرسل إلى البشر ملائكة وهم أغرب من عيسى ومع ذلك لا يستحقون أن يعبدوا، فكيف بعيسى فكيف بمحمد الذي ولد من أبوين كسائر البشر؟!

وذلك كله لا ينافي أن ينعم الله بالرسالة على من شاء من عباده سواءً كان ذا أبوين، أو أمّ بلا أبٍ، أو لا أب ولا أمّ، كآدم والملائكة، كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[4] والله أعلم.

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ آل عمران 58.

(2) سورة الزخرف آية 58.

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (6/ 97).

(4) سورة إبراهيم آية 14.

فإن قيل: كيف يصحّ خطاب الرسل والحاضر عند النزول إنّما هو واحد منهم، وهو محمد صلىٰ الله عليه وسلم؛ قلنا: حضور واحد يُسوغ خطاب الجميع تغليبا.

قال صاحب المطول: ومنه تغليب المخاطب علىٰ الغالب نحو، أنتَ وزيد فعلتما، وأنت والقوم فعلتم، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[1] فيمن قرأ بتاء الخطاب، والمعنىٰ ﴿عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ أنتَ يا محمد وجميع من سواك من/ المكلفين وغيرهم هـ[2]. [17/ب]

وبهذا تعلم أنَّ تغليب المخاطب علىٰ الغائب، لا فرق فيه بين أن يسبق فيه لذلك الغائب ذكرٌ في الكلام كالمثالين، أو لا يجري له ذكرٌ في الآية فيمن قرأ بتاء الخطاب، ونظيرها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[3] أي: أنت وأمتك، وقوله: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾[4] أي: وحيث ما كنت أنت وأمتك، والخطاب الأول إنّما كان معه وحده، فلا يمكن أن يعتبر خطابهم ابتداءً من غير تغليب، لامتناع أن يخاطب في الكلام الواحد مخاطب ثمّ يخاطب بذلك الكلام غيره ابتداءً، إلا أن يعطف نداء علىٰ نداء.

فإن قيل: كيف يخاطب الرسل بما يدل علىٰ أنّ الله تعالىٰ قادر علىٰ أن يخلفهم بالملائكة وهم عالمون قبل هذا الخطاب بفائدة الخبر ولازمها، أعني علم المتكلم بمضمونها.

---

(1) سورة البقرة من الآية73- 84- 148-139

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (6/ 97).

(3) سورة الطلاق من الآية 1.

(4) سورة البقرة من الآية 149.

قلنا: فائدة الخطاب هنا لا ترجع إلى المخاطبين، بل إلى غيرهم من السّامعين، كما قررناه، وهذا كثير في الكلام، وهو أن تخاطب شخصاً ليسمع غيره؛ ومنه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1] ومنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[2]، ليس القصد إعلامه بأنّه متصفٌ بما ذكر أو أنّ المتكلم عالم باتصافه به فليس المراد فائدة الخبر ولا لازمها بالنسبة للمخاطب؛ بل القصد أن يُسمع غيرهُ شهادة الله تعالى له بإرساله إلى العباد ووصفهُ لهُ بتلك الأوصاف العظام، فكذا في الآية التي نحن بصددها؛ فتبين أنّ كون الخطاب فيها/ للرسل ممكن صناعة ومعنى وارتباطا، وأنّه وجه وجيه وإن أغفله [18/أ] المفسرون فيما وقفنا عليه، فإنّا بعد البحث لم نر من نبه عليه، ولا أشار إليه، ولكن قرر الغزالي وغيره، أنّ التفسير بما يقبله اللفظ ولا مانع منه صناعة ولا معنى مقبول، وليس من التفسير بالرأي غاية الأمر أنّه إذا تعددت الوجوه المحتملة لا يقطع بشيء منها على التعبير.

ونقل في الإحياء عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنّه قال: «لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها»[3].

وفي البخاري عن أَبِي جُحيفةَ قال: «قلتُ لعليٍّ هل عِندكُمْ كتابٌ؟ قال: لا، إلاَّ كِتاب الله، أو فهمٌ أُعْطِيَهُ رَجلٌ مُسلمٌ»[4]. وفي رواية، «إلا فهماً يعطاه رجل في الكتاب»[5].

---

(1) سورة الزمر من الآية 62.

(2) سورة الأحزاب آية 45/ 46.

(3) إحياء علوم الدين (1/ 289).

(4) كتاب بدء الوحي باب كتابة العلم رقم 111(1/ 38).

(5) أخرجه المحاملي في أماليه (ص182).

وقال الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني[1]: «وقد أجمع العارفون، علىٰ أنّ كلام الله تعالىٰ واسع يقبل جميع ما فسره به المفسرون، لأنّه تعالىٰ قد خاطبهم بجميع ما يقبله استعدادهم فما من وجه مقبول، فَهمه عباده إلا وهو مقصود لله تعالىٰ من تلك الكلمة بالنظر إلىٰ فهم الشّخص الذي فهم منها ما فهم، حيث لم يخرج في فهمه عما يؤديه كلام العرب، فإن خرج عما يؤدي إليه كلام العرب فلا فهم ولا علم، وهذا من خصائص كلام الله سبحانه؛ وأمّا كلام المخلوقين فقد يكون بعض التفسير غير مقصود لصاحب الكلام، فاعلم ذلك واعمل به علىٰ جلاء مرآة قلبك لتفهم كلام ربك» انتهىٰ، والحمد لله رب العالمين.

[18/ب] وقال الشيخ السنوسي رحمه الله: «عجائب القرآن والحديث لا تنقضي/ إلىٰ يوم القيامة كل قرن لابد له أن يأخذ فوائد جمة خصه الله بها وضمها إليه لتكون بركة هذه الأمة إلىٰ قيام الساعة».

وقال عليه الصلاة والسلام: «أمتي كالمطر لا يُدْرَىٰ أوله خير أم آخره» انتهىٰ[2].

وبهذا تعلم صحة قول الشاعر:

كَم تَـرك الأَول للآخـر ... وَلا يُنافي فيهِ قَول الآخر
لمَ يَدع مَنْ مَضَى للذّي قَدْ غَبر ... فَضل عِلم سِوَى أَخذِه بِالأَثر

---

(1) هو أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبة إلىٰ محمد ابن الحنفية، الشعراني، من علماء المتصوفين، له تصانيف منها: «طبقات الشعراني الكبرىٰ» و«الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر» و«إرشاد الطالبين إلىٰ مراتب العلماء العالمين»(ت973هـ). انظر ترجمته في: الأعلام(4/ 180). ومعجم المؤلفين لكحالة(6/ 218).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم3660(4/ 78) وابن عبد البر في التمهيد (20/ 252) وقال ابن حجر في(الفتح): له طرق قد يرتقي بها إلىٰ الصحة(7 / 6).

لأنَّ ما يفتح الله علىٰ المتأخر لا يخلوا من أخذ بأثر المتقدم، كيف والمتقدمون هم الذين بينوا المسالك، وحرروا المدارك، ومهدوا القواعد والأصول، وفتحوا لمن بعدهم باب المنقول والمعقول؛ لكن يدخر الله سبحانه لكل عصر مسائل يستخرجونها من القوة إلىٰ الفعل، ويفصلونها تفصيلا لم يسبقوا به لسريان المدد المحمدي في الجميع.

ولقد أجاد ابن مالك إذ يقول في خطبة تسهيله: «وإذا كانت العلوم منحاً إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر فهمه علىٰ كثير من المتقدمين»[1].

فتح الله بصائرنا للعلم النافع الموصل إلى رضاه بجاه سيدنا محمد ممد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

(1) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد(ص20).



التقييد الثامن:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ﴾[1]

---

(1) سورة المؤمنون من الآية 4.



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من لا نبي بعده

الزكاة مفعول فاعلون، والأصل فاعلون الزكاة، فزيدت اللام المقوية للعامل لضعفه؛ بكونه فرعا في العمل عن الفعل وبتقديم معموله[1].

والزكاة تطلق على المعنى المصدر، وهو: إخراج القدر الواجب من النصاب/ وعلى [12/أ] المعنى الأسمى، وهو: القدر الذي وجب إخراجه من النصاب[2].

وهذا كلام صاحب الكشاف[3] ممزوج بما يوضحه من الشرح قال: **والزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى، فالعين: القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب إلى الفقير، والمعنى: فعل المزكي الذي هو التزكية، وهو الذي أراده الله، فجعل المزكين فاعلين له ولا** يسوغ على الراجح فيه، أي في لفظ الزكاة هنا غيره أي غير معنى التزكية؛ **لأنه ما من مصدر إلا يعبر عنه بالفعل، ويقال لمحدثه: فاعل له، تقول للضارب: فاعل الضرب، وللقاتل: فاعل القتل، وللمزكي: فاعل التزكية، وعلى هذا الكلام كله، والتحقيق فيه،** أي: في تعدي فعل إلى العيان والمعاني **أنك تقول في جميع الحوادث من فعل هذا؟ فيقال لك: فاعلهُ الله** أي: سواء كان عيناً أو معنى غير مكتسب لمخلوق، **أو يقال: فاعله بعض الخلق** إن كان معنى مكتسباً لمخلوق كالضرب والإحسان، **ولم تمتنع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون** وتكون معنى المفعولة لأجل خروجها **عن صحة إن يشاء ولها الفاعل،** بل الفاعل وهو الحق سبحانه يفعلها ويتناولها ويخلقها **ولكن إنما امتنع في**

(1) قال الراغب: «وليس قوله: ﴿لِلزَّكَوٰةِ﴾ مفعولا لقوله: «فاعلون»، بل اللام فيه للعلة والقصد» إلى أن قال: «أَصلُ الزَّكاةِ النُّموُّ الحاصلُ عن بركة اللهً، عز وجل، ويعتبر ذلك بالأُمور الدّنيويَّة والأُخروية، يقال: زكا الزَّرع يَزكُو إذا حصل منه نموٌّ وبركة» مفردات القرآن(1/ 380-381).

(2) تفسير البيضاوي(4/ 147).

(3) انظر تفسير الكشاف، وميزت كلام الزمخشري بخط غليظ(3/ 176-177).

الآية إرادتها، **لأنّ** المراد في الآية زكاة الخلق، فلا يراد بها بالنسبة إليهم الأعيان، **لأنّ الخلق** ليسوا **بفاعليها** وإنّما فاعلها الله وحده.

وأنشدوا لأمية بن أبي الصلت:

مطعمون الطعام في السنة الأ زمة والفاعلون للزكوات[1]

أي العطايا تقربا لله، ويوجد في نسخ الكشاف، المطعمون بـ«أل»، والوزن لا يقبل ذلك فيكون خزما وهو أقبح ما يرى كما في الخزرجية.

ويجوز أن يراد بالزكاة في الآية العين ولكن يقدر مضاف محذوف وهو الأداء بعد لام الجر؛ والتقدير (والذين هُم لأداء الزكاة فاعلون) **وحمل البيت على هذا**[2]، أي حذف المضاف **أصح** منه في الآية، لأنها أي الزكاة **فيه** أي في البيت **مجموعة** باعتبار تنوع المخرج قدراً وجنساً ولا تنوع في نفس التزكية أي الإخراج وإنّما التنوع في المخرج.

قلت: ولنا وجه ثالث، لا يحتاج إلى تقدير مضاف مع كون الزكاة بمعنى الجزء المخرج، وهو أن يضمن/ فاعلون معنى مؤدّين كأنّه قيل: (والذين هم للزكاة مؤدون) [13/ب] والمؤدي: هو الأعيان لا المعاني.

فإن قلت: إذا جعل الزكاة بمعنى التزكية كانت نفس الفعل، فكيف يقع الفعل على الفعل وليس ثمّ إلاّ فعل واحد؟

---

(1) أورده الزمخشري في الكشاف (3/ 176).

(2) أعقب أبو حيان على هذا البيت بقوله: «وعلل ذلك بجمعها يعني أنها إذا أريد بها العين صح جمعها، وإذا أريد بها التزكية لم تجمع لأن التزكية مصدر، والمصادر لا تجمع وهذا غير مسلم بل قد جاء منها مجموعاً ألفاظ كالعلوم والأشغال، وأما إذا اختلفت فالأكثرون على جواز جمعها وهنا اختلفت بحسب متعلقاتها فإخراج النقد غير إخراج الحيوان وغير إخراج النبات والزكاة في قول أمية مما جاء جمعاً من المصادر، فلا يتعدى حمله على المخرج لجمعه». البحر المحيط(6/ 392).

قلنا: لفظ المصدر كالزكاة يقع على الإيجاد نفسه وعلى الهيئة الحاصلة بالإيجاد[1]، ويسمى المعنى الحاصل بالمصدر كالهيئة المسماة بالصلاة من مجموع الحركات والسكنات، فإنّها غير إيجاد تلك الهيئة فيكون المراد بفاعلون نفس الإيجاد، وبالزكاة هيئة مناولة المخرج وتسليمه، ذكره سعد الدين وغيره[2].

ولك أن تقول: الفعل أعم من التزكية، والتزكية فعل خاص فجعل الخاص من حيث خصوصُه مفعول العام من حيث عمومُه.

فصحّ أنّ التزكية مفعولة لا نفس الفعل.

ثمّ قال في الكشاف[3]: **على أزواجهم في موضع الحال** أي متعلق بحال مقدر بعد إلا، وصاحب الحال الضمير المستتر في حافظون وعاملها حافظون **أي** والذين هم حافظون لفروجهم في كل حال[4]، إلاّ في حال كونهم والين على أزواجهم أو قوامين عليهن، فحذف المتعلق وهو لفظ والين أو قوامين الذي هو نفس الحال وجيء بـ«على» لاستعلاء الزوج على زوجته بالولاية والقيام، من باب قولك: **كان فلان على فلانة،** والاستعلاء معنوي؛ لأنّه مرتفع عليها بالقهر والتصرف والنظر في أمورها؛ لكونها في عصمته وفي قبضته، وكذا في قولك: «**فمات عنها فخلفه عليها فلان**»، أشير بـ«على» إلى الاستعلاء المعنوي وهو ما قررناه؛ **ونظيره** في العلو المعنوي بمعنى التصرف والنظر قولك: **كان زياد على البصرة، أي واليا عليها، ومنه قولهم: فلانة تحت فُلان**؛ لأنّه إذا كان عليها معنى كانت تحته معنى أي تحت ولايته وتصرفه ونظره؛ **ومن ثمّ** أي من هنا وهو كونها تحته معنى **سميت المرأة فراشاً**؛ لأنّها كالفراش في ارتفاقها لها واستخاره لها

(1) البحر المحيط (6/ 392).

(2) مختصر تلخيص المعاني لسعد الدين التفتازاني(ص272).

(3) تفسير الكشاف (3/ 177).

(4) انظر بيان ذلك في البحر المحيط(6/ 285-286).

بما له عليها من العلو والسلطنة، والمعنىٰ في الآية باعتبار تقدير المتعلق وباعتبار المتعاطفين بعد (إلاّ) **أنّهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال إلاّ في حال تزوجهم أو تسريهم**، والداعي إلىٰ هذا التقديران حفظ/ [14/أ] لا يتعدىٰ بـ«علىٰ» بل بـ«من» نحو: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾[1] فلما جيء في الآية بـ«علىٰ» احتيج إلىٰ التأويل.

وهذا الذي تقدم أحد أوجه ثلاثة ذكرها، لكن فيه بحث، وهو أنّه تقدير لا يفيء بمقصوده الآية، لأنّ من حفظ فرجه إلىٰ أن تزوج أو تسرىٰ ثمّ باشر به من لا تحل له يصدق عليه أنّه حافظ لفرجه في كافة الأحوال إلاّ في حال تزوجه أو تسريه، وكونه واليا علىٰ زوجته أو سريته وقيّما عليها؛ لأنّ هذا وصف لازم لهُ بعد التزوج أو التسري، فيبقىٰ الكلام محتاجاً إلىٰ دعامة من خارج، فالأولىٰ أن يبدل هذا الوجه بكون «علىٰ» بمعنىٰ عن التي للمجاورة، كقوله: [من الوافر]

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ[2]

أي هم حافظون لفروجهم لا يطلقون ولا يرسلون علىٰ أحد إلاّ علىٰ أزواجهم **بمحذوف قبلها يدل عليه قوله: بعد ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ فكأنّه قيل:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[3] **فإنّهم لو لم يحفظوها يلامون إلاّ على أزواجهم أي يلامون على كل مباشَر** -بفتح الشين- **إلاّ علىٰ ما أطلق لهم من أزواجهم وسراريهم فإنّهم غير ملومين عليه.**

---

(1) سورة الحجر آية17.

(2) البيت لقُحَيْفُ العُقَيْلي، يمدح حكيم بن المسيب القشيري وتتمته:

لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

انظر، خزانة الأدب(4/ 247).

(3) سورة المؤمنون من الآية5، وسورة المعارج آية29.

ثمّ أشار إلى التخريج الثالث بقوله: **أو تجعله** أي تجعل أنت على **صلة الحافظين** من باب تعديتها بـ«على» في قولك: **احفَظْ عَلَيّ عِنانَ فرسي**، أي أمسكهُ علي، **على تضمينه** أو تضمين حافظون **معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله إلاّ فعلت معنى** النفي، **أي ما طلبت منك إلاّ فعلك**؛ والمعنى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ممسكون ثمّ لا يطلقونها ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾[1]، وظاهر الكشاف أنّ تضمن معنى النفي خاص بالوجه الثالث؛ وهو إنّما يتمشى عند التفريغ في الإيجاب كابن الحاجب، وأمّا على رأي الأكثرين من منعه فلا بد من معنى النفي في الأوجه الثلاثة[2]، ولذلك احتجُوا في قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾[3] إلى صل يأبى على لا يريد أي لا يريد الله إلاّ إتمام نوره وفي قوله:/ [15/ب]

وبِالصّريمَة منهُم مَنزل خلق ... عاف تغيراً إلاّ النّوى والوَتَد[4]

إلى حمل تغير على لم يبق على حاله منه إلاّ النّوى والوتد، فيكون المعنى في الوجه الأول، والذين لا يتركون حفظ فروجهم في حال الأولين على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم؛ وفي الوجه الثاني: لا يترك لومهم على مباشر إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت

---

(1) سورة المؤمنون من الآية6، وسورة المعارج آية30.

(2) وقال أبو حيان بعدما ذكر ذلك عن الزمخشري: «يعني أن يكون حافظون صورته صورة المثبت وهو منفي من حيث المعنى، أي والذين هم لم يحفظوا فروجهم إلا على أزواجهم، فيكون استثناء مفرغاً متعلقاً فيه على بما قبله كما مثل بنشدتك الذي صورته صورة مثبت، ومعناه النفي أي ما طلبت منك. وهذه التي ذكرها وجوه متكلفة ظاهر فيها العجمة». انظر البحر المحيط(6/ 287).

(3) سورة التوبة 32.

(4) ذكره العكبري في التبيان في إعراب القرآن(1/ 85).

أيمانهُم؛ وفي الثالث، لا يتركون إمساكها علىٰ أحدٍ إلاّ علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، وهو معنىٰ التقدير السابق أيضاً، والله سبحانه أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، [وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وسلم] [1]، انتهىٰ./ [16/أ]

(1) استدركتها من «ح».

التقييد التاسع:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1]

(1) سورة فاطر من الآية 28.



الحمد لله كتب أمير المؤمنين الخليفة الهمام أبو الربيع مولانا الإمام سليمان الشريف الحسني نصره الله، إلى شيخ شيوخنا الحافظ الألمعي النحرير الدراكة اللَّوْذَعي أبي محمد سيدي الطيب بن كيران في السؤال عن قراءة من قرأ: ﴿يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ برفع اسم الجلالة ونصب العلماء، ما وجه هذه القراءة وكيف تتخرج؟

فأجاب بما صورته: الحمد لله رفع اسم الجلالة ونصب العلماء هي قراءة عمر بن عبد العزيز، وحكيت عن أبي حنيفة[1] كما في الكشاف[2] وغيره[3]، وتتخرج على أحد وجوه[4] خمسة:

الأول: أنّ الخشية استعارة تصريحية وذلك، أنّ الخشية في الأصل بمعنى الخوف كما فسرها به/ صاحب القاموس وغيره[5]، فاستُعيرت[6] للإجلال والتعظيم بجامع [17/أ] الإرضاء وترك ما يكره، واشتق الفعل من المصدر المستعار، فكانت الإستعارة في

(1) وقد ردّ الإمام ابن الجزري على من نسبها إلى أبي حنيفة بقوله: «قلتُ: وقد رُويت الكتاب المذكور- يقصد الكتاب الذي جمعه أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْخُزَاعِيُّ ونقله عنه أبو القاسم الهُذليُّ وغيره، ونسبه إلى أبي حنيفة، ورده جماعة كالدارقطني وغيره وأنه موضوع لا أصل له- ومنه: (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ) برفع الهاء ونصب الهمزة، وقد راج ذلك على أكثر المفسرين ونسبها إليه وتكلف توجيهها، وإنّ أبا حنيفةَ لبريءٌ منها». النشر في القراءات العشر (1/ 16).

(2) ينظر تفسير الكشاف(3/ 611). وتفسير الكشف والبيان للثعلبي(8/ 105).

(3) تفسير القرطبي(14/ 345).

(4) في «و» «أوجه».

(5) القاموس المحيط للفيروزآبادي(ص1651).

(6) في «و»، «فاستعيرت».

المصدر أصلية، وفي الفعل تبعية؛ والمعنىٰ إنَّما يجلُّ اللهُ ويعظِّمُ من عبادهِ العلماءَ[1]، وهذا الوجه أرجح الوجوه وأحسنها[2].

ثانيها: أنّها استعارة تمثيلية، بأن يشبه[3] حاله تعالىٰ في رضاه علىٰ العلماء وإكرامه لهم، بملك يجل بعض عبيده ويعظمهم عن[4] سائرهم، لما يخشىٰ من فوات مصلحة من قبيل ذلك البعض، وهذا ظاهر ما في الكشاف[5].

ثالثها: أنّه[6] مجاز مرسل بناء علىٰ ما فسربه محمد بن جعفر البكالي وغيره الخشية، من أنّها مهابة يصحبها تعظيم[7]، فأطلقت علىٰ التعظيم والإجلال مجرداً عن المهابة، أي الخوف مجازاً مرسلاً من استعمال اللّفظ في جزء معناهُ أو في لازمه، بناء علىٰ أنّ التّعظيم جزء من مسمىٰ الخشية، أو لازم المهابة التي هي مسماها يحتملهما.

رابعها: أن تكون الخشية بمعنىٰ العلم[8]، كما فسرت به في آية: ﴿فَخَشِينَآ أَنْ

---

(1) قال أبو البقاء العكبري: «و(كذلكَ): في موضعِ نصبٍ؛ أي اختلافاً مثل ذلك. والعلماءُ بالرفع، وهو الوجه، ويقرأُ برفعِ اسم(اللهِ) ونصب (العلماءِ) علىٰ معنىٰ: إنّما يُعظّمُ اللهُ من عبادهِ العلماءَ».التبيان في إعراب القرآن(2/ 1075).

(2) انظر، البحر المحيط(7/ 295).

(3) في «و»، «شبه».

(4) في «و»، «علىٰ».

(5) ينظر تفسير الكشاف(3/ 611).

(6) في «و»، «أنها».

(7) انظر قواعد التصوف لزروق(ص279).

(8) جامع البيان للإمام الطبري(18/ 204). تفسير القرطبي(14/ 344).

يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾[1] أي فعلمنا، وهو مجاز مرسل، أيضاً لأنّ الخشية موضوعة بمعنىٰ الخوف، كما في القاموس[2]، لكن خوف الشيء من مبادئ تيقنه والعلم به، فكثيرا ما يؤول إلى العلم، فاستعمال الخشية فيه من باب إطلاق على ما يؤول معناه إليه غالبا، وقد استعمل الخوف في العلم عمر بن أبي ربيعة: [الطويل]

إِذا مُتُّ فادْفِنِّي إلى جَنْبِ كَرْمةٍ ... تُرَوِّي عظامي في الممات عُروقُها
ولا تَدْفِنَنِّي في الفَلاةِ فإِنَّني ... أَخافُ إِذا ما متُّ ألا أذوقها[3]

أي أعلم أنني لا أذوقها بلساني، فاطلب أن تدفنني إلى جنبها لتروى عظامي بدل ذواقها؛ ولاستعماله الخوف بمعنى العلم، أتى بـ«إن» المخففة بعده، وهي لا تقع بعد فعل غير علمي، لكن إنما يصح[4] تفسير الخشية في الآية بالعلم[5]، إن جعلت «إنما» لمجرد التأكيد لا للحصر[6].

---

(1) سورة الكهف آية 79.

(2) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي (4/ 368).

(3) هذه الأبيات قالها أبو محجن الثقفي وليست لعمر بن أبي ربيعة، انظر ديوان أبي محجن (ص62). ونسبها له صاحب لسان العرب مادة «فنع» (8/ 257).

(4) في «و»، «ينتظم».

(5) في «و»، «بالعلم في الآية».

(6) قال ابن السبكي: «(إنّما) قال الآمدي وأبو حيان: لا تفيد الحصر وأبو إسحاق الشيرازي والغزالي والإمام الرازي تفيد فهما، وقيل نطقا، وبالفتح الأصح...ثم ادعى الزمخشري إفادتها الحصر» انظر جمع الجوامع (ص24-25).

خامسها: أن يكون من قلب الإعراب لا من اللبس، وظهور المعنى كقولهم: «خرقَ الثوبَ المسمارُ» «وكسر الزجاجَ الحجرُ»؛ وقد خرج على ذلك قراءة ابن كثير[1]، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمَ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٌ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[2].

[18/أ] والله تعالى أعلم وهو سبحانه الموفق انتهى.

---

(1) قال القرطبي: «قرأ ابن كثير: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمَ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٌ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ والباقون برفع «آدم» ونصب «كلمات» والقراءتان ترجعان إلى معنى، لأن (آدم) إذا تلقي (الكلمات) فقد تلقته». تفسير القرطبي (1/ 484).

(2) سورة البقرة من الآية 36.

التقييد العاشر:

اعتراض على الزمخشري في الكشاف



الحمد لله حق حمده، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد و علىٰ آله وجنده، كان مراد مولانا الإمام المؤيد، أبقىٰ الله سعادته ومجادته علىٰ الأبد، مناقشة الزمخشري[1] في عدوله في الآية[2] عن الحقيقة إلىٰ المجاز مع أنَّ حملها علىٰ ظاهرها ممكن، وهو الـمَهْيَع المطروق الوارد عن السلف، الذين هم أعلم بتأويل كتاب الله ومحامله الحقيقية والمجازية، وأدرىٰ بأساليب كلام العرب وما يتبادر من كلامهم ومَا لَا، وقد عد في المغني[3] في الأمور التي يدخل علىٰ الـمُعْرَب الخلل من جهتها؛ أن يترك الوجه القريب الظاهر لغير مانع، ويقتصر علىٰ الوجه البعيد؛ ومن المعلوم أنَّه لا يصار إلىٰ المجاز مع ظهور الحقيقة وعدم المانع منه[4] لغة وشرعاً[5].

---

(1) هو الإمام الكبير أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ولد سنة 467هـ، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلىٰ الجرجانية (من قرىٰ خوارزم) فتوفي فيها سنة 538هـ، له تأليف كثيرة منها: «أساس البلاغة»، و«المنهاج في أصول الدين»، يبقى أبرزها «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»، فهو تفسير لم يسبق مؤلفه إليه، أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن، ولما أظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته وأبدع في ذلك؛ فكان الزمخشري معتزلي العقيدة وقد أثارت آراؤه في الكشاف مناقشات وردود بين العلماء، و تصدىٰ له غير واحد من العلماء من أبرزهم أبو حيان الأندلسي(ت745هـ)، وغيره كالشيخ الطيب بن كيران كما سيأتي معنا. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان(5/ 168). والأعلام(7/ 178).

(2) في قوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب 75 ، وانظر تفسير البيضاوي(4/ 389).

(3) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري(ص569).

(4) في «و» «منها».

(5) انظر جمع الجوامع لابن السبكي(ص29-30).

فإنَّ حاصل وجهي الزمخشري[1]، أنَّ العرض لم يقع حقيقة علىٰ تلك الجمادات، ولكن في الوجه الأول حالها في انقيادها لما خلقت له، وهو المراد بسجودها في آية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ﴾[2] إلخ، كحال من حمل أمانة فأداها، ولم يحمل وزرها علىٰ ظهره بالخيانة فيها علىٰ سبيل الاستعارة التمثيلية[3]، وإنَّما خان فيها الإنسان بتضييعه [مقتضى][4] الأمر والنهي فحمل وزرها، فالحمل في قوله: ﴿أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾[5]، حمل الوزر بالخيانة، وذلك خاص بالآدمي والشياطين دون سائر المكونات المنقادة لما سُخِّرت له.

وفي الوجه الثاني، جعلت بحيث لو عرض عليها من التكليف[6] ما حملَهُ الإنسان لضجت وعجت منه، وخافت عاقبته، فشبه حالها بحال من يصلحُ للعرض عليه فيحصل منهُ الردّ أو القبُول علىٰ سبيل الاستعارة التمثيلية [أيضا][7]؛ والذي قاله ابن عباس[8]، وابن جبير[9]، وابن جريج[10]، وأبو العالية[11]، ومجاهد[12]،

---

(1) تفسير الكشاف للزمخشري(3/ 564).

(2) سورة الحج من الآية18.

(3) الاستعارةُ التمثيلية تركيبٌ استُعْمِلَ في غير ما وضِع له لعلاقة المشابهةِ مع قَرينةٍ مَانعةٍ مِن إرادة معْناهُ الأَصْليِّ. وهي تشبيه صورة بصورة أخرىٰ لما بينهما من صلة من حيث المعنىٰ ثمّ تحذف الصورة الأولىٰ أي المشبّه ويبقىٰ المشبّه به. انظر: البلاغة الواضحة لمصطفىٰ أمين(ص119).

(4) استدركتها من «و».

(5) سورة الأحزاب من الآية72.

(6) في «و»، «التكاليف».

(7) استدركتها من «و».

(8) أخرجه الطبري(20/ 337).

(9) نفس المصدر.

(10) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره(10/ 3159).

(11) نفسه.

(12) أخرجه الطبري(20/ 337).

وقتادة[1]، وغيرهم[2]: أنَّ العرض حقيقة، وأنَّ الله تعالىٰ خلق لهذه الجمادات إدراكاً وفهماً، ثمَّ عرض الأوامر والمناهي علىٰ السماء الدنيا، ثمَّ التي تليها حتىٰ فرغ منها ثمَّ علىٰ الأرضين ثمَّ علىٰ الجبال، وأعلمهم أنَّهم إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم، فكرهُوا ذلك وأشفقوا من غير معصية منهم ولكن/ تعظيما لدين الله ألاَّ يقوموا به فضججن إلىٰ [48/أ] الله ثلاثة أيام ولياليهن فقلن ربنا لا طاقة لنا بالعمل ولا نريد الثواب.

وقد عرض عمر بن عبد العزيز العمل علىٰ محمد بن كعب فأبىٰ عليه فقال عمر: «أتعصيني؟ قال يا أمير المؤمنين، أخبرني عن الله حين عرض الأمانة علىٰ السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، هل كان ذلك منها معصية؟ قال: لا فتركه في العمل[3]. ثمَّ عرضها الله علىٰ آدم وأعلمه أنَّ السموات والجبال لم تطقها فقبلها بما فيها فما كان إلاَّ قدر ما بين الظهر والعصر»[4]، وروي، «إلىٰ الليل حتىٰ ارتكب الأكل من الشجرة فأُخرج من الجنة»[5] وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوماً﴾[6] أي نفسه بما ارتكب، جهولاً في ردِّ أمر الله وعاقبة ما تحمل.

هذا حاصل الآثار المنقولة في الدرِّ المنثور[7]، وفيه تفسيرُ الإنسان بآدم، والظاهرُ، أنَّ المراد الجنس وإن كان الحامل لها أولا في آدم.

---

(1) أخرجه الطبري(20/ 336).

(2) تفسير ابن أبي حاتم (10/ 3159). والدر المنثور(12/ 157-158-159-160).

(3) أخرجه أبو نعيم في الحلية(5/ 312).

(4) أخرجه الحاكم، في مستدركه رقم3580(2/ 458)، وقال: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه». وابن جرير الطبري في تفسيره(20/ 337).

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير(20/ 337).

(6) سورة الأحزاب من الآية72.

(7) الدر المنثور(12/ 157-158-159-160).

ومن فَسر الأمانة بالجوارح الكاسبة للخير والشرِّ فهو آئل إلىٰ تفسيرها بالأوامر والنواهي المتعبد بها في تلك الجوارح.

ولا يقال في حمل العرض والإباء علىٰ ظاهرهما إدعاء خلق الإدراك للجماد وهو خلاف الأصل فمن ثم شكه الزمخشري؛ لأن نقول: ليس خلق الإدراك والفهم لها ولأمثالها بعزيز في الشريعة، بل هو أكثر من أن يحصىٰ وانظر قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[1] ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[2]؛ بل محصل الآثار أنَّ جمادية الجمادات إنَّما هي إلينا لا بالنسبة لمعرفة الخالق والله أعلم.

وزاد البيضاوي وجها آخر في الآية فقال: «ولعل المراد بالأمانة العقل والتكليف واعتبارها بالإضافة إلىٰ استعدادهن، وبإبائهن الإباء الطبيعي، الذي هو عدم اللياقة والاستعداد، ويحمل الإنسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية، فهو علة لحمله لها، فإنَّ من فوائد العقل أن يكون مهيمنا علىٰ القوتين حافظا لهما من التعدي ومجاوزة الحد، ومعظم مقصود التكليف تعديلهما بكسر سورتهما»[3]، والله سبحانه أعلم انتهى. [49/ب]

---

(1) سورة فصلت آية10.

(2) سورة الإسراء من الآية44.

(3) ينظر تفسير البيضاوي(4/ 389).

التقييد الحادي عشر:

اعتراضه على البيضاوي



الحمد لله الهادي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم، المفيض بسجال سعادة الدارين علىٰ من أصله لفضله العميم، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد ذي الخلق العظيم، والمدد الساري في كل ذي وصف كريم، وعلىٰ آله أولي المجد الصميم، وصحابته ذوي المنصب الفخيم.

وبعد؛ فقد بلغني كتاب مولانا فخر السلاطين، وغرّة الملوك المهتدين، فنشر علي عقود جمان لم يكن لي عهد بمثالها، فلقد أجاد النظر، وأحسن الورد والصدر، وحقّق فبهرَ، وَبَحثَ فَأبرزَ ما استتر، فلله درُّهُ من إمام جامع لأحاسن المحاسن، وهمام به ردّ عجز هذه الأمة علىٰ صدرها، وراد والتقىٰ أنهارا من ماء غير آسن، ثم إنه أثار من مسرّة وهزّ من عطف ما ألبسني بثنائه من حلي وحلل أضافها إلي وجعلها وصفي، وما هي إلا إضافة تخصيص وتعريف، وجزءا يزيد رفعا في محله المنيف، والله يعلم مني ما أرجو أن يسبل عليه ستر الفضل والمغفرة، وأن لا يبديه لمن يفتضح بينهم في الدنيا والآخرة بمنه ويمنه.

ولنرجع إلىٰ المقصود فنقول: ما اعترض به سيدنا علىٰ البيضاوي[1]، وارد عليه أي ورود عن تحكيم العبارات ومنعها من الانحراف والشرود والجري علىٰ مقتضىٰ اللّفظ

(1) هو العلامة المفسر أبو الخير عبد الله بن عمر بن علي الشيرازي، القاضي ناصر الدين البيضاوي. ولد في المدينة البيضاء وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلىٰ تبريز فتوفي فيها سنة685هـ وقيل: 691هـ؛ ويعد تفسيره: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، من المصادر المعتمدة، جمع فيه رحمه الله بين التفسير والتأويل، واختصر فيه الكشاف للزمخشري، وحذف ما فيه من الاعتزال، فاعترض عليه العلماء قديما وحديثا في تفسيره علىٰ بعض الآيات، وبخاصة الآيات الكونية، كما اعترضوا علىٰ الزمخشري، وقد اعترض عليه الشيخ الطيب بن كيران علىٰ تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب75] كما سيأتي معنا في هذا التقييد. انظر ترجمته في: بغية الوعاة للسيوطي(3/ 51)؛ والأعلام(4/ 110).

إفراداً و تركيباً، والأخذ بمغزاه سياقاً وترتيباً، وبأدنى أي نهي من ذلك يناقش العلماء بعضهم بعضا، ويؤاخذ النقاد البصراء من يتساهل في التعبير ولا يحترز عما يوهم ما لا يرضى؛ لكن لمعتذر يرى صدور مثل تلك العبارات عما يشار إليه بالبنان في ميدان التحقيق وحسن البيان، أن يصرفها عن السماجة، ويعالجها بتأويل تمس إليه الحاجة.

فلعل مراد البيضاوي[1] أن الآية يصح فيها ذلك المحمل على ضرب من التأويل، وهي أن تكون من ذوي التصوير والتمثيل، فلا يكون ثمّ عرضٌ، ولا اختبارٌ، ولا إباءٌ، ولا إشفاقٌ على الحقيقة، ولا عرضٌ على الإنسان أيضا وقبول منه على تلك الطريقة، وإنما المعنى أن الله له حكمة بالغة في كل شيء، فكما ميّز بين المخلوقات بالذوات والهيئات، ميّز بينها بالخواص/ والصفات، وخلق السماوات والأرض والجبال على [50/أ] صفة لا يليق بها التكليف بالأفعال الاختيارية وترتب الثواب والعقاب، وعلم منها أنها لا تصلح لذلك وإنما تصلح للطاعة الطبيعية، دون الاختيارية المتعلق بها التكليف[2].

والطاعة الطبيعية[3]، هي الانقياد لمراد الحق سبحانه والتسخر لما سخرت له في الأرض، لإخراج أنواع النبات والمعادن وجري الأنهار والبحار، وكونها مقرا للحيوانات وحفر الآبار وغيرها، والعمل فيها بالمعاول والأبنية والزراعات، إلى غير ذلك.

وعلى هذا القياس غيرها وخلق الإنسان على صفة يصلح بها للتكليف والإلزام بالأفعال الاختيارية، فتتأتى منه الطاعة الاختيارية والعصيان، فيظهر أثر التكليف فيه بعصيانه وظلمه وجهله، وإذا أعقبه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[4]، إذ بهذه

---

(1) ينظر تفسير البيضاوي(4/ 389).

(2) تفسير الكشاف للزمخشري(5/ 102).

(3) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني(ص529-530).

(4) سورة الأحزاب من الآية 72.

الجهة امتازت أمانة التكليف عن أمانة الطاعة الطبيعية، فإن مطلق الطاعة موجود فيهما لكنها اختيارية في التكليف وقهرية في سوق قدرة المخلوقات لما أريد منها ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[1]، فتهيأ الإنسان للتكليف بالجهة التي بها التمايز، فحصول الآية على هذا الوجه الذي أراده البيضاوي أن الله تعالى خلق تلك الجمادات على صفة لا تصلح للتكليف، وعلم منها ذلك، وخلق الإنسان على صفة يصلح لتكليف وعلم منه ذلك فكلّفه، وإن ذلك هو مقتضى حكمته في الكل، كما يفيده نسبة هذا الفعل إلى ضمير عظمته في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا﴾ إلخ[2].

ثم يرد أن يقال: إذا أريد ذلك فلما لم يصرح بالجعل والعلم المرادين، لأن المخرج (إنا خلقنا السماوات والأرض والجبال)، بصفات علمنا أنها لا تصلح معها للتكليف؛ و﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ بصفات علمنا أنه يصلح معها للتكليف ويترتب عليه مقصوده.

ويجاب: لو صرّح بذلك لم يبق غير هذا الاحتمال من الوجوه الأُخر، ومعاني القرآن متسعة متعدّدة متنوعة على حسب ما يقبلهُ اللّفظ في العربية والكلّ مقصود، ولذا غزرت علومه ولم تنقض عجائبه في الدّارين، فلا يزال المفكرون فيه يأخذون منهُ المعاني وتظهر منهم الأسرارَ والدقائق والحكم إلى الأبد، كما قيل:

---

(1) سورة الرعد من الآية 16.

(2) قال القرطبي: «قال العلماء: معلوم أن الجماد لا يفهم ولا يجيب، فلا بد من تقدير الحياة على القول الأخير. وهذا العرض عرض تخيير لا إلزام. والعرض على الإنسان إلزام. وقال القفال وغيره: العرض في هذه الآية ضرب مثل، أي أن السماوات والأرض على كبر أجرامها، لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع، لما فيها من الثواب والعقاب، أي أن التكليف أمر حقه أن تعجز عنه السماوات والأرض والجبال، وقد كلفه الإنسان وهو ظلوم جهول لو عقل». الجامع لأحكام القرآن(17/ 247-248).

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرَا[1]

كما قاله الشعراني والسنوسي وغيرهما، وهو مفاد ما في حديث علي مرفوعا: «ولا تَنْقَضِي عَجَائِبُه»[2]، ثم يقال هذا إنّما/ يقتضي عدم الإتيان بها هو صريح في ذلك المعنى [50/ب] بخصوصه، لكن يبقى ما هو أعم وأوسع مما عليه نظم الآية في النكتة، في ذكر العرض والإباء والإشفاق على هذا الوجه.

قلنا: أمّا العرض والإباء فللدلالة على أنّ المانع قابلية التكليف للسموات والأرض والجبال، أمر من ذاتها وحقيقتها وطبيعتها، لا من خارج كالعصيان فكأنها أخبرت هل تقبَلُ فلمْ تَقبل وأبت لذاتها، ولذا لم تعلل أبآيتها بشيء زائد على ذاتها كما علل ظهور زائد التكليف في الإنسان بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوماً جَهُولًا﴾[3]، والعرض والاختبار مع حقه تعالى ليس على حقيقته كما في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[4].

وأمّا الإشفاق الذي هو الخوف فذكر تنبيها على آنس كما دأبن في الطاعة الطبيعية التي هي سوق القدرة إياهن لما خلقن له صار حالهن كمال مطيع دائب في الطاعة خائف من المعصية وأسبابها؛ ومن جملة أسبابها ما هو عرضة للمخالفة من التكليف فكأنها تعوذت منه حرزاً أن تقع في المخالفة، وهذا الوجه الذي زاده وإن كان فيه غموض وخفاء يغتفر فيه لذلك، لأنّه لم يقتصر عليه حتى يقال: اقتصر على البعيد دون القريب كما فعل الزمخشري، حيث ترك الوجه الوجيه الذي عليه الأكثر ــ وهو الحقيقة ــ إلى

(1) ديوان أبي نواس(ص485)، نهاية الأرب في فنون الآداب للنويري(2/ 39).

(2) فحديث علي رواه الترمذي في فضائل القرآن من حديث الحارث الأعور مطولا. وفيه قصة وقال: «غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات. وإسناده مجهول»، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، رقم 2906(5/ 172)، والبيهقى فى شعب الإيمان رقم 1935 (2/ 326).

(3) الأحزاب، من الآية75.

(4) سورة هود؛ آية 7.

الوجهين اللذين لم نر من سبقه إليهما[1]، والبيضاوي ذكر الأوجه الثلاثة ثمَّ زاد رابعاً من عنده على أنَّه احتمال وعبّر عنه بأداة الترجي، فقال ما نصه: «ولعل المراد بالأمانة، العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن وبإبائهن الإباء الطبيعي، الذي هو عدم اللياقة، والاستعداد وبحمل الإنسان قابليتهُ واستعداده لها وكونه ﴿ظَلُوماً جَهُولًا﴾ لما غلب عليه من القوة الغضبية الشهوية، وعلى هذا يصلح أن يكون علة للحمل عليه فإنَّ من فوائد العقل أن يكون مهيمنا على القوتين، حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحدود ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما»[2] هذا لفظه، ولا يخفى تنزيل ما قررناه عليه، ومعنى قوله: وعلى هذا يصلح أن يكون علة للحمل عليه أنه على تفسير حمله الأمانة بقابليته واستعداده يصلح أن يكون ظلمه وجهله علة لحمل الأمانة عليه أي تكليفه برعايتها فإنَّه إذا كان معه ما يقاوم القوتين الغضبية والشهوية اللّتين بهما يكون ﴿ظَلُوماً جَهُولًا﴾، وذلك المقاوم، هو العقل المفهوم من لفظ الإنسان لأنَّه الحيوان العاقل، كان حينئذ قابلا للتكليف متصوراً منه الطاعة والعصيان والموافقة والمخالفة والتّكليف إنَّما هو لإظهار أحدهما.

هذا كله ما سنح لفكري القاصر في حلِّ عبارته وبيان رمزه وإشارته وتوجيه عبارته الموسمة التي لم يكن من حقّه أن يترك وجهها غير سافر، ومغزاها غير ظاهر، حتى كانت جديرة بالاعتراض والله أعلم.

وأمَّا ما وجه به مولانا المؤيّد بالزمن النّقاد والفهم الوقّاد، الإباء على تفسير الجمهور المتضمن أنَّ العرض والإباء حقيقيان من أنَّ الإباء ليس مخالفة ولكنه إباء خوف وإيثار لطريق السلامة لما فهم أنَّ المراد من العرض التخيير لا العزيمة والتحتيم، فهذا مما تفطن

---

(1) انظر، تفسير الكشاف للزمخشري(5/ 102-103).

(2) تفسير البيضاوي(4/ 389).

له سيدنا بنور بصيرته وجودة قريحته على المألوف من عادته. ويوافقه ما في الدرّ المنثور في الآية أنَّ الأمانة: «الدين والفرائض والحدود فقيل لهنَّ: أتحملنها وتؤدين حقها؟ فقلن: لا نطيق ذلك، وحملها الإنسان. قيل له: أتحملها؟ قال: نعم، قيل له: أتؤدي حقها؟ قال: نعم، فلذلك قال الله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ عن حقها، ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾، قال: هذان اللذان خانها ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ وَٱلْمُومِنَٰتِ﴾ قال: هذان اللذان أدياها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[1]»[2].

فالاستفهام في قوله: (أتحملنها وتودين حقها) صريحٌ في التخيير وعدم التحتيم وبه يشعر لفظ العرض، وقوله: (فقلن لا نطيق ذلك) صريحٌ في أنَّ الإباء إباء خوف وإيثار لطريق السلامة، وقد ذكرنا حكاية محمد بن كعب مع عمر بن عبد العزيز[3].

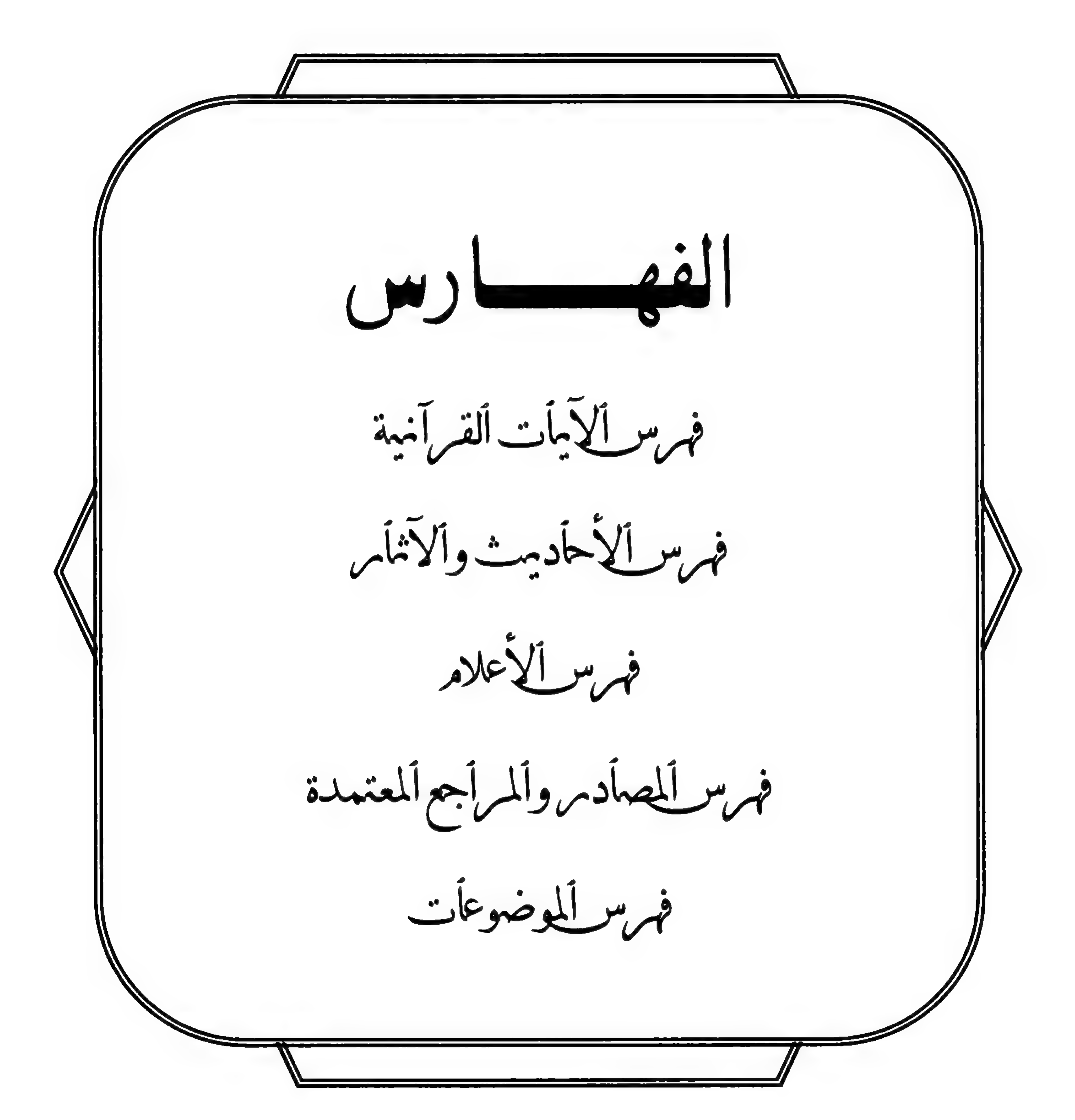
وقول ابن عباس: «فكرهوا وأشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله ألاَّ يقوموا بها»[4]. وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق. انتهى. [54/ب]

(1) سورة الأحزاب من الآية73.

(2) أورده السيوطي في الدر المنثور(12/ 160).

(3) تقدم في تقييده على الزمخشري(ص270).

(4) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره(20/ 337)؛ وقال النحاس: «وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير»معاني القرآن(5/ 384). تفسيره والقرطبي (17/ 246).


الفهارس
فهرس الآيات القرآنية
فهرس الأحاديث والآثار
فهرس الأعلام
فهرس المصادر والمراجع المعتمدة
فهرس الموضوعات



فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾	1	113
﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	1	110
﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	2	111
﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾	3	112-111
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾	4	112-105
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	4	127
﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	5	134
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	6	138
﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	7	140
سورة البقرة		
﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾	13	204
﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٦﴾﴾	66	239

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٣﴾﴾	73	248
﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾﴾	121	61-51-6
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	142	158
﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾	146	248
﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾	149	248
﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾	157	180
﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	256	195
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾	259	182-179-52
﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾	259	-62-52-6 182
﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾	259	187
﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾	259	182-181
سورة آل عمران		
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾	8	135

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴿١٥٦﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾	156-157	205-214
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾	170	195
﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾	171	195
سورة المائدة		
﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾	7	221
﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾	43	212
﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾	62	144
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾	75	196-145
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٩﴾﴾	79	196

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾	79	144
﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	116	184
﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾	117	186
سورة الأعراف		
﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾	3	221
﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٣﴾	13	231
﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾	42	-130-106 146
﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾	43	124
﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾	144	159
﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾	188	102
﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾	204	239
﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ﴾	200	239

سورة التوبة		
﴿فَـٰتِلُواْ ٱلذِينَ لَا يُومِنُونَ بِاللَّهِ﴾	29	236
﴿وَيَابَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَنْ يُّتِمَّ نُورَهُۥ﴾	32	259
﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾	60	233
﴿ٱلْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾	113	122
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾	124	231
سورة يونس		
﴿إِنَّ ٱلذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُومِنُونَ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾	-96 97	185
﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَـٰتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُومِنُونَ﴾	101	185
سورة هود		
﴿لِيَبْلُوَكُمُۥٓ أَيُّكُمُۥٓ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	7	278
﴿رَبِّ إِنِّيَ أَعُوذُ بِكَ أَنَ اَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾	47	238
سورة الحجر		
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِے نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾	6	205

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً﴾	106	151
سورة المؤمنون		
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾	4	-64-54-7 255
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلاَّ عَلَىٰٓ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾	6-5	259-258-97
﴿وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً﴾	24	243
﴿مَا هَـٰذَآ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾	24	244
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا﴾	28	107
﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٨﴾﴾	98	239
سورة النور		
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾	21	130
سورة الفرقان		
﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾	7	244
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ﴾	63	118

سورة الشعراء		
﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٦﴾﴾	26	205
﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	88-89	126
سورة القصص		
﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾	14	235
﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾	46	159
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾	56	135
﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾	88	116
سورة الأحزاب		
﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾	72	-270-55 276-271
﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾	73	280
﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾	75	-275-55-7 269

سورة سبأ		
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾	13	98
﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم﴾	37	126
سورة فاطر		
﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾	6	236
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾	28	65-54-7
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾	32	157-52
﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾	37	142
سورة يس		
﴿وَمَالِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾	21	186
سورة الصافات		
﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾	53	125
سورة الزمر		
﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾	62	249-185
سورة غافر		
﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾	15	126

﴿إِتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ أَلرَّشَادِ﴾	38	135
﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾	55	231
سورة فصلت		
وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى أَلِانسَانِ أَعْرَضَ وَنَئَا بِجَانِبِهِۦ﴾	51	141
﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾	10	272-120
﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ أَلْعَمِيٰ﴾	16	134
سورة الشورى		
﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَيٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	56	135
سورة الحديد		
﴿هُوَ أَلَاوَّلُ وَالَاخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾	3	121
سورة الحشر		
﴿أَلْمَلِكُ أَلْقُدُّوسُ أَلسَّلَٰمُ﴾	23	121
سورة الممتحنة		
﴿لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ أَللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾	13	144
سورة الجمعة		
﴿مَثَلُ أَلذِينَ حُمِّلُواْ أَلتَّوْرِيٰةَ﴾	5	144

سورة التغابن		
﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾	1	103
﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾	6	244
سورة الطلاق		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾	1	248
سورة التحريم		
﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾	5	121
سورة المعارج		
﴿وَالذِين هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾	29	258
﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾	30	259
سورة الإنسان		
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾	30	102
سورة التكوير		
﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾	14	157
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾	29	102



فهرس الأحاديث والآثار



فهرس الأعلام

فهرس الشعر

فهرس المصادر والمراجع

🙞 الإبانة في أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط.1، 1397م.

🙞 إتحاف المطالع بوفيات أعيان القرن الثالث عشر والرابع عشر، لعبد السلام ابن سودة، تحقيق: محمد حجي، نشر دار الغرب الإسلامي- بيروت-، ط.1 (1417هـ/ 1997م).

🙞 إحكام الفصول في أحكام الأصول للقاضي أبي الوليد الباجي، تحقيق: عمران أحمد العربي، دار ابن حزم- ط.1 (1430هـ/ 2009م).

🙞 أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.4(1429هـ/ 2008م).

🙞 إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة- بيروت.

🙞الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت(1409هـ/ 1989م).

🙞الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصري، تحقيق: أحمد الناصري، نشر وزارة الثقافة، المغرب، ط2001م.

🙞الإستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عبد البر النمري، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل بيروت، ط.1(1412هـ).

🙞 الأشباه والنظائر، للإمام تاج الدين السبكى، دار الكتب العلمية، ط1(1411هـ/ 1991م).

الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط.1 (1412هـ).

إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: زهير غازي، عالم الكتب(1409هـ/ 2009م).

أمالي المحاملي لأبي عبد الله المحاملي، تحقيق: د.إبراهيم القيسي، المكتبة الإسلامية، دار ابن القيم- عمان، ط.1 (1412هـ).

أمثال الحديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم، لأبو الحسن الرامهرمزي، تحقيق : أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط1، 1400هـ.

إمداد ذوي الاستعداد على معالم الرواية والإسناد لعبد القادر الكوهن «بعنوان ثلاث فهراس مغربية»، تحقيق: عبد الرحمان سعيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (2010م).

إيقاظ الهمم شرح متن الحكم أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الفاسي الصوفي.

البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد تامر، دار الكتب العلمية،1421هـ - 2000م.

البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط.1 (1408هـ/ 1988م).

التاج والإكليل لمختصر خليل، لمحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي، نشر: دار الكتب العلمية، ط.1 (1416هـ/ 1994م).

꩜ **تاريخ ابن الوردي لابن الوردي**، دار الكتب العلمية، بيروت(1417هـ/ 1996م).

꩜ **تاريخ الأمم والملوك**، لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت ط.1 (1407هـ).

꩜ **تاريخ دمشق، تاريخ دمشق**، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (1415 هـ - 1995 م).

꩜ **التبيان في إعراب القرآن** لأبي البقاء العكبري، تحقيق: علي البجاوي، نشر عيسى البابي وشركاه.

꩜ **التبيان في إعراب القرآن**، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، البابي الحلبي وشركاه.

꩜ **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري** لجمال الدين الزيلعي، تحقيق: عبد الله السعد، دار ابن خزيمة- الرياض، ط.1 (1414هـ).

꩜ **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد** لمحمد بن عبد الله بن مالك الطائي، تحقيق: محمد بركات، نشر دار الكتاب العربي مصر(1387هـ/ 1967م).

꩜ **التسهيل لعلوم التنزيل**، لابن جزي الكلبي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.2(1428هـ/ 2007م).

꩜ **تفسير ابن أبى حاتم**، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية – صيدا.

ஐ تفسير ابن أبي حاتم، للحافظ أبو محمد بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد الطيب، المكتبة المصرية، صيدا.

ஐ تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، 1420هـ.

ஐ تفسير البيضاوي، لناصر الدين البيضاوي، دار الفكر، بيروت.

ஐ تفسير الجلالين ولباب النقول في أسباب النزول على هامش القرآن الكريم، لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي، تقديم: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير.

ஐ تفسير العز بن عبد السلام، للإمام عز الدين بن عبد السلام، تحقيق: د. عبد الله الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط.1(1416هـ/ 1996م).

ஐ تفسير القرآن، لأبي الفداء ابن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.2(1420هـ/ 1999م).

ஐ تفسير القرطبي، لأبي بكر القرطبي، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية(1423هـ/ 2003م).

ஐ تفسير اللباب لابن عادل الدمشقي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ஐ تفسير مقاتل، للأبي الحسن مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، ط.1(1424ه، 2003م).

ஐ تقييدٌ في تفسير سورة الفاتحة، لأبي المواهب جعفر الكتاني، تحقيق: هشام بن محمد حيجر، مراجعة وتصحيح د. محمد حمزة الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1 (2009م).

ﮩ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية(1419هـ/ 1989م).

ﮩ التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني، ضبطه وشرحه الحفيظ البرقوقي دار الفكر العربي

ﮩ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين المصري المالكي، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ - 2008م.

ﮩ جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة(1420هـ/ 2000م).

ﮩ الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة والقرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط.1(1427هـ/ 2006م).

ﮩ جامع للأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان أبي عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي طبعة مؤسسة الرسالة

ﮩ جمع الجوامع في أصول الفقه للقاضي تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي(ت771هـ) علق عليه عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية- الطبعة الثانية2003م/ 1424هـ.

ﮩ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، لأحمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي، دار صادر بيروت.

ﮩ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني دار الكتاب العربي بيروت، الرابعة ، 1405.

❧ (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي(المتوفى: 609هـ)، تحقيق: محمد رضوان الداية، نشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، ط.1،(1991م).

❧ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط.2،(1424هـ/ 2003م).

❧ در المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمان السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر(1424هـ/ 2003م).

❧ دلائل النبوة، للبيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط.1(1408هـ/ 1988م).

❧ديوان ابن الفارض، لعمر بن أبي الحسن بن علي الحموي المشهور بابن الفارض، مطبعة بيروت سنة(1891م).

❧ ديوان ابن الرومي لعلي بن العباس ابن الرومي، تحقيق: أحمد حسن بسج، نشر دار الكتب العلمية (1423هـ/ 2002م).

❧ ديوان أبي محجن الثقفي وشرحه لأبي هلال الحسن بن عبد الله،

❧ ديوان الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد الشافعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1(1425هـ/ 2005م).

❧ ديوان تأبط شرا وأخباره لثابت بن جابر بن عميثل، تحقيق: علي ذو الفقار، دار الكتب العلمية، بيروت (1404هت/ 1984م).

ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية- بيروت، ط.1 (1418هـ/ 1998م).

ديوان امرئ القيس، أمرؤ القيس بن حجر، اعتنى به: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت (1425هـ/ 2004م).

ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق: عبد أمهنا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط.2 (1414هـ/ 1994م).

الذخيرة، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب، بيروت، 1994م.

رسالة نحوية في لو الشرطية، للشيخ الطيب بن كيران، تحقيق: بوصلاح فايزة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1 (1225هـ/ 2004م).

الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة، للعلامة محمد بن جعفر الكتاني، اعتناء: محمد المنتصر الكتاني، نشر دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط.6 (1421هـ/ 2000م).

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت(1415هـ).

سلسة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة المعارف بالرياض، ط. 1(1425هـ/ 2004م).

سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة المعارف بالرياض، ط.1 (1425هـ/ 2004م).

- **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس** لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: عبد الله الكتاني، وحمزة الكتاني، ومحمد حمزة الكتاني، نشر دار الثقافة بالدار البيضاء، ط.1 (1425هـ/ 2004م).
- **السنة**، لأبي عاصم الضحاك الشيباني، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط1، سنة1400هـ.
- **سنن ابن ماجة**، لأبي عبد الله بن ماجة، تحقيق: محمد فؤد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- **سنن أبي داود**، لأبي داود السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- **سنن الترمذي**، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت(1998م).
- **سنن الدارمي**، لعبد الله الدارمي، تحقيق: فواز زمرلي، خالد العلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1(1407هـ).
- **سنن النسائي**، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط.2(1406هـ/ 1986م).
- **سير أعلام النبلاء** لشمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة.
- **السيرة النبوية** لابن إسحاق، لمحمد بن إسحاق المدني، حققه: أحمد فريد المزدي، دار الكتب العلمية، ط.1، (1424هـ/ 2004م).
- **الشِّرب المُحتضَر والسِّر المنتظَر من معين أهل القرن الثالث عشر**، لجعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق: محمد حمزة الكتاني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

- **الإشارة في أصول الفقه** للقاضي أبي الوليد، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط. 1 (1424هـ/ 2002م).
- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** للشيخ محمد بن محمد مخلوف، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** لعبد الحي العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير (1406هـ).
- **شرح التسهيل** لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي(ت672هـ) تحقيق الدكتور عبد الرحمان السيد و الدكتور محمد بدوي المختون.
- **شرح الرسالة** للقلشاني، (مخطوطة بالمكتبة الوطنية رقم153د).
- **شرح المعلقات السبع**، للحسين الزوزني، دار إحياء التراث العربي، ط.1 (1423هـ/ 2002م).
- **شرح المعلقات العشر** للقاضي الامام أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.
- **شعب الإيمان**، لأبي بكر البيهقي (المتوفى : 458هـ)، حققه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط1(1423هـ/ 2003م).
- **الشكر**، لعبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، تحقيق: بدر البدر، المكتب الإسلامي، تحقيق : بدر البدر، المكتب الإسلامي –الكويت، ط2،(1400هـ/ 1980م).
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** لأحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: د.يوسف طويل، دار الفكر-دمشق، ط.1 (1987م).

- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4،(1407هـ/ 1987م).
- **صحيح ابن حبان**، لمحمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت(1414هـ/ 1993م).
- **صحيح البخاري**
- **صحيح الجامع الصغير وزيادته** لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط.3، (1408ه/ 1988م).
- **صحيح مسلم**، لمسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط.3(1408هـ/ 1988م).
- **غرائب التفسير وعجائب التأويل** لتاج القراء برهان الدين الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية –بيروت، ط.1، 1416 هـ/ 1996 م.
- **غيث المواهب العلية**، لابن عباد(مخطوطة بالخزانة الحسنية رقم8093).
- **الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي**، لزين الدين المناوي، تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة، رياض.

- فوائد المتبعة في العوائد المبتدعة لابن زكري أطروحة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط.
- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد النفروي، تحقيق: رضا فرحات، مكتبة الثقافة الدينية.
- القاموس المحيط للعلامة الفيروزآبادي، تحقيق: مجدي السيد، المكتبة التوفيقية.
- كتاب : نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية – بيروت. ط1/ لبنان (1424 هـ – 2004 م.)
- كتاب التعريفات، لعلي الجرجاني الحنفي، حققه: نصر الدين تونسي، شركة القدس للتصدير ، ط.1 ، (2007م).
- كتاب قواعد التصوف أحمد بن أحمد البرنيسي المغربي المشهور بزروق(ت899هـ)، ضبطه وعلق عليه محمود بيروتي- دار البيروتي سنة1424هـ/ 2004م.
- كتاب معاني القرآن لأبي الحسن الأخفش تحقيق الدكتور هدى محود قراعة.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق: أحمد عبد الموجود وعلي محمد، مكتبة العبيكان،ط.1(1418هـ/ 1998م).
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل للعجلوني، دار إحياء التراث العربي.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي(1422هـ).
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، ط.8، بيروتسنة2008.

- **لطائف الإشارات**، لعبد الكريم بن هوازان القشيري، تحقيق: إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- **المطول**، لسعد الدين التفتازاني-محمد تقي الخوانساري، طبعه دار الانطباع سنه 1273هـ.
- **مجاز القرآن**، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- **مجاز القرآن**، لأبي عبيدة، تحقيق: فؤد سزكين، مكتبة الخانجي القاهرة.
- **مجمع الزائد ومنبع الفوائد** لنور الدين الهيثمي، دار الفكر (1412هـ).
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط.2(1428هـ/ 2007م).
- **مختصر العلامة خليل**، لخليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (المتوفى: 776هـ)، تحقيق: أحمد جاد، نشر: دار الحديث/ القاهرة ط.1 (1426هـ/ 2005مـ).
- **مختصر المعاني**، لسعد الدين التفتازاني، دار الفكر، ط.1 (1411هـ).
- **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا(1411هـ/ 1990م).
- **مسند أحمد**، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط.1(1421هـ/ 2001م).

ﷺ مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار)لأبي بكر البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله/عادل بن سعد/وصبري عبد الخالق، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط1،من1988م / 2009م

ﷺ مسند الشاميين، لسليمان الطبراني(ت360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1(1405هـ/ 1984م).

ﷺ معالم التنزيل لأبي محمد الحسين البغوي حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش دار طيبة للنشر والتوزيع/ ط4، 1417 هـ - 1997 م.

ﷺ معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد الصابوني، نشر جامعة ام القرى- مكة المكرمة، ط1 (1409هـ).

ﷺ المعجم الأوسط، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين، القاهرة(1415هـ).

ﷺ معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين، تحقيق: د. حسن الوزاني؛ منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (1430هـ/ 2009م).

ﷺ معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر(1399هـ/ 1979م).

ﷺ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين بن هشام الأنصاري، نشر دار الفكر، ط.6 (1985م).

ﷺ مفاتيح الغيب، للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ꕥ **مفتاح العلوم** لأبي يعقوب يوسف السكاكي، تحقيق: د. إكرام عثمان يوسف، منشورات جامعة بغداد- مطبعة الرسالة، ط.1 (1402هـ/ 1982م).

ꕥ **مفردات في غريب القرآن**، لأبي القاسم الراغب الأصفهاني، تحقيق : صفوان عدنان داودى مكان الطبع دار العلم الدار الشامية: دمشق ـ بيروت سنة الطبع : 1412 هـ.

ꕥ **الملل والنحل** لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- بيروت(1404هـ).

ꕥ**المنتقى شرح الموطإ**، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ)، نشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر ط.1، (1332 هـ).

ꕥ **موطأ الإمام مالك**، لمالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.

ꕥ **النبوغ المغربي في الآداب العربي**، لعبد الله كنون نشر دار الثقافة، ط. 2.

ꕥ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، للبقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1415هـ.

ꕥ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** لأحمد المقري التلمساني، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر - بيروت ، 1968

ꕥ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، لأحمد المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت (1968).

🙞 **نهاية الأرب في فنون الأدب** لشهاب الدين النويري، تحقيق: مفيد قميحة وجماعة، دار الكتب العلمية- بيروت، ط.1 (1424هـ/ 2004م).

🙞 **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية.

🙞 **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لأبي العباس شمس الدين بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت. ط.1 .



فهرس الموضوعات

The first restriction: related to the prepositional phrase in the Basmalah. The second restriction: Interpretation of Surat Al-Fatiha, and the third restriction: the interpretation of the verse [121 البقرة]. The fourth restriction: in the interpretation of the verse [259 البقرة]. The fifth restriction: in the interpretation of the verse [15 النساء].

The sixth restriction: in the interpretation of the verse [98النحل].The seventh restriction: the interpretation of the verse [60 الزخرف], and the eighth restriction: interpretation of verse [4 المؤمنون] , and ninth restriction: interpretation of the meaning [28 فاطر] . The tenth restriction: in the interpretation of the words of Sultan Moulay Suliman in his discussion of the Imam Zamakhshari reprieve from reality to metaphor in the interpretation of the the verse [75 الأحزاب] , and the eleventh restriction: in the discussion of the aspect shown by the Imam Elbidaoui in the interpretation of verse [75 الأحزاب].

What shows the worth of these restrictions is the choices of their owner concerning the issues he discussed, and rich scientific sources he used, Allah's mercy, his explanatory article, and their diversity between the interpretation , Koranic readings, eloquence, language, science of speech, mysticism, science of Hadith , and jurisprudence....

Transalted by: Elmahjoub Dasaa

Answers and restrictions in the interpretation of the Holy Book

The book «answers and restrictions in interpretating the Holy Book» of the mark achieved masterly Abu Abdullah Muhammad Tayyib ibn Abdul Majeed bin Kiran Fasi (d. 1227 H), which we are delighted to present within versions of Quranic Studies Centre at Muhammadia association of scholars- a series of rare Interpretation (1) is one of the most important Explanatory models of this type. .Its author Allah's mercy was a brilliant scholar and interpreter. He was given grants divine, and had specialist talents, opened in front of him tongue-tied on what others in the interpretation of the Holy Book.

Those who translated his works agreed on his great status, and his firmness in the field of religious science in general, and science of interpretation, in particular. This Makes him the top favorites of the Sultan Moulay Suliman may God have mercy on him, who used to rely on him in writing, and asked him for his observations during his reading for some books of interpretation, and consulted him in many issues and subject matter.

This book consists of elevenen restrictions in interpretation, some of them in the interpretation of a specific Sura, and others in the interpretation of a particular verse, and sometimes in response to an interpreter in a verse; these restrictions as follows:





Answers and restrictions

In the interpretation of the Holy Book

Abu Abdullah Mohammed Tayeb bin
Abdu el Majeed bin Kiran Fassi
(1172-1227H)

Study and Scrutiny:
Lahcen Elouazzani